



# جذور

Juthoor

مجلة فصلية علمية محكمة تُعنى بالتراث وقضايا

رجب ١٤٣٩ هـ - أبريل ٢٠١٨ م



- التوجيه اللساني للتحويل المحلي والجذري في التراكيب العربية الموظفة في ربع الأعراف
- اللغة والقراءة التأويلية
- المصطلحات التراثية بين إمكانيات الاستثمار وعوائق الاستعمال
- فضاءات الغربة والحنين في ديوان الحجازيات لـ "أبي فهر محمود شاكر"

العدد

49

من إصدارات

النادي الأدبي الثقافي بجدة



## قواعد النشر بالمجلة

### أهداف المجلة:

- 1 - تشجيع البحث العلمي المتصل باللغة العربية بنشر البحوث والدراسات التي تتحقق فيها شروط البحث العلمي.
  - 2 - تحقيق التواصل بين المعنيين بالدراسات اللغوية والأدبية والبلاغية من خلال التقويم، وتبادل الخبرات، وفتح قنوات للحوار العلمي الهادف.
  - 3 - إحياء النصوص التراثية المتصلة باللغة العربية.
- المواد التي يمكن نشرها في المجلة:**

- 1 - البحوث والدراسات العلمية المتصلة باللغة العربية، المتسمة بالأصالة والجدة والإضافة العلمية وسلامة المنهج، والتي لم يسبق نشرها، ولم تقدم إلى جهة أخرى للنشر، ولم تكن مستلة من بحث نال به الباحث درجة علمية.
- 2 - دراسة وتحقيق مخطوطات التراث المتصلة باللغة العربية ذات الإضافة العلمية.
- 3 - ترجمات البحوث العلمية الجادة المتعلقة باللغة العربية.
- 4 - ما تطرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها أهل العلم وأصحاب الخبرة والرأي.

### ضوابط النشر:

- 1 - إذا كان العمل مما ذكر في (1، 2، 3) فيستحسن أن لا يزيد عن 40 صفحة.
  - 2 - ترتيب الموضوعات يخضع لاعتبارات فنية.
  - 3 - تخضع المواد العلمية المنشورة للتحكيم العلمي، المتعارف عليه في المجالات المحكمة، خاصة ما جاء في (1، 2، 3)، وللهيئة أن تضع لذلك القواعد التنفيذية.
- التزامات الباحث وحقوقه:**

- 1 - أن يراعي قواعد البحث العلمي الأصل ومنهجيته وأصول تحقيق التراث.
- 2 - ملخص البحث لا يزيد عن صفحة باللغة العربية وترجمته بالإنجليزية متضمناً محاور البحث ونتائجه، وملخص السيرة العلمية للباحث في صفحة مستقلة.
- 3 - أن تكتب المادة باللغة العربية نوع الخط (Simplified Arabic)، مقاس الخط (14) وتكون العناوانات الفرعية ببخط غامق، والعنوان الرئيسي مقاس الخط (16) ببخط غامق. وتكتب المراجع في نهاية البحث.
- 4 - الإشارة إلى مصادر البحث في حاشية الصفحة نفسها بالترتيب الآتي: المؤلف، عنوان الكتاب أو المقال، الناشر، البلد، الطبعة، السنة، الصفحة، مع إفراد كل صفحة بترقيم للحواشي ويكون مقاس الخط (12).
- 5 - المقالات المرسلة إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر، وهي تعبر عن رأي أصحابها.
- 6 - إرسال نسختين إلكترونيتين من البحث إحداها بصيغة (Word) والأخرى بصيغة (pdf).

توجه المراسلات بريدياً إلى رئيس تحرير مجلة جذور - النادي الأدبي الثقافي بجدة:  
ص.ب: 5919 - جدة: 21432 - هاتف: +966126066122 - فاكس: +966126066695.

أو على البريد الإلكتروني للمجلة: Juthoor@adabijeddah.com

الموقع الإلكتروني للمجلة: Juthoor.adabijeddah.com

الموقع الإلكتروني للنادي: www.adabijeddah.com

## الهيئة الاستشارية

---

- \* أ. د. محمد خضر عريف  
أستاذ علم اللغة بجامعة الملك عبدالعزيز في جدة
- \* أ. د. عبدالرزاق فرّاج الصاعدي  
أستاذ علم اللغة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة
- \* أ. د. صالح بن سعيد الزهراني  
أستاذ البلاغة والنقد في جامعة أم القرى
- \* أ. د. محمود توفيق محمد سعد  
أستاذ البلاغة والنقد في جامعة الأزهر
- \* أ. د. رابح عبدالرحمن أحمد أبو معزة  
أستاذ النحو واللسانيات بجامعة محمد خيضر بسكرة في الجزائر
- \* أ. د. مراد عبدالرحمن مبروك  
أستاذ النقد الأدبي والنظرية بجامعة بني سويف في مصر
- \* أ. د. بلقاسم عبدالسلام اليوبي  
أستاذ اللسانيات بجامعة الملك عبدالعزيز
- \* أ. د. محمد أحمد أبو نبوت  
أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الأزهر

## محتويات العدد

## جـُذُور

العدد 49 ، رجب 1439 هـ /

إبريل 2018

### العنوان

النادي الأدبي الثقافي بجدة

الإدارة: حي الشاطئ

جدة ص.ب (5919)

فاكسميلي: 6066695

هاتف: 6066364-6066-122

موقع النادي [www.adabijeddah.com](http://www.adabijeddah.com)

## JUTHOOR

Literary & Cultural  
Club Jeddah

P.O. Box: 5919

Jeddah 21432

FAX : 6066695

Tel : 6066122 - 6066364

[Juthoor.adabijeddah.com](http://Juthoor.adabijeddah.com)

\* علم اللغة النصي في التراث العربي القديم

- قراءة في الترابط النصي .....

\* التوجيه اللساني للتحويل المحلي والجذري في

التركيب العربية الموظفة في ربع الأعراف .....

\* أثر الفاصلة في اختيار اللغة القليلة وتقديمها

على لغة جمهور العرب .....

\* اللغة والقراءة التأويلية .....

\* المصطلحات البلاغية الحداثيّة بين الاستهلاك

والقطيعة المعرفية .....

\* المصطلحات التراثية بين إمكانيات الاستثمار

وعوائق الاستعمال .....

\* فضاءات الغربة والحنين في ديوان الحجازيات

لـ «أبي فهر محمود محمد شاكر» .....

\* جماليات الفاصلة القرآنية في «سورة الأنفال»

- دراسة بلاغية نصية .....

## الأسرة

**عبد الله عويقل السامي**

محمود رزايقية ..... 9

\* \* \*

رابع أحمد بومعزة ..... 35

## رئيس التحرير

**عبد الرحمن رجاء الله السامي**

عبد العزيز بن إبراهيم الدباسي ..... 83

موسى بن درباش بن موسى الزهراني .... 119

أيمن خميس عبد اللطيف إبراهيم أبو مصطفى ... 147

\* \* \*

عصام فاروق إمام ..... 173

## مدير التحرير

حمد فهد محمد جنبان القحطاني ... 223

**صالح عياد الحجوري**

سمير عوض الله عبد الفتاح رفاعي ..... 271



## المقدمة

يضم هذا العدد من مجلة **جذور** ثمانية أبحاث متنوعة شملت حقول اللغة العربية المختلفة.

تناول البحث الأول موضوع: علم اللغة النصي في التراث العربي القديم قراءة في الترابط النصي، والبحث يتناول ملامح النص في الموروث اللغوي وأهم الأطروحات النصية في تراثنا العربي، وصولاً إلى دوائر التأثير التي تجمع مفاهيم النص في اللسانيات النصية الحديثة.

بينما تناول البحث الثاني: التوجيه اللساني للتحويل المحلي والجذري في التراكيب العربية الموظفة في ربع الأعراف، وهذا الموضوع يسعى إلى دراسة التراكيب الإسنادية الأصلية دراسة من منظور اللسانيات الحديثة محلاًّ البنى العميقة للتراكيب المحولة بالترتيب والزيادة متخذاً المنهج التحويلي.

وجاء البحث الثالث بعنوان: أثر الفاصلة في اختيار اللغة القديمة وتقديمتها على لغة جمهور العرب، وهو بحث يرصد عناية القرآن بالفاصلة حيث رصد البحث أن الأسلوب القرآني الكريم قد يترك الأفصح والشائع من كلام العرب ويختار مكانه لغة أقل استعمالاً حرصاً على إقامة الفاصلة واعتناءً بسلامتها.

ويأتي البحث الرابع بعنوان: اللغة والقراءة التأويلية، وهو بحث يتناول طابع اللغة الاجتماعي والتصورات الحديثة المعنية باللغة خاصة

في حقول الفلسفة والنقد الأدبي والتي تتجاوز مفهوم اللغة الإبلاغي إلى مفهوما الإبداعى التواصلى.

بينما يتناول البحث الخامس: المصطلحات البلاغية الحدثية بين الاستهلاك والقطعية المعرفية متناولاً تعريف المصطلح والخل الإجرائى، والترجمة وتعدد المصطلحات.

وجاء البحث السادس متقاطعاً مع سابقه ومتناولاً المصطلحات التراثية بين إمكانية الاستثمار وعوائق الاستعمال.

وتناول البحث السابع: فضاءات الغربة والحنين في ديوان الحجازيات لأبى فھر محمود محمد شاکر.

وفي ختام هذا العدد جاء بحث: جماليات الفاصلة القرآنية في سورة الأنفال دراسة بلاغية نصية.

وهيئة التحرير في المجلة إذ تشكر جميع الباحثين على تواصلهم العلمى والمعرفى مع مجلتهم تأمل أن تحظى الأعداد القادمة بمزيد من الدراسات المتخصصة في عمق التراث العربى إضافة إلى تلك التى تتخذ من النص القرآنى منطلقاً لتذوق جمالياته وكشف أسرارہ البلاغية والجمالية.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

**هيئة التحرير**

# علم اللغة النصي في التراث العربي القديم

## - قراءة في الترابط النصي -

محمود رزايقية(\*)

### تقديم:

لقد شغلت الدراسات النصية مكاناً هاماً بين الدراسات اللغوية الحديثة، وذلك لما قدّمته من تحليلات مقنعة لمُتطلّبات الدرس اللغوي الحديث الذي اكتشف أنّ التحليل على مستوى الجملة غير كافٍ، ولابدّ من تجاوز حدود البنية اللغوية الصغرى - الجملة - إلى فضاء أرحب وأوسع، هو الفضاء النصي. وهذا التجاوز لا يعني القطيعة العلمية المطلقة بين اللسانيات الجمليّة واللسانيات النصيّة، وإنما العلوم تستفيد ممّا سبقها، مع تجاوز النقص والقصور الذي كان موجوداً في اللسانيات الجمليّة، على أساس أنّ علم النصّ يُعدّ تطويراً وتوسيعاً للدراسات اللسانية الجمليّة التي شغل بها اللغويون منذ بلومفيلد إلى تشومسكي .

ولأنّ النصّ أوّلَى بالدراسة من الجملة على وفق مفاهيم علم النصّ، فقد بدأ التفكير في منتصف القرن العشرين عن كيفية تجاوز الدراسة اللغوية مستوى الجملة إلى مستوى النصّ؛ لأنّ الجملة غير قادرة على أن تكون حدثاً تواصلياً مكتفياً بذاته، إذ إنّ الجملة تستدعي جملاً أخرى،

(\*) أستاذ محاضر بالمركز الجامعي الوشرسي - تيسمسيلت - الجزائر.

وبذا يتكوّن النص، والتحوّل عن الجملة لا يلغي وجودها، إذ هي المرتكز الذي يعتمد عليه النص، بل هي الجزء الأساس المكوّن للنص. لذلك ظهر ما يسمّى علم لغة النصّ.

إنّ علم لغة النصّ فرعٌ من فروع علم اللغة إنّ لم نقل هو أحدث فروع علم اللغة، حيث يهتم بدراسة النصّ - بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى - دراسة موضوعية تركز في مستواها الأوّل على التلاحم بين أجزاء النصّ، وروابطه الداخلية، والكشف عن الخواص التي تؤدي إلى تماسكه. وهذه الروابط هي ما يُعبّر عنه بـ (وسائل السبك والحبك)، وهذان المعياران من أوثق المعايير صلةً بالنص<sup>(1)</sup>. إضافة إلى متطلبات السياق النصي textual context، والعلاقات النصية، والبنى النصية الكبرى، والعلاقة التواصلية بين المنتج والمتلقي، والتأثير الذي يتركه النصّ عند المتلقي.

منهج الدّراسة قائمٌ على البحث في المفاهيم تأصيلاً وتنظيراً وإجراء؛ لذا يُقرّ أغلب الدارسين في حقل اللسانيات النصية بأنه لا يوجد أي علم يواجه مصاعب وحواجز مثلما يواجهها علم لغة النصّ، وخاصة إذا كانت وجهتنا التراث العربي القديم. فهذا ما دفعني للحذر وأنا أتتبع خطى العلماء القدامى في تحليل المقولات وإبداء الآراء.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن أتناول ملامح النصّ في الإرث اللغوي، وأهمّ الطروحات النصية في تراثنا العربي، وصولاً إلى نقاط التقاطع التي تجمع مفاهيم النصّ في اللسانيات النصية وفي الدّراسات اللغوية العربية قديماً وحديثاً، كما سعت هذه الدراسة إلى تلمس أهمّ مسألة في سياق لسانيات النصّ، ألا وهي مسألة الترابط النصي بمحوريه؛ الرابط الشكلي (السبك)، والترابط المضموني (الحبك)،

وهذان المعياران من أوثق المعايير صلة بالنص، كما أنهما يشتركان في العنصر اللساني .

### أولاً: مفهوم النص في التراث العربي:

قبل التمعّن في عالم «النصية» بوصفها وسيلة التواصل اللغوي، وقبل أن نجتهد لإثبات الدّراسات النصّية في تراثنا العربي كما هي عند اللّسانيين المُحدّثين، ينبغي - أولاً - معرفة مصطلح (النص) بالبحث عن دلالة الكلمة في التراث العربي، ولاسيما في المجالين: المعجمي والأصولي، دون أن ننسى موقف أهل النحو من مفهوم النص.

#### 1 - النص في المعجمات اللغوية:

الدلالة المركزية لمادة (ن ص ص) في المدوّنات اللّغوية تدور حول المعاني الآتية: إدراك الغاية، والانكشاف والوضوح، والرفع والعلو. قال الأزهري (ت 370هـ): «النص أصله مُنتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصصت الرجل: إذا استقصيت مسألتَه عن الشيء»<sup>(2)</sup>. فالنص بمعنى أقصى الشيء وغايته.

ويقول الزمخشري (ت 538هـ): «ومن المجاز: نص الحديث إلى صاحبه»<sup>(3)</sup>.

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ): «النص: رفعك الشيء، ونص الحديث يُنصّه نصّاً: رفعه، وكل ما أظهر فقد نص... والمنصة: ما تظهر عليه العروس لتُرى... وكل شيء أظهرته فقد نصصته...، والنص: التحريك...، وأصل النص أقصى الشيء وغايته...، ونص كل شيء منتهاه...، ونص الحقائق: منتهى بلوغ العقل»<sup>(4)</sup>. المعاني كلّها لم تخرج عن الرفع والعلو وعن منتهى الشيء وغايته، ثم تطوّرت كلمة "نص" إلى إسناد الكلام ورفعها إلى منشئه الأصلي.

وجاء في المعجم الوسيط بأن النصّ هو «صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف»<sup>(5)</sup>. وبهذا نظرُوا إلى النصّ أنه من الدلالات المولدة .

ولعلّ دلالة (الإظهار والارتفاع ونهاية الشيء) هي الجامع لتلك الدلالات المتعدّدة، ولاشكّ أنها الدلالة المركزية والبؤرة التي تدور حولها تلك الدلالات.

## 2 - النصّ في اصطلاح الأصوليين:

تقفُ دراسةُ علماء أصول الفقه للنصّ القرآني ودلالة تراكيبه على المفهوم الاصطلاحيّ للنصّ، يقول الإمام الشافعي (ت 204هـ) - أثناء حديثه عن أوجه البيان في الفرائض المنصوصة في كتاب الله تعالى - إنّ النص هو: «ما أتى الكتابُ على غاية البيان فيه، فلم يحتجّ مع التنزيل فيه إلى غيره»<sup>(6)</sup>. فالشافعي هو أوّل من أشار إلى المفهوم الاصطلاحي للنصّ؛ النصّ عنده: (ما لا يحتاج إلى تأويل).

وذكر الشريف الجرجاني (ت 816هـ) حدّد النصّ، فقال: «النصّ: ما ازداد وضوحاً على الظاهر لمعنى في المتكلّم، وهو سَوَّقُ الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرحُ بفرحي، ويغتمُ بغمّي، كان نصّاً في بيان محبّته»<sup>(7)</sup>.

وللجرجاني تعريف آخر للنص، يقول: «النصّ: ما لا يحتملُ إلا معنى واحداً، وقيل ما لا يحتمل التأويل»<sup>(8)</sup>.

وبذا نرى أنّ المعنى الاصطلاحيّ لم يبعُد كثيراً عن دائرة المعنى اللغويّ لكلمة (نصّ)، فهي تعني الظاهر الذي لا يحتمل التأويل، وأن لا يتطرّق إليه احتمالٌ إلا بشرط أن يُعصّد هذا الاحتمالُ بدليل. فالجرجاني يجعل من النصّ أحادي الدلالة، واضح المعنى، لا يحتاج إلى تأويل ولا إلى سؤالٍ عن معناه.

وهكذا أصبح دَيدُنُ الأصوليين أن يُطلقوا كلمة (نص) على كُلِّ ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسنة، أي أن كُلَّ ما وردَ عن صاحب الشرع فهو (نصٌّ) <sup>(9)</sup>.

### 3 - استعمال النحاة للنصّ:

أمّا النحاة فلم يعرفوا كلمة (النصّ) بمعانيها المعجمية، ولا بدلالة الظاهر كما هي عند الأصوليين، ولم يستعملوا (النصّ) بمفهومه الحالي في الدّراسات اللّسانية والنقدية. وإنما النصّ عند النحاة القدامي - كما يرى محمد الشاوش في أصوله - هو «لفظٌ دالٌّ على معنى الحدّث لا يفارقه، ومن أدلّة ذلك عَدَمُ عُثورنا على استعمالات عمدوا فيها إلى جَمْعِ النصّ على نصوص؛ باعتبار أنّ الجمع أفضل دليل على مفارقة المفردة لقسم المصادر، وانتقالهم لقسم الأسماء. أمّا النصّ عندنا اليوم: لفظٌ تمحّض للاسمية، ويدلّ على معنى الاسم لا يكاد يُفارقُه...» <sup>(10)</sup>.

يُجمع الباحثون المُحدثون أنّ (النصّ) كمصطلح غابَ عن نحائنا القدامي، ولكنهم كانوا يتعاملون مع استعمالات ومفاهيم أخرى أغنتهم عن كلمة «نص»، مثل مفردات الكلام والقول والخطاب.

الظاهر أنّ انتقال دلالة كلمة «نصّ» من مفهومها المعجمي القديم إلى الدلالة الجديدة في المعجمات الحديثة حصل بعملية مجازية <sup>(11)</sup>، وهذه العملية على الراجح أنها حدثت في ميدان الدراسات القرآنية من تفسير وفقه، ولم تحدث في ميدان العلوم اللغوية من نحو وبلاغة <sup>(12)</sup>.

### ثانياً : النصّ عند اللّسانيين الغربيين:

على الرّغم من اتّفاق علماء النصّ على أنّ النصّ هو (الوحدة الدلالية الكبرى)، فجديرٌ بالذكر أنّ نُبّه إلى أنّ كلمة (نص) أحيطت

بكثير من الغموض والإبهام ممّا حال دون وضوح دلالته، ولعلّ ذلك يرجع إلى تعدّد المعايير والأشكال، وتنوّع المداخل التي يفترضها كل باحث عن مفهوم النصّ. وربما يعود هذا الغموض إلى غايات وتوجّهات كلّ باحث؛ فمنهم من يركّز على الجانب الشكلي للنصّ، ومنهم من كان اهتمامه متوجّهاً إلى الجانب الدلالي، ومنهم من اهتمّ بالجانب التداولي<sup>(13)</sup>.

إذا أنعمنا النّظر في مقولات اللسانيين وعلماء النصّ الغربيين نضع أيدينا على أهمّ خاصيتين من الخصائص التي تحقّق النصّ كمصطلح ومفهوم؛ وهما :

أولاً: النصّ نسيجٌ .

ثانياً: الترابط النصّي.

ومن هنا وُصفَ النصّ بأنه نسيجٌ من الكلمات يترابط بعضها ببعض<sup>(14)</sup>.

يعرّف (برينكر BRINKER) النصّ بأنه تتابع مترابط. ويستنتج من ذلك أنّ الجملة بوصفها جزءاً صغيراً ترمز إلى النصّ، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة، أو علامة استفهام، أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنها وحدة مستقلة نسبياً<sup>(15)</sup>.

أمّا (فاينرش H.WEINRICH) فيرى أنّ النصّ «تكوينٌ حتميٌّ يحدّد بعضه بعضاً، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضاً لفهم الكل؛ لأنّ النصّ - في أصله - مترابط الأجزاء، والفصل بينها يؤدي إلى عدم وضوح النصّ وإلى عدم تحقّق الفهم. ويفسّر هذا بوضوح من خلال مصطلحي (الوحدة الكلية)، و(التماسك الدلالي للنص)<sup>(16)</sup>.

ورأى كلّ من هاليداي HALIDAY ورقية حسن R.HASSEN أنّ كلمة «النص» في علم اللغة تُستخدم للإشارة إلى أيّ فقرة، منطوقة أو مكتوبة، مهما طالّت أو امتدّت، شريطة أن تكون وحدة دلالية متكاملة.

فالنصّ، يمكن أن يكون منطوقاً أو مكتوباً، نثراً أو شعراً، حواراً أو منولوجاً، يمكن أن يكون أي شيء، من مثل واحد حتّى مسرحيّة بأكملها، من نداء استغاثة حتّى مجموع المناقشة الحاصلة طوال اليوم في لقاء هيئة» (17).

وأفضل نظرة للنصّ أنّه وحدة دلاليّة، وهذه الوحدة ليست وحدة شكّل ولكنها وحدة معنى. لذا فإنه - أي النصّ - يتّصل بالعبرة أو الجملة بالإدراك لا بالحجم (18).

ومع صلاحية كل التعاريف السابقة للنصّ، فإنّ (ديبوجراندي R.DEBEAUGRANDE) حدّده بصورة أكثر استيفاء بعد أن اطلع على الدراسات السابقة. فهو ينظر إلى النصّ على أنّه عبارة عن تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتّصال، ولا بدّ من صدور النصّ عن مشارك أو أكثر ضمن حدود زمنية معيّنة، وليس من الضروري أن يتألّف النصّ من الجمل وحدها، وإنما قد يتألّف من جمل أو كلمات مفردة أو آية مجموعات لغوية تحقّق أهداف الاتّصال، ومن جهة أخرى فقد يكون بين بعض النصوص من الصّلة المتبادلة ما يؤهلّها لأنّ تكون خطاباً (19).

الملاحظ أنّ بوجراندي نظر إلى النصّ من جميع زواياه؛ فجاء عنده التعريف أعمّ من غيره وأشمل، مؤكّداً على المعايير السبعة: (الاتّساق، الانسجام، القصديّة، المقبوليّة، المقاميّة، التناص، الإعلاميّة) (20).

### ثالثاً: النصّ في الدراسات العربية الحديثة:

لا أحد يُنكرُ أصالة المفهوم الاصطلاحيّ للنصّ في تراثنا العربيّ الإسلامي، ولا يختلف اثنان في أنّ علماءنا القدامى قد تفنّنوا في إجراء المعايير النصيّة على النصوص، خاصّة عند البلاغيين والمفسّرين، ولكن مع هذا فإنّ مفهوم النصّ، كغيره من المفاهيم والمعارف والعلوم، قد وفد إلينا من الحضارة الغربيّة، وهو منقطع الصّلة عن

ثراثنا المعجمي، إذ إنَّ «انتقاله إلى حَيِّز الدِّراسات الأدبية وشيوعه في أكثر النظريات الفلسفية والأدبية والنقدية الحديثة قد وضع المتلقِّي العربيَّ اليوم في حالة اضطراب يعيشُها جرَّاء قراءاته أو سماعه لهذا المصطلح، وهو يتردَّد في جميع الدِّراسات النقدية الحديثة، وذلك لعدم قدرته على الربط بين المفهوم (المعجمي العربي) الذي يَعْرِفُهُ وبين ما تُبْنِئُهُ الحقولُ المعرفيةُ في المصطلح من مفاهيم جديدة» (21).

فلاغرو أن نجد الباحثين واللِّسانيين العرب يرضخون للمصطلح الغربي بما يكتنزه من حُمولاتٍ معرفية، وبما يُضفي من علامةٍ لسانيةٍ ونقديةٍ جديدة.

ويمكن أن نمثِّل لذلك بعِيَّةٍ من الباحثين العرب في عصرنا:

1 - عمَدَ الدكتور محمد مفتاح إلى تتبُّع مفهوم النصِّ باعتبار الشفاهية والتدوين، إذ ينظر إليه على أنه «مدونة كلامية، وأنَّه حدثٌ يقع في زمان ومكان معيَّنين، يهدف إلى توصيل معلومات، ونقل تجارب إلى المتلقِّي» (22).

2 - ويرتقي الدكتور سعيد حسن بحيري بالنصِّ إلى المفهوم الإجرائي التداولي، فهو يراه «مجموعة من الأحداث الكلامية التي تتكوَّن من مُرسلٍ للفعل اللِّغويِّ ومُتلَقٍّ له، وقناة اتِّصال بينهما، وهدفٌ يتغيَّر بمضمون الرِّسالة، وموقف اتِّصالٍ اجتماعيٍّ يتحقَّق فيه التفاعل» (23).

3 - أمَّا الأزهر الزِّناد فينظر إلى النصِّ على أنه «نسيج» (24) من الكلمات يترابط بعضها ببعض، كالخيوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعدة في كيان كلي متماسك» (25). ويبدو أثر (سوسير) واضحاً في تعريف الأزهر للنصِّ، حيث يرى أنَّ النصَّ عبارة عن

«علامة كبيرة ذات وجهين: وَجْهُ الدَّال، وَوَجْهُ المدلول ... والنصُّ نسيجٌ من الكلمات يتربط بعضها ببعض»<sup>(26)</sup>.

وتعريف الأزهر الزناد قريبٌ من تعريف هارفع (R.harweg) الذي رأى في النصّ «أنّه ترابطٌ مستمرٌّ للاستبدالات السنتجيمية»<sup>(27)</sup> التي تظهرُ التّرابطُ النحويّ في النصّ»<sup>(28)</sup>.

وقد تبنى كلٌّ من إبراهيم الفقي وسعيد بحيري ما قدّمه دي بوجراند ودريسler DRESSLER في مفهوم النصّ، حيث ذكرا أنّ النصّ ما هو إلّا حدثٌ اتصالي يستلزم - حتّى يتّصف بالنصيّة - أن تتوافر سبعة معايير مجتمعة<sup>(29)</sup>، وهي: الاتّساق (السبك) أو الربط النحوي: Cohesion، الانسجام (الحبك) أو التماسك الدلالي: Coherence، القصديّة/ القصد - هدف النص: Intentionality، المقبوليّة/ القبول - موقف المتلقي من قبول النص: Acceptability، الإعلاميّة/ الإخبارية - توقع المعلومات: Informativity، المقاميّة: تتعلّق بمناسبة النص للموقف: Situationality، التناص<sup>(30)</sup>: Intertextuality.

رابعاً: الملامح الإجرائية لعلم اللغة النصّي في التراث العربي:

بادئ ذي بدء الدراسات النصيّة لم تكن حكرًا على علماء اللغة المُحدّثين، إذ أثبت كثيرٌ من الباحثين والدارسين أنّه توجدُ إشاراتٌ نصيّةٌ قيّمةٌ في تراثنا العربي تجاوزَ فيها علماءُ اللغة والنحو دراسةَ الجملة إلى دراسة النصّ، حيث «زاد علماءُ البلاغة والنقد الأدبي والمفسّرون على ذلك مباحثَ تواجهُ وحدةً لغويّةً أكبر من الجملة، رغم تفاوتهم في استحضار مقتضيات التواصل في أثناء مواجهة النص»<sup>(31)</sup>.

لذلك، فإنّ فكرة النصيّة، متحقّقةٌ في تراثنا العربي (النحوي والبلاغي والنقدي وفي كتب التفسير)، وتتقاطع - في كثير من المحاور - مع ما قدّمته اللسانيات المعاصرة في دراسة النص. وهذا ما أكده

الأستاذ عبدالرحمن الحاج صالح بقوله: «وفي ضوء النظريات التي وضعها اللسانيون في زماننا هذا، حدث اكتشاف آخر مهم بالنسبة إلى الباحثين في اللسانيات بصفة عامّة، والباحثين العرب بصفة خاصّة، وهو وجود مجموعة من المفاهيم والتصورات العلمية، وبجانبها مجموعة من المناهج التحليلية عند أقدم النحاة العرب لا تقل أهمية عما أثبتته اللسانيات الحديثة، وأجل هؤلاء النحاة وأكثرهم أصالة هم: الخليل بن أحمد، وسيبويه، والأخفش الأوسط، وأبو علي الفارسي، وابن جني»<sup>(32)</sup>.

#### (أ) - عند النحويين:

نلمح الدراسة النصيّة عند النحاة القدامى من خلال التأليف التي تناولت النصّ القرآني بالشرح والبيان والتفسير، وأول ما يصادفنا في ذلك معاني القرآن وأعاريبه؛ من ذلك معاني القرآن للأخفش والفراء، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، وكتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري الذي جعل من القرآن الكريم محور كتابه.

فالنظام النحوي هو الذي يكفل تتابع الجمل وترابطها، ومنه يتكوّن الخطاب/ النصّ، وبالتالي يتحقّق التماسك والانسجام، إذ «شاع بين الدارسين أنّ التراث النحوي لم يُعنَ بالنظر في هذا المجال، وأنّه وقف عند حدود الجملة الواحدة، وهذا الأمر فيه نظر؛ لأنّ منهج النحاة جاء أكثر استيعاباً لصوّر الترابط بين الجمل»<sup>(33)</sup>.

كما وقف اللغويون والنحاة على طائفة من الألفاظ والكلمات التي تلامس عنصر التماسك النصّي؛ مثل: (السبّك، والانسجام، والنّظم، والتعليق، والارتباط، والضمّ، والنسج، والتأليف، والبناء، والصياغة)، وذلك عبر الأبواب النحوية المختلفة، على مستوى الجملة غالباً. ويمكن أن نذكر حديث سيبويه في باب المسند والمُسند إليه، يقول: «هذا بابُ المسند والمُسند إليه، وهما ممّا لا يغني واحدٌ منهما عن الآخر، ولا

يجد المتكلم منه بُدًّا، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، والفعل والفاعل. وهو قولك: (عبد الله أخوك)، و(هذا أخوك)، ومثل ذلك: (يذهب عبد الله)، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بُدٌّ من الآخر في الابتداء»<sup>(34)</sup>.

وهذا يعني أنَّ سيبويه لاحظ أنَّ علاقة الإسناد هذه لا بد أن تنشأ من تضام كلمتين، وهذه العلاقة المعنوية هي التي أطلق عليها علماء النص الربط الدلالي، أو الحبك، أو الالتحام، وإن كان ذلك على مستوى الجملة، فإن الجملة هي نواة النص.

ويهتم سيبويه بموقع المفردة في التركيب ونظم الكلام، إذ يمكن أن يُعدَّ الأساس النحوي لمن جاء بعده. يقول عن الكلام «فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.. فأما المستقيم الحسن: أتيتك أمس، وسأتيك غداً، وأما المحال: فأَنْ تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً، وسأتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فتقول: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح: فأَنْ تضع اللفظ في غير موضعه نحو ذلك: زيدا رأيت، وكى زيدا يأتيتك، وأشبه هذا، وأما المحال الكذب فأَنْ تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس»<sup>(35)</sup>.

يضع سيبويه في نصّه هذا بعض أسس قبول الكلام وعدم قبوله، وهذه الأسس تتعلق باستقامة الكلام دلالياً فضلاً عن استقامته نحوياً؛ لأنّ الكلام غير المستقيم نحوياً ليس له تفسير دلالي، وسيبويه وإن لم يذكر مصطلح (النص) صراحةً، فإن لفظة (الكلام) توحى بأن هذا الأساس النحوي يمكن تطبيقه على الجملة وما فوق الجملة.

ويعالج ابن الأنباري (ت 327هـ) ارتباط الكلام من حيث النظم والبناء والتلاؤم في قوله «إنّ كلام العرب يُصحّ بعضه بعضاً، ويرتبط

أَوَّلُهُ بآخره، ولا يُعرفُ معنى الخطاب إلا باستيفائه واستكمال جميع معروفة»<sup>(36)</sup>. ومقتضيات هذا القول يُؤكدُه اليوم اللغويون المحدثون في اتساق النص، وارتباط أجزائه وتلاؤمها، وهو دليل واضح على سبق علماء العربية في النظر إلى المفردات من خلال التركيب والسياق.

ومن العناصر التي تسهم في بناء النصّ عنصر الإحالة؛ لأنّ قسماً من الألفاظ لا يملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر آخر مذكور في أجزاء أخرى من الخطاب. من ذلك وقوف علماء النحو على الضمائر وأهميتها في بناء النصّ لقدرتها على الربط بين أجزاء النصّ المختلفة شكلاً ودلالة.

ويمكن التمثيل لذلك من خلال ما جاء به الإستراباذي (ت 686هـ) حينما تحدّث عن الجملة الواقعة خبراً، يقول: «وقوله - يعني قول ابن الحاجب - (الخبر قد يكون جملة، نحو: زيدٌ أبوه قائمٌ وزيدٌ قائمٌ أبوه)، اعلم أنّ خبر المبتدأ قد يكون جملة فعلية أو اسمية...، ولا تخلو الجملة الواقعة خبراً من أن تكون هي المبتدأ معنى أولاً، فإن كانت، لم تحتج إلى الضمير كما في ضمير الشأن، نحو: (هو زيدٌ قائمٌ، وكما في قولك: (مقولي زيدٌ قائمٌ)؛ لارتباطهما به بلا ضمير، لأنها هو وإن لم تكن إياه، فلا بدّ من ضمير ظاهر أو مقدّر، وقد يقام الظاهر مقام الضمير، وإنما احتاجت إلى ضمير؛ لأن الجملة في الأصل كلامٌ مستقل، فإذا قصدت جعلها جزءً الكلام فلا بدّ من رابطة تربطها بالجزء الآخر، وتلك الرابطة هي الضمير، إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض»<sup>(37)</sup>.

ومع التطوّر الملحوظ الذي شهده الدرس النحوي في تراثنا العربي بما يوجي إلى توفّر بعض العناصر التي تسهم في التماسك النصّي، نجد ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ) قد تناول مجموعة من الروابط، فيما يسمّى في اللسانيات النصيّة بالإحالة القبلية، وذكر الروابط تحت عنوان (روابط الجملة لما هي خبر عنه)، والإحالة البعدية، وذكر

الرّوابط تحت موضوع (المواضع التي يعودُ الضميرُ فيها على متأخّرٍ لفظاً ورتبةً) (38).

ولا بأس هنا أن نورد هذه الروابط بإيجاز :

1 - «الضمير: وهو الأصل، ولهذا يربط به مذكوراً، كزيد ضربته، أو محذوفاً» (39).

وإشارة ابن هشام تتمثل في كَوْنِ الضمير أصل الروابط إدراكاً منه لأهميته في ترابط النصوص، وهذا ما يتفق مع نظرة علماء علم لغة النص .

2 - «الإشارة» (40)، نحو ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (41) الإشارة والضمير هما عناصر الإحالة عند علماء لغة النص.

3 - «إعادة المبتدأ بلفظه» (42). وأكثر وقوع ذلك في مقام التهويل والتفخيم، نحو ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾ (43) و﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (44)، ويمكن عدّ إعادة المبتدأ بلفظه من التكرار.

4 - «إعادته بمعناه» (45)، نحو (زيدٌ جاءني أبو عبد الله؛ إذا كان أبو عبد الله كنية له)، وإعادة المبتدأ بمعناه يندرج عند علماء النص المعاصرين في باب الاستبدال.

5 - «العطف بالواو ... نحو: زيدٌ قامَ وقَعَدَت هند» (46)، وهو من باب الوصل عند علماء اللغة النصيين.

ما يمكن أن نتوصل إليه، هو أنّ علماء اللغة والنحو العربي ساهموا قديماً في إنشاء نظرية لغوية نحوية نصيّة تلامس، في مسائلها وقضاياها ووسائلها الإجرائيّة، النظرية اللسانية الحديثة؛ ويبيّن الدكتور حسن بحيري في حديثه عن الدراسة النصية أنّ «أكثر الأفكار والأدوات التي

نادتُ بها، هي في الحقيقة ذات أصول عميقة راسخة أُعيدت صياغتها، ولم يحلّ ذلك التغليفُ الجديدُ من خلال مفاهيم ومصطلحات حديثة دون إمكان الكشف عن أصولها وتحديد موقعها في التراث المغضوب عليه»<sup>(47)</sup>.

هكذا بحث النحويون القدماء مفهوم النصّ، وكانت لهم القدرة على أن يقيموا النحو العربي على أسس نصيّة دلالية، وذلك باعتبار نظرتهم العميقة وفهمهم الدقيق لأنظمة الربط النحوي والتماسك الدلالي.

#### (ب) - عند النقاد:

ينبغي تلمّس الوسائل والإجراءات التي قدّمتها اللغويون والنقاد العرب قديماً، والتي من خلالها يتحقّق الترابطُ اللفظي والترابطُ المعنوي بين عناصر النص وأجزائها؛ لأنّ هذين المعيارين يمثلان السبك والحبك، وهما المعياران الأساسيان اللذان تتحقّق من خلالهما نصيّة النصّ كما هو في عرف علم اللغة النصّي.

ما يمكن الإشارة إليه أنّ النقاد العرب في تراثنا القديم كانوا على وعيٍ بمعياري النصيّة، المعيار الأوّل: (cohesion) الذي يعني بالجانب الشكلي للخطاب أو النص، وقد ورد في التراث العربي بمصطلح (السبك)، والمعيار الثاني: (coherence)، والذي يعنى بالجانب الدلالي، وقد ورد في التراث العربي بمصطلح (الحبك).

فقد اعتمد الجاحظ (ت 255هـ) في كتابه البيان والتبيين على مصطلح السبك في إشاراتِه بالشعر أو النثر المتلاحم الأجزاء. يقول في صفة الشعر: «وأجودُ الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخرج، فتعلم بذلك أنّه قد أفرغ إفراغاً واحداً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري الدّهان»<sup>(48)</sup>.

الجاحظ ينظرُ إلى السَّبكِ في البيت الواحد حتى يُصبحَ كالكلمة الواحدة، وهذا يقوِّدُ إلى السَّبكِ في النصِّ بأكمله.

ويقول أسامة بن منقذ (ت 584هـ): «وَأَمَّا السَّبْكُ؛ فهو أن تتعلَّقَ كلماتُ البيت بعضها ببعض من أوَّلِهِ إلى آخرِهِ»<sup>(49)</sup>.

فقد كان النقادُ العربُ في طليعة المهتمِّين بتحقيق نصِّية النصِّ من خلال الدعوة إلى وجوب الانسجام بين الناحيتين الشكلية والدلالية، وهذا ما تناوله الجاحظُ في مجال الاتِّساق والتماسك النصِّي، حيث وسمَ مجموعةً من الأبيات الشعرية بالتنافر، يقول: «ومن ألفاظ العرب ألفاظٌ تتنافرُ، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطعُ المنشدُ إنشادها إلا ببعض استكراه، من ذلك قول الشاعر:

وَقَبْرٌ حَرْبٌ بِمَكَانٍ قَضَرٍ      وَلَيْسَ قُرْبٌ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٍ<sup>(50)</sup>

ولمَّا أرى مَنْ لَا أَعْلَمُ لَهُ أَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُشَدَّ هَذَا الْبَيْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي نَسْقٍ وَاحِدٍ فَلَا يُتَعَبُّ وَلَا يَتَلَجَّجُ»<sup>(51)</sup>. فغاية البيان بلوغُ الفهم والإفهام، وعليه قرَّرَ الجاحظُ أنَّ أجودَ الشعر ما رأيتَه متلاحمُ الأجزاء.

الجاحظ يركِّز على تلاحم الأجزاء، بأن تتسم الكلمة بالسهولة واللين ويتجاوزها مع الكلمات الأخرى؛ وكأنَّ الجاحظ يشير إلى (التوافق الصوتي) أو ما يسمَّى في اللسانيات النصِّية بـ (السبك الصوتي) بين العبارات.

ومن النقاد العرب القدامى الذين عالجوا الظواهر النقدية في إطار النص بوصفه وحدة كبرى نجد ابن طباطبا العلوي (ت 322هـ)، يقول: «وينبغي للشاعر أن يتأمَّل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنظم له معانيها، ويتَّصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلاً من حشو ليس

من جنس ما هو فيه....، ويتفقّد كلّ مصراع: هل يشاكل ما قبله؛ فربّما اتّفق للشاعر بيتان، يضع مصراع كلّ واحد منهما في موضع الآخر، فلا يُنبه على ذلك إلاّ من دقّ نظره ولطف فهمه»<sup>(52)</sup>.

فانتظام المعاني واتّصال الكلام توفّر للخطاب/النصّ نسقاً عاماً وحبكاً كلياً من خلال بنيته الكبرى، إذ «أحسنُ الشعر ما ينتظم القولُ فيه انتظاماً يتّسقُ به أوّله مع آخره على ما ينسقه قائله، فإنّ قدّم بيتٌ على بيت دخله الخللُ كما يدخلُ الرسائلُ والخطبُ إذا نُفِضَ تأليفها...، بل يجب أن تكون القصيدة كلّها ككلمة واحدة في اشتباه أوّلها بآخرها، نسجاً وحسناً وفصاحة، وجزالة ألفاظ، ودقة معانٍ وصواب تأليف... حتى تخرج القصيدة كأنّها مفرغة إفراغاً، ولا وهّي في مبانيها، ولا تكلف في نسجها، تقتضي كلّ كلمة ما بعدها، ويكون ما بعدها متعلّقاً بها مفتقراً إليها»<sup>(53)</sup>.

ولإثبات المشكلة بين أجزاء القول الناجمة عن اتّصال الكلام وتنظيم المعاني يذكرُ هذين البيتين اللّذين يُنسبان لامرئ القيس:

كأنّي لم أركبُ جواباً للذّة      ولم أتبطّنْ كاعباً ذات خلخال  
ولم أسبأ الزقّ الرويّ ولم أقلُّ      لخيلى كُريّ كَرّةً بعد إجفال<sup>(54)</sup>  
يعلّقُ ابنُ طباطبا على البيتين، يقول<sup>(55)</sup>: «هكذا الرواية، وهما بيتان حسنان، ولو وُضِعَ مصراعُ كلّ واحدٍ منهما في موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسج، فكأنّ يروي:

كأنّي لم أركبُ جواباً ولم أقلُّ      لخيلى كُريّ كَرّةً بعد إجفال  
ولم أسبأ الزقّ الرويّ للذّة      ولم أتبطّنْ كاعباً ذات خلخال

وهكذا «يقضي مبدأ انتظام المعاني واتّصال الكلام أن يكون نصّ الشاعر هو المتمتع بالمشكلة؛ وذلك أنّ ركوب جواده في المصراع

الأول يشاكله أمر خيله بالكُرّ في المصراع الثاني. الكلام هكذا متّصل، والمعاني هكذا منتظمة»<sup>(56)</sup>.

ومن المحاولات النقدية الرائدة التي نظرت إلى النصّ الشعري بنية كاملة، ما قام به حازم القرطاجيّ (ت)، في دراسته لقصيدة المتنبيّ (ت 354هـ)، يمدحُ فيها كافوراً الإخشيدي. يقول في مطلعها<sup>(57)</sup>:

أغالبُ فيكَ الشوقَ والشوقُ أغلبُ      وأعجبُ من ذا الهجر والوصلُ أعجبُ  
حازم القرطاجيّ له نظرةٌ أشملُ للنصّ؛ حيث يقومُ بتقسيم القصيدة إلى فصول، واشترط أن يكون معنى كلِّ فصل تابعاً لمعنى الفصل السّابق له ومرتبّطاً به، ثمّ وَضَعَ لهذه الفصول أحكاماً في البناء تضمن تماسك الفصل، وتماسكُ الفصول يؤدّي إلى تماسك النصّ. فهو يصف مواد الفصل (الموضوع والألفاظ) بأنّها يجبُ أن تكون «متناسبة المسموعات والمفهومات، حسنة الاطراد، غير متخاذلة النّسج، غير متحيّز بعضها عن بعض، التميّز الذي يجعل كلَّ بيت كأنه منحاز بنفسه»<sup>(58)</sup>.

وأشار الدكتور صلاح فضل إلى محاولة حازم، بأنّها تمثّل النظرة الكلية إلى النصّ، يقول: «حالة فريدة لم تتكرّر ينبغي الإشارة إليها، والتّويه بها، وهي التي نجدها عند بلاغي مغربي متأخر هو حازم القرطاجيّ في تحليله لأجزاء القصيدة، وتسميته لكلِّ منها فصلاً، وتمييزه بين (المطلع): وهو البيت الأول منها، و(المقطع): وهو مكان الوقوف، ولا يهمل الإشارة إلى وَصَلِ الفصول بعضها ببعض، بل يفعل ذلك بأسلوب الشرط، إذ يشترط أن يكون معنى كلِّ فصل تابعاً لمعنى سابقه، ومنتسباً إليه في الغرض... ويمضي في تطبيق هذه التّصورات على قصيدة المتنبيّ: (أغالبُ فيكَ الشوق والشوقُ أغلبُ)، فيوردها

كاملة، مُحللاً العلاقة بين أجزائها ووحداتها المكوّنة على هذا الأساس الدلالي الذي لا يقف عند حدود التعالق النحوي بين الجملتين»<sup>(59)</sup>.

### (ج) - عند البلاغيين:

إذا تأملنا علم البلاغة وسيلةً إجرائيةً تطبيقية على النصوص، نجدها تمثل «السابقة التاريخية لعلم النصّ، إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجّها العام المتمثل في وَصْفِ النصوص وتحديد وظائفها المتعددة... وكذا تتوجه إلى المستمع أو القارئ لتؤثر فيه، وتلك العلاقات ذات خصوصية في البحث اللغوي النصّي... فعملية الاتصال تجمع العلاقة بين أطراف الاتصال الأساسية (نص - منتج - متلق)، وكيفيات التفاعل بينها...»<sup>(60)</sup>.

في البلاغة العربية برزت النظرة الشمولية إلى النصّ، فحينما ننظر - مثلاً - في كتاب إعجاز القرآن للباقلائي (ت 403هـ) نجده يؤكّد على النظرة الكلية الشمولية للنصّ القرآني بما يتمتع به من خصائص تضمن انسجامه وتماسكه، وهي سبب إعجازه، يقول: «وقد تأملنا نَظْمَ القرآن فوجدنا جميع ما يتصرّف فيه من الوجوه التي قدّمنا ذكرها، على حدّ واحد، في حُسْنِ النّظم، وبديع التّأليف والرّصف، لا تَفَاوَتْ فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى المرتبة الدنيا، وكذلك قد تأملنا ما يتصرّف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حدّ واحد لا يختلف»<sup>(61)</sup>.

وهناك إشارات كثيرة مبثوثة في كتب العلماء الذين درسوا إعجاز القرآن الكريم عبر إدراك العلاقات النحوية (الوظيفية) بين الكلمات التي تتخذ منها موقعاً معيّناً في الجملة حسب قوانين اللغة، حيث كلّ كلمة في التركيب لابد أن يكون لها وظيفة نحوية من خلال موقعها من أجل وضوح المعنى وإبانة القصد.

أمّا عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) فقد قدّم نظرية نصية تكاد تكون متكاملة. ويمكن رصد المعالجة النصية عند الجرجاني من خلال استخدامه لبعض المصطلحات كـ (النظم، والتركيب، والترتيب، والتعليق، والاتّساق، والبناء، ومقتضى الحال، ومقام الاستعمال) التي تتمّ عن استيعاب قلّ أن نجده عند غيره، ويظهر هذا في الأساس النظري الذي وضعه لنظريته في تحليل النصوص. يقول: «إنّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم تُوضع لتُعرف بها معانيها في أنفسها، ولكن لأنّ يُضَمَّ بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها فوائد. وهذا علمٌ شريفٌ، وأصلٌ عظيمٌ» (62).

وحتى لا تبقى آراؤه مجرد نظريات تجريدية، انتقل عبد القاهر الجرجاني في منهجه إلى الجانب العملي، ويتّضح ذلك في أثناء تعرّضه لتحليل الآية الكريمة ﴿قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضُ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (63).

والآية هنا تُعتبر نصاً لضمّها متوالية من الجمل والمفردات «وأنّ لم يعرض لها الحسنُ والشرفُ إلّا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وهكذا إلى أنّ تستقرّ إليها إلى آخرها، وأنّ الفضلُ نتاج ما بينها، وحصل من مجموعها» (64). ثمّ يعمد عبد القاهر إلى تفكيك مفردات الآية، يقول: «إن شككت فتأمل... قل: (ابلعي). واعتبرها وحدها من غير أنّ تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. وكيف بالشك في ذلك؟ ومعلوم أنّ مبدأ العظمة في أنّ نُوديت الأرض، ثمّ أمرت، ثمّ في على أنه لم يغض إلّا بأمر أمر، وقدرة قادر... ثمّ مقابلة «قيل» في الخاتمة بـ «قيل» في الفاتحة أنّ كان النداء بـ (يا) دون (أي)، نحو: (يا أيّها الأرض)، ثمّ إضافة الماء إلى الكاف،

دون أن يقال: (ابلعي الماء) ... ثم أن قيل: (وغيض الماء)، فجاء الفعل على صيغة «فعل» الدالة<sup>(65)</sup>.

ويرجع الإعجاز إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، مؤكداً «أنَّ لَانْظَمَ في الكَلَم ولا تَرْتِيبَ حَتَّى يَعلَقَ بعضُها من بعض، ويُنْبئ بعضُها على بعض، وتُجَعَلُ هذا بسبب من تلك»<sup>(66)</sup>.

من خلال النظم استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يتخطى البحث في العلاقات التي تربط عناصر الجملة العربية في النحو التقليدي، ليؤسس نظرية تهتم بتحليل العناصر الداخلية للنص/ الخطاب الأدبي، حتى قيل: إنَّ عبد القاهر كان على بعد خطوة واحدة من «النصية» كما تُفهم في الدراسات المعاصرة<sup>(67)</sup>.

فالخطوات العملية التي قام بها الجرجاني تكشف أنَّ بناء النص لا يكون إلا بقوانين وآليات وأصول النحو العربي، يقول: «واعلم أنَّ ليس النظم إلا أنَّ تضعَ كلامَكَ الوضعَ الذي يقتضيه علمُ النحو، وتعملَ على قوانينه وأصوله، وتعرفَ مناهجه التي نُهجَتْ؛ فلا تزِغُ<sup>(68)</sup> عنها، وتحفظَ الرِّسومَ التي رُسمت لك، فلا تخلُ بشيءٍ منها»<sup>(69)</sup>.

والمتمأمل في مقولات ديوجراند وما توصل إليه من آراء ونظريات في علم اللغة النصي، نجدها تتقاطع مع طروحات عبد القاهر الجرجاني. يقول ديوجراند: «وعلى منتج النص أن يضع خطة للمحتوى المفهومي والعلائقي للنص، ثم يضع هذا المحتوى في صورة سطحية، أما من يستقبل فعلية أن يخطط لإعادة السطح إلى المحتوى، وإعادة المحتوى إلى الخطة التي وضعها هو، أي: المنتج لهذا المحتوى»<sup>(70)</sup>.

### الخاتمة:

هكذا وصلنا إلى نهاية هذا البحث، وهي نهاية أقل ما يُقال عنها أنها لم تصل إلى درجة النضج والاكتمال بحيث لا تترك مجالاً للإضافة والتوجيه.

بادئ بدء يُمكنني أن أُحدّد القيمة العلمية لهذا البحث في ثلاثة محاور رئيسية:

الأول: تناول البحث فرعاً جديداً من فروع الدراسات اللغوية، يُعرف بـ (علم اللغة النصّي)، يرمي إلى الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل النص. ومما تجدر الإشارة إليه، أن وظيفة علم لغة النصّ مستقاة من أهميّته، فالحاجة إلى دراسة النصّ أصبحت ضرورة بعد أن عجزت الجملة في إغناء الدراسات الحديثة فيما يتعلق بصفات النصوص وظروف إنتاجها.

الثاني: محاولة التأسيس والتأسيس المعرفي للدراسات اللسانية النصّية الماثلة في نماذج تطبيقية في تراثنا اللغوي العربي الإسلامي، وذلك بإبراز مساهمات العلماء في تراثنا العربي في حقل علم لغة النصّ.

الثالث: حاولت أن أرسم صورة واضحة المعالم تُبين صلة التراث العربي القديم بالدراسات اللسانية الحديثة، في إطار القراءة الواعية لتراثنا بسبر أغواره واكتناه أسرارهِ دون تقديس أو تهميش، إنّما هو الإيمان الراسخ بأسبقية التراث العربي لكثير من ملامح ومظاهر اللسانيات النصّية في العصر الحديث، بل وتقدمه في كثير من الآراء. وهذه أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث:

1 - نجاعة دراسة ظواهر اللغة دراسة تكاملية، وأعني بالدراسة التكاملية: النظر إلى علوم العربية نظرة شمولية للارتباط الوثيق فيما بينها؛ فالنحو والصرف والبلاغة والتفسير كل متكامل، ويجب أن تشمله نظرة واحدة.

2 - كشف البحث عن الإنجازات الهامة التي أبدعها علماؤنا في التراث العربي في مجال تطبيق القواعد والقوانين في دراسة النصوص وتحليلها.

- 3 - أشار البحثُ إلى أنَّ وظيفة علم لغة النص تتمثل في:
- الإحصاء للأدوات والروابط التي تسهم في التحليل.
  - الوصف لشكل النص، وموضوعاته، والوصف لهذه الأدوات والروابط.
  - التحليل: بإبراز دور هذه الروابط في تحقيق تماسك النص مع الاهتمام بالسياق والتواصل.
- 4 - أنَّ أدوات السِّبْكِ التي تناولها العلماءُ والدارسون ليست اكتشافاً جديداً في اللغة، فهي الروابطُ نفسها في نحو الجملة، غير أنَّ النظرة إليها اتَّسعت مع علم اللغة النصِّي .
- وأخيراً، أملي أن يكون هذا البحثُ قد أضاء جانباً هاماً من جوانب النصِّيَّة في الدرس اللغوي العربي القديم مُتمثلاً في اعتماد علم اللغة النصِّي منهجاً في دراسة النصوص وتحليلها، عسى أن يفتح البحثُ آفاقاً جديدة لدراسات لاحقة.

## الهوامش

- (1) الفصل بين معياري النص (السبك والحبك): هو إجراء منهجي وتقسيم علمي فرضته طبيعة الدراسة، التي تهدف إلى الكشف عن وسائل الترابط النصي، النحوية والدلالية؛ لأنَّ صفة النصِّ تطلق على النص نتيجة اتحاد جانبي السبك والحبك. السبك (الترابط اللفظي)، والحبك (الترابط المفهومي)، فالتجانبان النصيان لا يمكن الفصل بينهما. فهما كوجهي العملة الواحدة .
- (2) معجم تهذيب اللغة، الأزهرى أبو منصور محمد بن أحمد، تح: رياض زكي قاسم، 3585/4 (ن ص ص).
- (3) أساس البلاغة، الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1998م، مادة (نصص)، 275/2.
- (4) لسان العرب، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، ط 3،

- 1994م، 97/7، 98. مادة: (نصص). وينظر: معجم العين، الفراهيدي الخليل ابن أحمد، تح: مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسات الأعلى للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط 1، 1988م، 86/7.
- (5) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط 4، 2004م، ص 926.
- (6) الرسالة، الشافعي محمد بن إدريس، تحقيق وتعليق: عبد اللطيف الهميم، وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1، 2005م، ص 72.
- (7) التعريفات، الجرجاني أبو الحسن علي بن محمد، تقديم: أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، 1986م، ص 132.
- (8) المصدر نفسه، ص 132.
- (9) ينظر: التصور اللغوي عند الأصوليين، السعيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1981م، ص 146.
- (10) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، ط 1، 2001م، 183-186 (بتصرّف).
- (11) انتقال دلالة كلمة (نص) من المعاجم القديمة إلى المفهوم اللغوي المعجمي والاصطلاحي في المعاجم والكتب الحديثة، هي التفاتة دلالية وعلمية أشار إليها الزمخشري. ينظر: أساس البلاغة، 275/2 مادة (نصص).
- (12) ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش، 191/2.
- (13) ينظر: انفتاح النص الروائي: النص والسياق، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1989م ص 32، 33.
- (14) ينظر: التراكم العلاماتي بين النص المكتوب والنص المنطوق، محمد إسماعيل بصل، مقال (مجلة المعرفة)، وزارة الثقافة - الجمهورية العربية السورية، العدد: 370، 1994م، ص 66.
- (15) علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون- الشركة العالمية للنشر، لونغمان، ط 1، 1997م، ص 103.
- (16) ينظر: علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 108.
- (17) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1991م، ص 13.
- (18) ينظر: نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001م، ص 22، وينظر: انفتاح النص الروائي: النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2001م، ص 17.

- (19) ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1998م، ص 98-101.
- (20) ينظر: النص والخطاب والإجراء، ص 103-105.
- (21) ما هو النص؟، أحمد نهلة، مجلة المعرفة، تصدرها وزارة الثقافة بالجمهورية العربية السورية، العدد: 451، شهر أفريل 2001م، ص 81.
- (22) تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1986م، ص 120.
- (23) علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 110.
- (24) لفظ (نسج ونسيج) عربي أصيل، ورد عند ابن طباطبا العلوي في كتابه (عيار الشعر) في خمسة مواضع. ينظر: عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 2، 2005م، ص 37، 27، 44، 105، 109.
- (25) نسيج النص - بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1993م، ص 12.
- (26) نسيج النص، ص 12.
- (27) يراد بالسنتجميمية: الأفقية.
- (28) علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، ص 108.
- (29) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطباعة، القاهرة، ط 1، 2000م، 33/1، وعلم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، حسن بحيري، ص 145، 146.
- (30) ينظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، 103-105.
- (31) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1991م، ص 95.
- (32) أثر اللسانيات في النهوض بمستوى اللغة العربية (بحث) - ندوة مقدّمة لبحث وسائل تطوير إعداد معلّمي اللغة العربية في الوطن العربي بالرياض في مارس 1977م، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة- الرياض، ص 104. وينظر: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي، الدار العربية للعلوم، ص 36.
- (33) العلاقات النصية في لغة القرآن الكريم، أحمد عزت يونس، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط 1، 2014م، ص 54.
- (34) الكتاب، سيويو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 4، 2004م، 23/1.

- (35) الكتاب، سيبويه، 1/25-26.
- (36) الأضداد، ابن الأنباري أبو البركات، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الكويت، 1960م، ص 2.
- (37) شرح كتاب الكافية في النحو لابن الحاجب، الرضي الإستراياذي نجم الدين محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان (د.ت)، 1/212.
- (38) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ط) 1991م، 2/562-573.
- (39) المغني، 2/573.
- (40) ينظر: مغني اللبيب، 2/575.
- (41) سورة الأعراف: 36.
- (42) ينظر: مغني اللبيب، 2/575.
- (43) سورة الحاقة: 1-2.
- (44) سورة الواقعة: 27.
- (45) ينظر: المغني، 2/575.
- (46) ينظر: المغني، 2/576.
- (47) علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات، ص 13.
- (48) البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1/67.
- (49) البديع في نقد الشعر، حققه وقدّم له: علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1987م، ص 236.
- (50) البيت مجهول القائل، وقد نسب به بعضهم للجن بسبب تنافر أحرف ألفاظه. ينظر: كتاب الحيوان، الجاحظ أبو عثمان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3، 1969م، 6/207.
- (51) الجاحظ، البيان والتبيين، 1/65.
- (52) عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2005م، ص 129.
- (53) عيار الشعر، ص 131.
- (54) أسبأ: أشعري، الروي: المملوء، الإجمال: الانهزام بسرعة.
- (55) عيار الشعر، ص 130.

- (56) النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 2014م، ص 81.
- (57) ديوان أبي الطيب المتنبّي، شرح: العكبري أبي البقاء، ضبط وتقديم: عمر فاروق الطباع، شركة دار الأرقم، بيروت - لبنان، ط 1، 1997م، 1/173.
- (58) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس 1966م، ص 63.
- (59) بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، أغسطس 1992م، ص 246.
- (60) ينظر: بلاغة الخطاب، صلاح فضل، ص 252.
- (61) الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 3، 1971م، ص 37.
- (62) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، شرح وتعليق: محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط 2، 1997م، ص 391.
- (63) سورة هود: 44.
- (64) دلائل الإعجاز، ص 59.
- (65) المصدر نفسه، ص 53.
- (66) دلائل الإعجاز، ص 55.
- (67) ينظر: إشكالات النص - دراسة لسانية نصية، عبد الكريم بن جمعان، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 2009م، ص 256-257.
- (68) زاغ: مألّ واعوَجّ .
- (69) دلائل الإعجاز، ص 77.
- (70) النصّ والخطاب والإجراء، ص 421.

## التوجيه اللساني للتحويل المحلي والجذري في التراكيب العربية الموظفة في ربح الأعراف

رابح أحمد بومعزة(\*)

### مصطلحات البحث:

البنية العميقة: هي المعرفة الضمنية التي تمكن مستعمل اللغة من التقدير والتأويل.

البنية التوليدية للجملة الاسمية: هي التي يأتي المبتدأ فيها معرّفاً، لا نكرة، متقدماً على الخبر، مفرداً، لا بنية تركيبية، مذكوراً، لامحذوفاً. ويأتي الخبر فيها بعد المبتدأ، نكرة، لا معرفة، مفرداً، لاجملة اسمية أو فعلية أو شبه جملة، مذكوراً، لا محذوفاً، حقيقياً، لامن قبيل المستقيم الكذب، من نحو عمر بَحْرٌ.

والبنية التوليدية للجملة الفعلية: هي التي يأتي الفعل فيها تاماً، لا ناقصاً، متقدماً على فاعله أو نائب فاعله والفاعل فيها يأتي مفرداً، لابنية تركيبية فعلية أو اسمية. غير مسبوق بحرف جر زائد.

التحويل المحلي، هو التحويل الذي تبقى معه الجملة الاسمية اسمية، والفعلية فعلية، على الرغم من التحويل الذي يمسها، سواء أكان التحويل بالترتيب أم بالزيادة.

(\*) أستاذ النحو واللسانيات - قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة السلطان قابوس.

**التحويل الجذري:** هو التحويل الذي تنتقل فيه البنية التركيبية الفعلية إلى اسمية و الاسمية إلى فعلية. سواء أكان التحويل بالترتيب أم بالزيادة.

**التحويل بالترتيب:** هو التحويل الذي يتقدم فيه عنصر من عناصر الجملة الفعلية أو الاسمية لتحقيق غرض ما.

**التحويل بالزيادة:** هو التحويل الذي تزداد فيه زيادة على العناصر الأساسية للجملة .

**البنية السطحية:** هي البنية السلوكية القابلة للمعانة والتحليل.

**التحويل بالاستبدال:** هو التحويل الذي يتم فيه استبدال بنية إفرادية (وحدة لغوية) ببنية إفرادية، أو بنية إفرادية ببنية تركيبية لها الوظيفة النحوية أو الدلالية نفسها.

### مادة البحث:

من أهمية القرآن الكريم ومكانته تولدت رغبة الباحث في اختيار هذا النص الذي يعد رسالة لغوية غنية بما يرتبط ويحيط بموضوع البحث المنشود. لأنه الأجدر والأحق بمثل هذه الدراسة لاستيفائه معظم صور هذه البنى المحولة بالتحويلين المذكورين، ولأن هذا النص لم يشهد دراسة علمية موضوعية عرضت لهذه التراكيب الإسنادية بمختلف صورها على النحو الذي سلفت الإشارة إليه، فجاء الهدف الثاني من البحث، وهو الوقوف على صور تلك البنى التركيبية التي اعترها تحويل من التحويلين المشار إليهما .

### هيكل البحث:

ينتظم البحث مقدمة، ومدخلا، ومبحثين، وخاتمة، مدخل، موسوم: التحولات التي تعتري الجملة العربية، سعيًا إلى جعله ينطوي على مطالب ثلاثة، هي:

1 - ثنائية تقسيم البنى التركيبية وسداد معياره:

2 - ماهية التحويل و أنواعه.

3 - التحويل الجذري والتحويل المحلي

المبحث الأول: التوجيه النحوي واللساني للتحويل بالترتيب في المدونة..

المبحث الثاني: التوجيه النحوي واللساني للتحويل بالزيادة في المدونة.

خاتمة: تقدم فيها النتائج المتوصل إليها

### منهج البحث:

ولما كان البحث يرنو إلى دراسة التراكيب الإسنادية الأصلية دراسة متشعبة باللسانيات التي تبرز ما في هذه المدونة من خصائص و ثراء، فإنه بغية الوصول إلى ذلك اختار الباحث أن يسير في تحليل البنى العميقة للتراكيب المحولة بالترتيب والزيادة في المدونة، على خط المنهج التحويلي استقراء، وتتبعاً، وتحليلاً، لكونه يتناول تغيير البنيات اللسانية المنبثقة عن أصل واحد، ولكونه لا يكفي بالوصف السطحي، بل يتجاوزه إلى التفسير والتعليل.

### بسط الموضوع:

مدخل، التحولات التي تعترى الجملة العربية.

1 - ثنائية تقسيم البنى التركيبية وسداد معياره:

لئن كانت تعريفات النحاة للجملة متباينة لفظاً، فإنها متفقة معنى في كثير من الأحيان. ويتبدى ذلك من خلال تمثيلهم لمكوناتها. ويكاد يصلح كل تعريف للكلام تعريفاً للجملة. وإن جمهور النحاة والباحثين المحدثين الذي قفوا على آثارهم يعدّون الكلام والجملة مستويين لسانيين متميزين ومختلفين، ذلك أن الكلام شكل لغوي نحوي ودلالي مفيد<sup>(1)</sup>، بيد أن الجملة يمكن أن تكون شكلاً نحوياً ودالياً تاماً يسوغ

السكوت عليه، ويمكن أن لا تكون كذلك. وفي كلا الحالين، فإن الجملة العربية في أقصر صورها هي تركيب - أفاد ، أم لم يفد - لابد أن يتوافر فيه الركنان الأساسيان (المسند والمسند إليه) وجوداً أو تقديرًا، لأن هاتين الدعامتين تمثلان الحد الأدنى الذي تتعقد به الجملة، التي تقسم عندهم وظيفياً بحسب المسند إليه فيها إلى جملة «المسند إليه والمسند». وهي الجملة الاسمية. وجملة المسند والمسند إليه وهي الجملة الفعلية. ويرى «فندريس» أن جميع اللغات تتفق في هذين التقسيمين: الجملة الفعلية والجملة الاسمية، لأن هذين القسمين يشملان ما زاده بعض النحاة<sup>(2)</sup>. من الجملة الظرفية والجملة الشرطية.

وسميت الجملة الاسمية (جملة المبتدأ والخبر) اسمية باسم العنصر الذي يكون بموقع المسند إليه المبتدأ الذي تبتدئ به. وسميت الجملة الفعلية (جملة الفعل والفاعل) فعلية لأنها تبتدئ بفعل يكون بموقع المسند<sup>(3)</sup>. ذلك أن الجملة الاسمية هي التي صدرها اسم، والجملة الفعلية هي التي صدرها فعل. والتصدر الذي به يحكم على صنف الجملة أي فعلية أم اسمية إنما هو تصدر الكلمة التي تعد ركناً رئيساً في الجملة. فالجملة الاسمية ما كانت مركبة من مبتدأ وخبر، أو ما كان الأصل فيها كذلك، أي ما كان أصله المبتدأ والخبر<sup>(4)</sup>. والجملة الفعلية هي جملة تتركب من فعل تام وفاعل، أو فعل لم يسم فاعله ونائب فاعل. فالجملة الفعلية هي التي يكون فيها المسند فيها فعلاً لأن الدلالة على التجدد إنما تستمد من الأفعال وحدها<sup>(5)</sup>. والصورة الأساسية للجملة الفعلية البسيطة التي مسندها فعل أن يتقدم فيها الفعل على المسند إليه<sup>(6)</sup>. ولا يجوز تقدم المسند إليه عليه، لأن الفاعل يتنزل منزلة الجزء من الفعل بدليل أنه لا يستغني عنه، ولا يجوز إخلاء الفعل من الفاعل<sup>(7)</sup>.

والنحاة رأوا أن ما كان كالجُزء من متعلقة لا يجوز تقدمه عليه كالصلة والفاعل والصفة، والمضاف إليه، والاسم المجرور بحرف الجر، لأنه إن تقدم عُدَّ مبتدأ عند جمهور النحاة. ورأى بعضهم في هذه الجملة «أنه يمكن أن يكون المسند أشياء أخرى غير الفعل. كأن يكون وصفا لكونه يتمتع بالوظيفة نفسها التي يتمتع بها الفعل<sup>(8)</sup>. في نحو الجملتين البسيطتين» هل واضح التحويلات؟، وأمفهوم التحويلات؟ وما يقوي هذا الرأي أن الوصف يأتي بمعنى الفعل. والفعل في عرف النحاة لا خبر له<sup>(9)</sup> ثم إن تسمية النحاة للمرفوع بعد هذا الوصف «المجتهدان» فاعلا، و«المثالان» نائب فاعل دليل ثان على فعلية الجملة المصدرية بوصف عامل.

ولما كان المسند والمسند إليه هما الركنان الأساسيان للذات تنعقد بهما الجملة، سميت الجملتان الفعلية والاسمية بهما. أما العناصر الأخرى من مثل الظروف والمجرورات والمفاعيل والتوابع وسواها - لما لم تكن أركاناً أساسية «عمدة» - لم تُسمَّ الجمل باسمها، لأن هذه العناصر تعد متممة تتحرك قبل المسند والمسند إليه أو بعدهما أوفيما بينهما، ولا تؤثر على موقع ركني الجملة الأساسيين<sup>(10)</sup>.

والجملة الاسمية في عرف النحاة هي التي تبدأ بالمسند إليه الذي يسمى مبتدأ، يليه المسند وهو الخبر. والمقصود بالابتداء عندهم هو الابتداء الأصلي<sup>(11)</sup>. فالآية الكريمة: ﴿هل من خالق غير الله﴾ (فاطر: 3). جاءت الجملة الاسمية فيها مشتملة على مبتدأ هو «خالق» مسبوق بحرف جر زائد هو «من». ولم يخرج هذا الحرف من دائرة المبتدأ كما هو الأمر بالنسبة إلى النواسخ.

وتسمية النحاة لركني الجملة الاسمية الأصلية المعبر عنها بالبنية العميقة عند «تشومسكي» بالمبتدأ والخبر تسمية وظيفية، وليست شكلية كما تبدى لكليل النظر.

ومن الأهمية بمكان أن نسوق هنا قولاً لإمام البلاغيين يجلي هذه الحقيقة «وهنا نكتة يجب القطع معها بوجوب هذا الفرق أبداً، وهي أن المبتدأ لم يكن مبتدأً لأنه منطوق به أولاً، ولا كان الخبر خبراً لأنه مذكور بعد المبتدأ، بل كان المبتدأ مبتدأً لأنه مسند إليه، ومثبت له المعنى. والخبر خبراً لأنه مسند ومثبت به المعنى تفسير ذلك أنك إذا قلت: زيد منطلق فقد أثبت الانطلاق لزيد وأسندته إليه»<sup>(12)</sup>.

## 2 - ماهية التحويل وأنواعه:

إذا كان التحويل في النحوالتحويلي قائماً على أساس أن لكل تركيب إسنادي بنيتين: إحداها عميقة والأخرى سطحية - وكان لابد من التحويل بقواعده المختلفة، لكي يقوم بدور نقل البنية العميقة من عالم الفكرة المجردة إلى عالم التحقق الصوتي - فإن هذه الفكرة نفسها التي أدت إلى ضرورة التحويل، قد وجدت بشكل آخر في النحو العربي. ولكن النحويين العرب حين تناولهم فكرة المواءمة بين العمق المقدر والسطح الظاهر - انتهوا إلى أن هناك نموذجاً أو معياراً أو أصلاً تجريدياً في الغالب، يحاول الكلام الحي تنفيذه وإخراجه إلى حيز الوجود، وخلصوا إلى أن النموذج المجرد أساس للآخر، فحاسبوا الكلام المنطوق بمقياس هذا النموذج المجرد - فإنهم رأوا أن ليس هنالك لكل تركيب إسنادي بنيتين إحداها عميقة والأخرى سطحية، وإنما التركيب الإسنادي الذي يقتضي بنيتين هو التركيب المحول الذي يكون ظاهره ملبساً. فالجملة التوليدية (الواردة عناصرها على أصلها<sup>(13)</sup>) لا تحتاج إلى بنية عميقة. وإذا كان مصطلح «البنية العميقة» غير مصرح به في معالجة النحاة العرب للتراكيب الإسنادية المحولة، فإن مفهومه كان حاضراً في معالجتهم تلك. وجاء التعبير عنه بطرائق مختلفة من نحو قولهم: «أصله كذا» أو «قياسه كذا»، أو هو «على تقدير

كذا»، أو «تأويله كذا»، أو «على نية كذا». وهي كلها تعني أن هناك بنية عميقة وراء البنية السطحية المحولة<sup>(14)</sup>.

وقد استعمل مفهوم البنية العميقة في التفريق بين معاني التراكيب الإسنادية في الصيغ العربية التي يكون ظاهرها ملبسا فكان مفهوم البنية العميقة هو المؤدي إلى إزالة هذا اللبس.

وما يذهب إليه النحويون في باب تمييز الجملة يعد مثالا واضحا على التحويل الذي ورد صراحة حيث يقول «الأشموني» في حد تمييز الجملة «فتمييز الجملة رفع إبهام ما تضمنته من نسبة عامل فعل كان أو ما جرى مجراه من مصدر أو وصف أو اسم فعل إلى معموله من فاعل أو مفعول نحو «طاب زيدا نفسا» ﴿واشتعل الرأس شيئا﴾ (مريم: 4). فالتمييز محول عن الفاعل والأصل، طابت نفس زيد»، واشتعل شيب الرأس<sup>(15)</sup>. والجملة المحول عنها ليس من اللازم أن تكون افتراضية بحتة لا يتكلم بها، بل قد يكون من الجمل التي يمكن استعمالها ولكن يعدل عنها لغرض من الأغراض المختلفة التي قد ترجع إلى الإلف وكثرة الاستعمال أو إلى الاستخفاف كما أشار سيبويه في قوله: «وذلك قولك امتلأت ماء وتفقأت شحما (...) وإنما أصله امتلأت من الماء وتفقأت من الشحم. فحذف هذا استخفافا»<sup>(16)</sup>.

والتحويل هو إجراء الشيء على الشيء. وإجراء الشيء على الشيء هو عين التحويل - بما أن المحول والمحول له متكافئان - وهو من وجهة نظر المنطق في الرياضيات الحديثة تكافؤ غير اندراجي، وهو هذا الذي يحصل عليه بالقياس.

والتحويل عند العرب تحويلان: تحويل يبحث به عن تكافؤ البنى (توافق البناء عند العرب) وهو الأهم، وتحويل تفسر به الشواذ، بواسطة ما يعرف بـ «نظرية الحمل»<sup>(17)</sup>. وهو السلسلة من التحويلات التي

يتوصل بها من الأصل الذي كان ينبغي أن تكون عليه هذه الشواذ إلى الصورة المستعملة للجملة، أو الصيغة الصرفية في صيغتها النهائية. وهذه القواعد التحويلية قد تكون بالحذف، أو الاستبدال، أو بالإضافة، أو إعادة الترتيب وغير ذلك. وقد تكون هذه القوانين اختيارية. وقد تكون إجبارية. وفي كل حالة ينبغي أن يجري تطبيق القوانين التحويلية على تركيب من الممكن تحليله إلى عناصر سبق ظهورها في التركيب الباطني. أي لا بد من وجود وصف تركيبى قابل للتحليل، استناداً إلى عناصر التركيب الباطني. وهذا الشرط ضروري للسيطرة على القوانين التحويلية وحصر استعمالاتها. والنظرية التحويلية تهدف إلى تحديد قواعد اللغة كلها، وإلى بناء نموذج لآليتها، انطلاقاً من الفرضية التي تقر بمقدرة المتكلم المستمع على أن ينتج عدداً غير متناه من جمل لغته ويفهمها<sup>(18)</sup>، ذلك أن الأساس النظري الذي انطلقت منه هذه النظرية يقوم على مبدأ يقرر أن مهمة الوصف اللغوي هي أن تفسر لغة المتكلم المستمع الفعلية وسليقته أو قدرته اللغوية ومعرفته بهذه اللغة.

### 3 - أنواع التحويل:

للتحويل نوعان: تحويل جذري، وتحويل محلي.

#### 1-3 - أنواع التحويل:

«وهو التحويل الذي ينقل المركب الاسمي إلى رأس الجملة، ثم يعلقه بالعقد الأساس. ولذا فإنه ينتمي إلى مجال التحويلات الجذرية»<sup>(19)</sup>، وهي تلك التحويلات التي أطلق عليها الجرجاني مصطلح «التقديم لا على نية التأخير»<sup>(20)</sup>. يقول الجرجاني: «اعلم أن تقديم الشيء على وجهين تقديم يقال له إنه على نية التأخير (...)، وتقديم لا على نية التأخير ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم وتجعل له باباً غير بابيه وإعراباً غير إعرابه (...) مثل ضربت زيداً، وزيد ضربته،

لم يقدم زيدا على أن يكون مفعولا منصوبا (...) ولكن على أن ترفعه بالابتداء»<sup>(21)</sup>.

وهو الذي ينتقل فيه المسند إليه من مكان داخل الجملة إلى مركز الصدارة، متخلصا من أثر الفعل الذي كان العامل الأساسي فيه، من نحو: ﴿والله لا يحب الفساد﴾ (البقرة: 205). ذلك أن لفظ الجلالة «الله» في هذه الجملة لا يخضع وظيفيا للفعل «يحب»، وإنما العامل فيه هو الابتداء. ومن خلال التحليل النحوي العربي للجملة الواردة في تلك الآية، نلاحظ أن الجملة الاسمية المركبة تختلف جذريا عن البنية التركيبية الفعلية المضارعية المنفية الواردة في قوله تعالى: ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ (الأنعام: 76). لأن التركيبين الإسناديين «والله لا يحب الفساد»، و«لا أحب الآفلين» يعبران عن مواقف كلامية مغايرة تماما، كما انتهى إلى ذلك سيبويه وأمثاله حين تحليلهم مثل هذين التركيبين الإسناديين. يؤكد ذلك سيبويه بقوله: «فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت (...) وإنما تريد بقولك مبني عليه الفعل أنه (...) في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به (...)»<sup>(22)</sup>. ومثل ذلك الجملة الآتي ذكرها: «الطالب فهم التحويل» وإنما حسن أن يبني الفعل على الاسم، حيث كان معملا في المضمر وانشغل به.

وأساس ذلك أن من الشروط البنوية التي يجب توافرها في هذا النوع من التراكيب إجبارية الضمير العائد، لأن الفعل لابد له من اسم يشغل به، «إذ لا تعرف اللغات فعلا بدون بدون فاعل، ذلك أن الضمير العائد على المبتدأ المتصل بالفعل إجباري. ولولا ذلك لم يحسن»<sup>(23)</sup>. وهذا الضمير يعمل على المحافظة على سلامة البناء، وذلك بربط الخبر بالمبتدأ. وهذا التحويل الجذري اعتمد من طريق التفكيك. والتفكيك في هذه الجملة - لما كان باعتبار الجهة هو تفكيك

إلى اليمين<sup>(24)</sup> - عُد جذريا، حيث تغيرت وظيفة الاسم (الطالب) وتحولت الجملة الفعلية إلى جملة اسمية داخلية في إطار التحويل من طريق التبئير.

والتحويل الجذري نجده في الجملة الاسمية التي يعترها تحول بزيادة عنصر التحويل (ظن) وأخواتها، حيث تغدو هذه الجملة فعلية، فالمبتدأ يصبح مفعولا به أولاً، والخبر مفعولا به ثانياً. فالجملة الآتية: ظنت الطالبة الجملتين متساويتين، هي جملة فعلية محولة تحويلا جذريا. بنيتها التوليدية قبل الزيادة جملة اسمية، هي (الجملتان متساويتان). وباب ظن هي فروع متحولة عن أصل واحد هو الجملة الاسمية التوليدية التي قوامها المبتدأ والخبر، وفق خطوات ثابتة مطردة. «بل إن باب «ظن» ما يزال يحمل في عناوينه دلائل حاسمة على هذا التأصيل والتفريع في مبنى الجمل. ذلك أنه يعرف بباب الأفعال التي تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر»<sup>(25)</sup>.

### 2-3 - التحويل المحلي:

وهوما يعرف بالتقديم على نية التأخير أو الرتبة غير المحفوظة<sup>(26)</sup>، مع مراعاة التغيرات الدلالية الحاصلة في كل مرة. يقول الجرجاني: «اعلم أن تقديم الشيء على وجهين: تقديم يقال له إنه على نية التأخير، وذلك في كل شيء أقررت مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل»<sup>(27)</sup>. فالجملة الفعلية: «والله نسأل أن يفتح علينا» هي جملة فعلية محولة تحويلا محليا، بنيتها العميقة «نسأل الله أن يفتح علينا»، جرى عليها عنصر من عناصر التحويل، وهو الترتيب، بتقديم المفعول به «الله» على نية التأخير للعناية والاهتمام، أو الاختصاص<sup>(28)</sup>. فالجملة المشار إليها بقيت محافظة على فعليتها على الرغم من التحويل بالترتيب الذي عرفته.

وقد يكون التحويل المحلي في الجملة التي تدخل عليها زيادات من قبيل عناصر تقييد الخبر، ممثلة في (كان وأخواتها، وأفعال المقاربة، وأفعال الشروع، وأفعال الرجاء). فالجملة الاسمية: «كان مفهوم التحويل غامضا» هي جملة محولة تحويلا محليا، بقيت مصنفة في دائرة الجملة الاسمية على الرغم من دخول الفعل (كان) عليها.

والتحويل يتبدى في أربعة أقسام:

- 1 - التحويل بالترتيب.
- 2 - التحويل بالزيادة.
- 3 - التحويل بالحذف.
- 4 - التحويل بالاستبدال.

#### أولا - التحويل بالاستبدال:

إذا كان التحويليون يعتمدون مثل البنويين على مقياس التكافؤ - وهو صلاحية قيام الشيء مقام الشيء (الاستبدال في الاصطلاح اللساني الحديث) - فإن النحاة العرب يبحثون عن مكانة المحول ودوره الذي يؤديه في الجملة التي ينحصر فيها. والاستبدال هو إمكانية إقامة وحدة لغوية أو بنية تركيبية مقام وحدة لغوية أو بنية تركيبية أخرى، لأن «الشيء المقام مقام الشيء - بما أنه وحدة دالة - فهما من قبيل واحد تماما» (29).

«والاستبدال باب من أبواب التكافؤ، من حيث جمعه كل العناصر التي يمكن أن يستبدل بعضها ببعض في سياق معين. والعلائق الاستدلالية هي علائق قياسية. فما يقع في خانة واحدة يأخذ حكما واحدا وإن تعددت صورته. والتحويل بالاستبدال يشمل كل الوحدات الإسنادية الوظيفية المؤدية وظائف المبتدأ والخبر والفاعل ونائب الفاعل والمفعول به والنعت والحال والمضاف إليه والمستثنى. فهي

كلها استبدلت بمفرد يرتد إلى مصدر أو مشتق. واللافت للانتباه في هذه المسألة هو أن البنية السطحية والبنية العميقة بين المستبدل والمستبدل منه متكافئتان في اللفظ وفي الوظيفة النحوية، ولكنهما مفترقتان في المعنى.

## ثانيا - التحويل بالزيادة:

كل كلمة في الجملة ترتبط بالبوّرة فيها<sup>(30)</sup>، التي هي الفعل مع مرفوعه، والمبتدأ مع خبره بسبب وعلاقة معينة، وبذا يتحقق النظم في التراكيب الإسنادية. يقول الجرجاني: «لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك»<sup>(31)</sup>. «ولا يتحقق هذا من غير أن تعتمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تعتمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تتبع الاسم اسما آخر على أن يكون الثاني صفة، أو حالا أو تمييزا، أو أن تتوخى في كلام هو لإثبات معنى يصير نفيا، أو استفهاما، أو تمنيا، فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك. والتحويل بالزيادة لوجود العوارض التركيبية يعد وسيلة تؤدي إلى توافق أحكام النحو مع وجود الاستعمالات اللغوية الصحيحة.

والزيادة التي تعد عنصرا من عناصر التحويل، هي تلك الزيادة التي يضاف فيها إلى الجملة التوليدية كلمات قد تكون فضلات أوقيودا، وقد تكون عوامل متمثلة في النواسخ لتحقيق زيادة في المعنى. وقد تكون وحدات لغوية، لرض النفي أو التمني أو التعجب أو الاستفهام أو الترجي... وأساس ذلك أن كل زيادة في المبنى تتبعها زيادة في المعنى. قال السيوطي: «وأما تقييد الفعل بقيد من مفعول مطلق أو به، أو له، أو فيه، أو معه، أو حال، أو تمييز، أو استثناء، وذلك لزيادة الفائدة»<sup>(32)</sup>. فكل زيادة تدخل على الجملة التوليدية الفعلية أو الاسمية

تحول معناها إلى معنى جديد غير الذي كان. قال الجرجاني: «وكلماً زدت شيئاً وحدث المعنى قد صار غير الذي كان»<sup>(33)</sup>.

فالتحويل إن هو إلا حمل الشيء على الشيء وإجراؤه عليه بغية اكتشاف الجامع الذي يجمع المحمول والمحمول له. والذي ينطلق فيه من البنية التوليدية للجملة المكونة من عنصرين فتحمل عليها أخرى تكون فيها زوائد لإظهار كيفية تحول هذه النواة بتلك الزوائد.

«وهي في الحقيقة مقارنة بنوية أساسها ما يسمى في الرياضيات الحديثة بالتطبيق، وهي هنا تطبيق مجموعة على مجموعات أخرى طرداً وعكساً»<sup>(34)</sup>.

الخبر هو الجزء الأهم في الجملة الاسمية، وهو يتخذ عند سيبويه صوراً خارجية سطحية مختلفة الموقع والامتداد. (خبر المبتدأ، خبر لظل، مفعول حسب الثاني). ولكنه يعرف له دوراً واحداً ثابتاً في بنية عميقة أصلية يرتد إليها، ذلك أن «جملة كان وأخواتها وكاد وأخواتها، وإن وأخواتها، وباب ظن هي فروع متحولة عن أصل واحد هو الجملة الاسمية التوليدية» التي قوامها المبتدأ والخبر، وفق خطوات ثابتة مطردة، ذلك أن النحاة العرب ينطلقون من أقل ما يمكن أن يتكلم به مفرداً، وينظرون إلى العناصر التي يمكن أن تدخل ذلك الكلام دون أن تخرجه عن كونه كلاماً واحداً. ومن العناصر التي تدخل على الجملة الاسمية التوليدية كان وأخواتها، وإن وأخواتها وأفعال الشروع، والمقاربة، والرجاء، حيث تحولها إلى جمل تحويلية اسمية، فتقيد أخبارها بزمان معين، أو تؤكد، أو تنفيه. ومن عناصر الزيادة: أدوات النفي<sup>(35)</sup> التي تدخل على هذه التراكيب الإسنادية فتنتفي الحكم، وأدوات التوكيد<sup>(36)</sup> التي تؤكد المسند إليه أو المسند، وأدوات الاستفهام التي يسأل بها عن الحكم، وغيرها من الزيادات. سواء أكان لها أثر نحوي، أم لم يكن. وهناك عناصر تدخل على الجملة لدلالة إفصاحية من نحو أدوات

التعجب أو التنبيه. ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: 59). يعد الناسخ الحرفي «إن» عنصر تحويل جعل الجملة الاسمية التوليدية «اللَّهُ غفور» حاملة معنى التوكيد، لأن الزيادة تحول الجملة من معناها إلى معنى جديد. وهو ما عناه الجرجاني بقوله: «وكلما زدت شيئاً وجدت المعنى قد صار غير المعنى الذي كان». ومن الأدوات التي تضاف في صدر الجملة التوليدية الاسمية والفعلية حرفا الاستفهام الهمزة وهل. ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (مريم: 46). يلاحظ أن البنية التركيبية الاسمية التوليدية في هذه الآية هي: «أنت راغب عن آلهتي» مكونة من مسند إليه + مسند. فدخلت الهمزة في هذه البنية التركيبية لتفيد معنى الاستفهام، ولتحول البنية التركيبية التوليدية إلى بنية تركيبية تحويلية اسمية، ثم قدم المسند «راغب» للعناية والاهتمام<sup>(37)</sup>. ويمكن أن تعد هذه البنية التركيبية مضارعية محولة باستبدال المسند (الوصف) «راغب». إذ إن بنيته العميقة «ترغب» وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ (الأعراف: 272). يسجل أن البنية التركيبية الاسمية الاستفهامية «ألسْتَ بِرَبِّكُمْ» محولة بالزيادة المتمثلة في «همزة الاستفهام» المفيدة الإنكار، والفعل الماضي الناسخ «ليس» المفيد النفي، وحرف الجر (الباء) المفيدة التوكيد، والبنية التوليدية لهذه البنية التركيبية هي «أنا رب لكم». جاءت لتفيد الاختصاص، لأن مثل هذا التركيب ينبغي أن يكون المبتدأ فيه معرفاً، والخبر نكرة.

ومن مظاهر التحويل. بالزيادة في الجملة الاسمية تعريف الخبر لدواع بلاغية، في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَوَّلُكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (النحل: 108). فالخبر في هذه الجملة الاسمية البسيطة المحولة «الغافلون» ورد معرفاً بالوحدة اللغوية (ال) لإفادة كمال الصفة في الخبر، أي الكاملون في الغفلة، إذ يسجل فيه قصر الخبر على المبتدأ.

وقد تتعدد عناصر الزيادة لتحقيق التوكيد الذي يطلبه الخبر الإنكاري، في نحوقوله تعالى: ﴿إِنْ هَذَا لَهِوَ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ﴾ (الصفات: 6). حيث إن الجملة الاسمية في هذه الآية محولة بإضافة أربعة مؤكدات، هي: إن، ولام المرحلة (الدالة على التأكيد)، المقترنة بضمير الفصل (هو) المفيد التوكيد، ومجيء الخبر «البلاء» معرفاً بالسابقة (الـ). والبنية العميقة التوليدية لهذه الجملة الاسمية البسيطة هي «هذا بلاء». والتحويل بالزيادة في الجملة الفعلية قد يكون آتياً من ثلاث زيادات، تمثل ثلاثة مؤكدات تتضافر لتشكّل خبراً إنكارياً. وشاهده الجملة الفعلية الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَفْلَحُوا إِذَا أَبَدَا﴾ (الكهف: 20). فالجملة المضارعية المنفية في هذه الآية محولة بإضافة حرف النفي «لن» المفيدة نفي الفلاح في المستقبل، وإضافة عنصر التوكيد «إذا» و«أبدا»<sup>(38)</sup>، لإفادة أن هذا الفلاح مؤكد نفيه. والتحويل بالزيادة قد يكون محلياً، وقد يكون جذرياً.

### 1 - التحويل بالزيادة المحلي:

يكون التحويل المحلي في الجملة التي تدخل عليها زيادات من قبيل عناصر تقييد الخبر، ممثلة في (كان وأخواتها، وأفعال المقاربة، وأفعال الشروع، وأفعال الرجاء). فالجملة الاسمية: «كان مفهوم التحويل غامضاً» هي جملة محولة تحويلاً محلياً، بقيت مصنفة في دائرة الجملة الاسمية على الرغم من دخول الفعل (كان) عليها.

### 2 - التحويل بالزيادة الجذري:

والتحويل الجذري نجده في الجملة الاسمية التي تعترتها تحول بزيادة عنصر التحويل (ظن) وأخواتها، التي تنصب مفعولين أصلها مبتدأ وخبر، حيث تغدو هذه الجملة التي تدخل عليها هذه العناصر فعلية، فالمبتدأ يصبح مفعولاً به أولاً، والخبر مفعولاً به ثانياً.

### ثالثا: التحويل بالحذف:

الإيجاز سمة بارزة في اللغة العربية يحققها أسلوب الحذف الذي أنس به حذاق العربية، وسموه «شجاعة العربية» وللجرجاني كلمة رائعة عن الحذف أوردها في كتابه «دلائل الإعجاز» قال فيها «إنه بابٌ دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والبليغ من يختار الإيجاز ما أمكن التعبير عن فكرته بألفاظ قليلة، ويفضله عن الإطناب إذا لم تكن فيه زيادة معنى أو توسيع». ومن عادة العرب الإيجاز والاختصار والحذف طلبا لتقصير الكلام، واطراح فضوله، والاستغناء بقليله عن كثيره، ويندرج ذلك في الحفاظ على المجهود العضلي والاقتصاد في الكلام الذي يحتاج إليه المرسل.

ونلفت الانتباه إلى أن ثمة ارتباطا وثيقا بين الحذف، والتقدير والتعليل، فلئن ذهب بعضهم إلى أن الحذف والتقدير والتعليل مسائل خيالية محضة لا يعرف عنها العرب الأوائل شيئا فذلك - لأن العربي القح إنما نطق اللغة العربية على السليقة - فإن الحذف والتقدير يوصلان إلى ضبط ما لا يمكن ضبطه بغيرهما. فثمة تراكيب إسنادية (جمل) وقع فيها حذف، لو لم نقدره، ما استطعنا فهمها الفهم السليم. والحذف الذي يعد عنصرا تحويليا هو ذلك الذي يمس الجملة التوليدية الاسمية أو الفعلية لغرض في المعنى، وحيث إن الحذف خلاف الأصل، فإنه لا يعدل إليه إلا لسبب يقتضيه، مع قيام قرينة دالة عليه. سواء أكانت هذه القرينة حالية، أم مقالية<sup>(39)</sup>. إذ إن المحذوف بدونها لا يعلم بالنسبة إلى السامع، فيخل الحذف بالمقصود.

### رابعا - التحويل بالترتيب:

ليس بخاف علينا أن اللغة العربية تتميز بحرية النظم. فالكلمة فيها يتغير موقعها مع بقائها محافظة على معناها النحوي، ذلك أن

الجملة ينبغي أن تبنى بكيفية معينة في انتظام معين، بتقديم، وتأخير، وحذف على ضوء قوانين التحويل التي تهدف إلى تحقيق المعنى المراد. وإن النظام اللغوي للعربية يحافظ على رتب خاصة بالنسبة إلى إجراء الكلام، وفق الصور الإسنادية للجملة. ويمكن أن تتغير مكونات الجملة تقديمًا، أو تأخيرًا حين يسمح النظام اللغوي بذلك، وحسب السياق الكلامي.

ودراسة التقديم والتأخير قائمة على دراسة الرتبة في الجملة العربية. فقد حدد علماء النحو الرتبة وجعلوها محفوظة، وغير محفوظة. فإذا احتاج المتكلم أن يؤكد جزءًا من الجملة بدون إدخال الوحدات اللغوية التي للتأكيد، يجد اللغة العربية - بقراءتها المتنوعة، وأهمها علامات الإعراب - تساعده على تأدية هذا المعنى، فيقدم الجزء الذي يهتم به. يؤيد ذلك قول لسبويه مفاده «إنما يقدمون»<sup>(41)</sup> الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يهمانهم ويعنيانهم<sup>(42)</sup> ولقد عزز هذا المنزع الجرجاني بقول فحواء: «واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئًا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام»<sup>(43)</sup>. وإنما يقال مقدم ومؤخر للمزال، لا للقار في مكانه.

ونلفت الانتباه إلى أن التقديم والتأخير مرهونان بالأغراض، والأحوال التي تخص المخاطب والسياق الكلامي الذي يرد فيه التركيب الإسنادي في صورته، أي أن الإسناد المحول الواقع فيه التركيب المقدم، أو المؤخر منطلق أساسًا من فهم الأحوال المتحولة والمتغيرة للخطاب. وقد شرح الجرجاني الظاهرة التركيبية لعملية التقديم والتأخير للعناصر اللغوية. سواء أكان ذلك على يمين المسند أم على يساره<sup>(44)</sup>. وقد أدرك القدماء أن التقديم والتأخير يتعلقان بالمعنى في ذهن المتكلم. «فالأنفاض تقتضي في نظمها آثار المعاني. وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس»<sup>(45)</sup>.

والترتيب (التقديم والتأخير) الذي يعد عنصراً تحويلياً، هو ذلك الذي يتم فيه إجراء تغيير يقع على ترتيب عناصر البنية التركيبية، من نحو تقديم الفاعل على الفعل، أو المفعول به على الفعل والفاعل في الجملة الفعلية، ومن نحو تقديم الخبر على المبتدأ في الجملة الاسمية، أو تقديم عناصر توسعة الجملة (الفضلات) على أحد ركني الجملة الأساسيين، أو عليهما معا بغية إحداث تغيير في المعنى. فالترتيب عنصر تحويلي يرتبط بالبنية العميقة المتعلقة بالمعنى في ذهن مستعمل اللغة. ويتم بتقديم ما حقه التأخير، للتعبير عن ذلك المعنى ونقله إلى السامع.

وهذا النوع من التحويل بالترتيب قسم على قسمين: تقديم على نية التأخر ويسمى تحويلاً محلياً، وتقديم لا على نية التأخر، ويسمى تحويلاً جذرياً<sup>(46)</sup>.

### 1 - التحويل بالترتيب المحلي:

إذا أراد مستعمل اللغة أن يجري تغييراً في المعنى، عليه أن يجري تغييراً في المبنى. ويسمى هذا التغيير تحويلاً محلياً، يأخذ صوراً متعددة. منها ما يكون لغرض القصر. ففي قوله تعالى: ﴿بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ (الزمر: 66) يلاحظ الجملة الفعلية «بل الله فاعبد» قد قدم فيها المفعول به «الله» على الفعل والفاعل «فاعبد» وصولاً إلى قصر المفعول على فعل الفاعل<sup>(47)</sup>. أي قصر عبادتك على الله وحده. وفي قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ (الفاتحة: 5). يلاحظ أن الجملة المضارعية «إياك نعبد» هي جملة محوطة بنيته العميقة «نعبدك» لإفادة الاختصاص والقصر. ولقد كان نقلها إلى مستوى دلالي خاص يوافق أسلوب القصر الذي يتطلب نقل الاسم عن طريق التفكيك إلى اليمين. ولما كان ذلك يصطدم بنويا بعدم إمكانية استقلال المتصل بذاته، تحتم تحويله إجبارياً إلى قبيله، وهو الضمير المنفصل «إياك».

وأساس ذلك أن الجملة الفعلية ،التي يكون المفعول به فيها ضميراً متصلاً ،حين يراد أن يقصر الحديث عليه دون غيره ،فإنّ هذا الضمير المتصل يتحول إلى ضمير منفصل في محل نصب مقدم على عامله . فالاختصاص كان بسبب تقديم الضمير المؤدي وظيفة المفعول به .

وقد يكون التحويل بالتقديم لإحداث النغم الذي له درجة كبيرة ، وتأثير عجيب على السامع . ويلاحظ ذلك في فواصل القرآن الكريم في نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى: 9، 10) . ذلك أن الجملتين الفعليتين «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ» ، و«أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ» محولتان بتقديم المفعولين «اليتيم» ، و«السائل» على فعليهما «تقهر» ، و«تنهر» ، و محولتان بتقديم فاعليهما اللذين بنيتهما العميقة «أنت» . وهذا التحويل قد جعل النص محملاً بطاقة تأثيرية عالية جدا في الجانبين المعنوي ، والصوتي التنغمي» (48) .

2 - التحويل الجذري الذي يكون في التحويل بالترتيب يخص الجملة الاسمية التي يكون خبرها جملة فعلية . سواء أكانت هذه الجملة محضة ، أم منسوخة بالنواسخ (كان وأخواتها ، وكاد وأخواتها وعسى) .

المبحث الأول - التوجيه النحوي واللساني للتحويل بالترتيب في المدونة: لهذا النوع من التحويل صور شتى . فالصورة الأولى (49) : نجد أنموذجا لها في الآية الكريمة: ﴿سواء عليكم أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ (الأعراف: 139) . حيث إن الجملة الاسمية المركبة المحتواة في هذه الآية مركبة من مسند خبر محول بالترتيب (مقدم) هو «سواء» ، ومن بنية تركيبية ماضوية بسيطة هي «أَدْعَوْتُمُوهُمْ» . والبنية السطحية لهذه البنية التركيبية تتكون من همزة استفهام + فعل ماض مبني على السكون «دعوا» + فاعل (ضمير الرفع المتصل «تم» ) + مفعول

التوجيه اللساني للتحويل الحلي والجذري في التراكيب العربية الموظفة في ربع الأعراف

به (الضمير المتصل «هم»). يلاحظ أنها جاءت لتؤدي وظيفة المبتدأ في هذه الجملة المركبة. والبنية العميقة لهذه البنية التركيبية الواقعة مبتدأ مؤخر هي «دعاؤكم». ولقد صرح «الفراء» بجواز وقوع ما اصطلاح على تسميته بالبنية التركيبية في بحثنا هذا مبتدأ. قائلًا عن هذه الآية الكريمة: «فيه شيء يرفع (سواء عليكم) لا يظهر مع الاستفهام. ولو قلت: «سواء عليكم صمتكم ودعاؤكم تبين الرفع الذي في الجملة»<sup>(50)</sup> فالبنية العميقة لهذه الجملة الاسمية المركبة هي «دعاؤكم إياهم وصمتكم عليهم سواء». وإذا كان ابن هشام يعلل وقوع مثل هذه البنية التركيبية مبتدأ لأنها في تأويل المصدر في المعنى وإن لم يكن معها حرف مصدري سابق<sup>(51)</sup>، فإن بعضهم قد عد همزة التسوية من أدوات السبك<sup>(52)</sup> وهمزة التسوية هي تلك التي تقع بعد كلمة «سواء». تليها صلتها المشتمة على لفظة «أم». والذي يُطْمَأُنُّ إليه هو أن هذه البنية التركيبية الفعلية مسبقة بهمزة التسوية.

وقد تكون مثل هذه البنية التركيبية الماضوية مقترنة بالوحدة اللغوية (أَنْ). ونقف على نموذج لذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ (الروم: 20). إذ إن البنية التركيبية الماضوية البسيطة «أَنْ خَلَقَكُمْ» مؤدية وظيفة المبتدأ المؤخر. وبنيتها العميقة «خلقكم». وفيها يتبين أن زمن الخلق هو الماضي.

وقد تأتي مثل هذه البنية التركيبية المحولة بالتأخير مضارعية، ونأخذ البنية التركيبية الواردة في الآية الآتية مثالاً لها: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ (الروم: 24). وهي «أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ» التي هي بنية تركيبية فعلية بسيطة مؤلفة من الحرف المصدري «أَنْ»، والفعل المضارع المنصوب «تقوم»، والفاعل «السما»، والمعطوف عليه «الأرض». والبنية الباطنية لهذه البنية التركيبية هي «قيام السماء والأرض». وبذلك تكون البنية العميقة للجملة الاسمية

المركبة في هذه الآية هي «ومن آياته قيام السماء والأرض». حيث يلاحظ أن هذه البنية التركيبية قد أدت وظيفة المبتدأ الذي تقدم عليه خبره «من آياته».

وقد لاحظنا أن الوحدة اللغوية «أن» قامت بوظيفة الربط، أي الوصل وتعليق البنية التركيبية الواقعة بعدها بالمسند الرئيس قبلها. والداعي الذي سوغ مجيء المبتدأ بنية تركيبية مضارعية يتمثل في إظهار حدث القيام في أجلى صورة و أبينها، وألقها بالمعهود؛ إذ ليس هناك ما هو أصح من الفعل المضارع لتحقيق هذا الغرض و بخاصة حين اقترانه بالحرف المصدرى «أن» الذي يجعله أقرب من اسم الفاعل الدال على التجدد والاستمرار.

وفيهما نقف على بنية تركيبية مؤدية وظيفة المبتدأ (المسند إليه) غير مقترنة بسابك.

ونجدها في الآية الكريمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْيَكُمُ الْبَرْقَ﴾ (الروم: 23). وهي «يريكُم البرق» المؤلفة من الفعل المضارع الرباعي «يُري» المتعدي إلى مفعولين هما «الضمير المتصل» (كم) و (البرق)، التي يسجل أنها جاءت مجردة من الحرف المصدرى. و بنيتها العميقة مصدر، هو «إراء تكُم البرق». وقد جاء خبر هذه البنية التركيبية المضارعية جارا ومجرورا «من آياته» متقدما عليها دفعا للبس، بالتنبيه على أن المتقدم (الجار والمجرور) خبر. فعلى الرغم من أن رتبة المبتدأ المتقدم، فإن الخليل و سيويه قد ذكرا أن هذه الرتبة غير محفوظة. فيتقدم الخبر و يتأخر المبتدأ (53).

ورأى «الفراء» في هذه الجملة الوظيفية «يريكُم البرق» أن من أظهر «أن» التي رأى بعضهم أنها محذوفة قياسا على المثل «تسمع بالمعدي خير من أن تراه -» يقول ابن هشام «تسمع على إضمار أن. والمعنى أن

تسمع، والذي حسن حذف (أَنَّ) الأولى ثبوت (أَنَّ) الثانية»<sup>(54)</sup>. والبنية العميقة لهذا المثل هي «سماعك به خير من رؤيتك له»<sup>(55)</sup> - فإن البنية التركيبية المذكورة هي في موضع اسم مرفوع<sup>(56)</sup>، أي مبتدأ.

ورأى أنه في حال إضمار هذا الحرف المصدر «أَنَّ» فإن التركيب الإسنادي لهذه الآية إنَّ هو إلا جملة فعلية، حيث قال: «وإن شئت»<sup>(57)</sup> يريكم من آياته البرق، فلا تضر أن ولا غيره»<sup>(58)</sup> لكن المتتبع لسياق هذه الآية التي وردت فيها هذه البنية التركيبية ضمن الجملة الاسمية يلاحظ أن كل الآيات الواردة قبلها أو بعدها. جملها المبدوء بها اسمية، قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون. ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين. ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون. ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ (الروم 20-25). حيث إن الآية: ﴿ومن آياته أن خلقكم﴾ والآية: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾. جاء المبتدأ فيهما بنية تركيبية ماضوية. والآية: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض﴾، والآية: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار﴾ قد جاء المبتدأ فيهما مصدراً صريحاً «خلق، منامكم»، والآية الأخيرة: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض﴾. قد ورد المبتدأ فيها بنية تركيبية مضارعية «أن تقوم»<sup>(59)</sup> السماء والأرض»<sup>(60)</sup>. وهذه الآيات يلاحظ أن جملها الاسمية كلها معطوفة على بعضها بعضاً مما يجعلنا نستأنس لاسمية التركيب الإسنادي لهذه الآية الكريمة المؤدية فيها البنية التركيبية الفعلية «يريككم البرق»

المضمـر حرفها «أن» وظيفـة المبتدأ، لأن البنية العميقة للبنية التركيبية المشتملة على الحرف السابـك ظاهراً أو مقدراً هي مصدر، بينما التي تفتقر إلى هذا الحرف فبنيتها مشتق.

والصورة الآتي ذكرها التي نقف على مثال لها في قوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ (يونس: 100). نجد التركيب الإسنادي «أن تؤمن» المكون من الحرف المصدرى السابـك «أن»، والفعل المضارع المنصوب «تؤمن»، والفاعل المضمـر «هي» يمثل بنية تركيبية مضارعية بسيطة تؤدي في هذه الجملة الاسمية المركبة المنسوخة وظيفـة اسم «كان» التي يلاحظ أن خبرها جاء متقدماً عليها لوروده جاراً ومجروراً «لنفس». والبنية العميقة لهذه البنية التركيبية المضارعية هي «إيمانها». وعلى الرغم من أن هذه البنية التركيبية يمكن أن تستبدل بذلك الاسم المفرد، فإن ثمة فرقاً في الدلالة بينها وبين هذا الاسم المفرد المصدر «إيمانه».

والصورة الموالية سنجد أن البنية التركيبية المضارعية فيها مقترنة بالفاء الرابطة. ففي الآية الكريمة: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ (الرعد: 17). فالجملة المركبة في هذه الآية وقع فيها تقديم لا على نية التأخير، أي تحويل جذري بمفهوم اللسانيات الحديثة. فالـمبتدأ «الزبد» لم يقدم للتركيز عليه، وإنما جعل وسيلة للفت انتباه السامع إلى منطلق مشترك بينهما يبنى عليه الخبر الجديد. ولنا أن نقابل هذه الجملة المركبة في الفرنسية بالاستعمال الذي تحدث عنه «مارتية» في قوله: «كثيراً ما يحتل مدخل الجملة عنصر لساني لا يحمل وظيفـة الفاعل وتلجأ اللغة إلى مثل هذا الاستعمال عندما تريد التركيز على هذا العنصر مثل «الرجل أعرفه» «L'homme je le connais». وهذا ما يدعم الاعتقاد بالأهمية التي توليها اللغة لصيغة الصدارة من كل المنظومات اللسانية، إذا إنها تؤدي من الناحية الشكلية على الأقل دور ما نطلق عليه

صاحب الأولوية»<sup>(61)</sup>. وقد حلل سيبويه الجملة ذات التحويل الجذري قائلاً: «فإذا بنيت الفعل»<sup>(62)</sup> على الاسم قلت: «زيد ضربته» فلزمت الهاء، وإنما تريد بقولك مبني على الفعل أنه في موضع منطلق إذا قلت: «عبد الله منطلق». فهو في موضع هذا الذي بني على الأول وارتفع به»<sup>(63)</sup>. لذلك فالبنية التركيبية المضارعية البسيطة «فيذهب جفاء» المؤلفة من فاء رابطة + فعل ماضٍ + فاعل «هو» + مفعول به «جفاء» مبني عليها المبتدأ «الزبد». فهي في موضع خبر له «وإنما حسن أن يبنى الفعل على الاسم حيث كان معملاً في المضمر وشغلته به»<sup>(64)</sup> ولولا ذلك لم يحسن لأنك لم تشغله بشيء»<sup>(65)</sup>. فلو قيل «وأما الزبد فيذهب» لم يحسن لأن الضمير العائد على المبتدأ إجباري ولولا ذلك لم يحسن على حد تعبير سيبويه<sup>(66)</sup>.

وأساس ذلك أن هذا العائد قد عمل على المحافظة على سلامة البناء. وذلك بربط الخبر بالمبتدأ. وهذا الضمير الغائب «هو» في قوة الاسم الظاهر «الزبد» في حقل المطابقة<sup>(67)</sup>. ولنا أن ننظر في قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا أَمْ السَّمَاءُ بِنَاهَا﴾ (النازعات: 27). حيث نجد أن خبر المبتدأ «السما» هو البنية التركيبية الماضوية البسيطة بنائها، لأن في رفع المبتدأ «السما» ما يجعل عطف الجملة الاسمية المركبة «السما بنائها»<sup>(68)</sup> صالحاً على الجملة الاسمية البسيطة «أَنْتُمْ أَشَدُّ خُلُقًا»<sup>(69)</sup>.

ويسجل أن البنية التركيبية المضارعية «فيذهب جفاء» قد أدت وظيفة خبر المبتدأ «الزبد»، وأنها جاءت مقترنة بالفاء. وبنيتها العميقة «فذاهب جفاء». وهي تدل على تأكيد إسناد الذهاب جفاء إلى الزبد.

وقد يكون التوكيد في هذه البنية التركيبية المضارعية المؤدية وظيفة خبر «لكن» آتياً من التحويل المحلي المتمثل في تقديم المفعول به على نية التأخير، في نحو الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا

و لكن الناس أنفسهم يظلمون ﴿ (يونس: 44). حيث إن البنية التركيبية المضارعية البسيطة «أنفسهم يظلمون» يلاحظ أن المفعول به فيها «أنفسهم» قد تقدم عن الفعل المضارع «يظلمون»، وفاعله المتمثل في واو الجماعة لإفادة تخصيص الناس ظلّم أنفسهم. وأساس ذلك أنك «إذا قدمت الفعل فإنك تكون بالخيار في إيقاعه على أي مفعول أردت، بأن تقول ضربت زيدا أو بكرا أو خالدا. وإذا أخرت الفعل وقدمت مفعوله، فإنه يلزم الاختصاص للمفعول على أنك لم تضرب أحدا سواه».

وفي قوله تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ (الإسراء: 59). نجد البنية التركيبية الماضوية البسيطة «أن كذب بها الأولون» المؤلفة من «أن»، وصلتها الفعل الماضي «كذب»، والجار والمجرور «بها»، و الفاعل «الأولون» يلاحظ أنها قد جاءت بعد أداة الحصر «إلا». وقد أدت وظيفة الفاعل حيث إن سببويه ينص على أن التركيب الإسنادي من مثل «أن كذب بها الأولون» يماثل التركيب «تكذيب الأولين بها»، من حيث هو ركن اسمي.

وهذه البنية التركيبية تفيد قصر منع الإرسال بالآيات على تكذيب الأولين بها.

وبنيته العميقة «تكذيب الأولين بها». والبنية العميقة للجملة الفعلية المركبة المشتملة عليها هذه الآية هي «وما منعنا الإرسال بالآيات إلا تكذيب الأولين بها».

ولمزيد من الإيضاح للتدليل على أن هذه البنية التركيبية الماضوية مؤدية وظيفة الفاعل نحذف كلا من «ما» النافية، وأداة الحصر «إلا» ليصبح التركيب الإسنادي الفعلي المركب «منعنا الإرسال بالآيات تكذيب الأولين بها»، أو «منعنا تكذيب الأولين بالآيات الإرسال بها»، ذلك أن الجملة الفعلية المركبة في هذه الآية وقع فيها تحويل محلي

تأخرت فيه البنية التركيبية الواقعة فاعلا على نية التقديم للغرض البلاغي المذكور آنفا.

وتستوقفنا الآية الكريمة: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾ (الإسراء: 94) على جملة ماضوية «أن قالوا أبعث الله بشرا» المؤلفة من «أن»، وصلتها الفعل الماضي «قال»، وواو الجماعة الفاعل، ومقول القول «أبعث الله بشرا» الوارد بنية تركيبية ماضوية بسيطة، يلاحظ أنها أدت وظيفة الفاعل. وبنيتها العميقة «قولهم أبعث الله بشرا». وهي تفيد قصر منع الناس الإيمان حين مجيئهم الهدى على قولهم أبعث الله بشرا استغرابا لذلك. ويلاحظ تقدم المفعول به (الناس) على الفاعل المشار إليه.

ولما كان المفعول به عنصرا ذا رتبة غير محفوظة سنجد البنية التركيبية الفعلية المركبة الذي احتوته محولة تحويلا محليا، بتقدم المفعول به فيها على الفاعل. وشاهدها قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة﴾ (الأنفال: 50)، حيث إن البنية التركيبية الماضوية «الذين كفروا» المؤدية وظيفة المفعول به يسجل مجيئها متقدمة على الفاعل «الملائكة» لغرض بلاغي يتمثل في بيان تشنيع حالة الكافرين حين احتضارهم وتوفيهم. «ولو قدم الملائكة في هذا الغرض لم يفد المعنى». وبنيتها العميقة «الكافرين».

والصورة الآتي ذكرها يسجل فيها تحويل بالترتيب مس الجملة الشرطية. وقبل أن نعرض لهذه الصورة التي تكون فيها البنية التركيبية الشرطية المحولة بالتقديم، نلفت الانتباه إلى أن الترتيب الأصلي للبنية التركيبية الشرطية يقتضي أن تتقدم البنية التركيبية التي للشرط، إلا أن أسلوب الشرط قد يأتي محولا بتقديم البنية التركيبية التي لجواب الشرط. وإن تقديم هذه البنية التركيبية التي لجواب الشرط لن يغير من فكرة التعليق. حيث يبقى هذا الأسلوب محتفظا بمعنى الشرط.

وإذا كان بعض النحويين رفضوا أن يكون المتقدم على أداة الشرط هو البنية التركيبية التي لجواب الشرط، لأن ذلك لا يتناسب مع القاعدة التي وضعوها القاضية بأن أداة الشرط لا تعمل الجزم إلا متقدمة، فإن الذي يطمأن إليه هو أن النصوص التي سنعرض لها تبين الخروج عن تلك القاعدة. ففي قوله تعالى: ﴿قال هؤلاء ضيفي إن كنتم فاعلين﴾ (الحجر: 71) نجد البنية التركيبية الشرطية «هؤلاء ضيفي إن كنتم فاعلين» المؤدية وظيفه مقول القول يسجل مجيء البنية التركيبية التي لجواب الشرط «هؤلاء ضيفي» اسمية بسيطة مقدمة.

وفي قوله تعالى: ﴿قال أين ما كنتم تدعون من دون الله﴾ (الأعراف: 37) نجد البنية التركيبية الاسمية المنسوخة «أين ما كنتم تدعون من دون الله» الاستفهامية المركبة محولة بتقديم اسم الاستفهام «أين» المؤدي وظيفه الخبر على المبتدأ «ما كنتم تدعون من دون الله» الوارد بنية تركيبية اسمية منسوخة مؤدية وظيفه مقول القول.

والتحويل بالترتيب يمس البنية التركيبية التي تؤدي وظيفه النعت. وتقف على مثال له في قوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب﴾ (النحل: 10). فالبنية التركيبية الاسمية المحضة «لكم منه شراب» المحولة بتقديم الخبر المتمثل في الجار والمجرور «لكم» على نية التأخير على المبتدأ «شراب» وردت في محل نصب نعتا للمنوعات «ماء» الواقع مفعولا به. وبنيتها العميقة وصف، اسم مفعول، هو «موجودا لكم منه شراب».

وقد تكون مثل هذه البنية التركيبية محولة تحويلا محلليا متمثلا في تقديم الخبر على نية التأخير. وتستوقفنا عندها الآية الكريمة: ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم﴾ (التوبة: 21). إذ إن البنية التركيبية الاسمية المحضة «لهم فيها نعيم مقيم» المؤلفة من الخبر المقدم المتمثل في الجار والمجرور «لهم

والجار و المجرور « فيها » الدال على المكان و المبتدأ « نعيم»، والنعت «مقيم» هي في محل جر نعت للمنعوت النكرة «رضوان» المعطوف على الاسم المجرور «رحمة». و بنيتها العميقة وصف ( اسم مفعول عامل، هو «موجودٌ لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ» ).

وهذا التحويل المحلي يعتري البنية التركيبية المؤدية وظيفة المضاف إليه. ففي قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (الانشقاق: 1). نجد أن البنية التركيبية الماضوية «السمااء انشقت» - لأن «إذا» لاتضاف إلا إلى البنية التركيبية الفعلية - المؤلفة من الفاعل المقدم «السمااء» على نية التأخير، والفعل الماضي المؤخر «انشقت» المتصلة به تاء التأنيث واردة في محل جر مضافا إلى «إذا» الظرفية. وبنيتها العميقة «انشقت السمااء». ونشدانا للتيسير فلا حاجة إلى أن نعرب «السمااء» فاعلا لفعل محذوف يفسره الفعل «انشقت»، والقول إن البنية العميقة لهذه البنية التركيبية هي «إذا انشقت السمااء انشقت» وحملا على الوجهين اللذين تعرب بهما الجملة الاسمية المبدوءة بوصف في حالة التطابق بين الوصف ومرفوعه، من حيث الأفراد والتذكير والتأنيث - إذ يعرب الوصف خبرا مقدما، والاسم المرفوع بعده فاعلا أو نائب فاعل له سادا مسد الخبر في نحو قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (مريم / 46) - فحملا على ذلك يصنف هذا التركيب الإسنادي ضمن التركيب الفعلي، وهو الذي نظمئن إليه، لأننا حين استقرائنا للبنيات التركيبية المؤدية وظيفة المضاف إليه الواقعة بعد «إذا» الظرفية في المدونة موضوع الدراسة، وجدناها كلها ينسحب عليها هذا الحمل، لكون المسند إليه فيها (أي الفاعل أو نائب الفاعل) ورادا مفردا، لا مثلى ولاجمعا. والقاعدة المقترحة هي أن يتقدم الفاعل، أو نائب الفاعل بعد أداتي الشرط «إذا»، و«إن» فقط، لأنهما استعمالا في أفصح الكلام، و هو كلام الله هكذا. ولا داعي إلى أن نتمحلا فعلا محذوفا يفسره ما بعده. وما الذي يضير أن تكون هذه القاعدة استثنائية.

وقد يعتري نظام الكلمات في البنية التركيبية الفعلية البسيطة تغيير بالتقدم، بحيث يكون المسند إلى «الفاعل» محولا تحويلا محليا بتقديم المفعول به على عنصر في هذه البنية التركيبية، على نية التأخير، لغرض بياني هو التأكيد. ففي الآية الكريمة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ (البقرة: 124). نجد أن البنية التركيبية الماضوية البسيطة «ابتلى إبراهيم ربه بكلمات» المؤلفة من الفعل الماضي «ابتلى» والمفعول به المقدم على نية التأخير «إبراهيم»، انطلاقا من أن جمهور النحاة يرون أن رتبة مثل هذا المفعول به الملتبس فاعله بضميره واجبة التقديم على الفاعل «ربه»<sup>(70)</sup>، لأن الرتبة عندما تكون ضرورية في ترابط الجملة بحيث تصبح الحرية فيها مؤدية إلى الغموض، أو الالتباس نجد النحاة ينصون على ضرورة الالتزام بها باعتبارها وسيلة من وسائل الترابط حيثما كانت ملتزمة أو مقيدة<sup>(71)</sup>، فنظام العربية ألزم أن يتقدم المفعول به في مثل هذه الموضع، لأن وجه الإسناد يختل إذا لم يتم مثل هذا التقديم. ونجد هذه البنية التركيبية الماضوية واقعة موضع المضاف إلى «إذا» الظرفية المبهمة. والبنية العميقة للمتضايفين هي حين ابتلاء الرب إبراهيم بكلمات». وقد أفادت تأكيد تقيد زمن الابتلاء بالماضي، لأن الظرف يعد أحد القرائن وظيفته أنه يأتي مخصصا أو مقيدا، لوقوع الحدث في الزمان أو المكان على خلاف ما لو كان التعبير بالمصدر المؤولة به هذه البنية التركيبية الماضوية الجاري فيها تحول محلي<sup>(72)</sup>.

**المبحث الثاني - التوجيه النحوي واللساني للتحويل بالزيادة في المدونة:**

لقد ورد لهذا النوع من التحويل صور متنوعة. فالزيادة التي لغرض التقصير الذي قوامه الوحدتان اللغويتان الزائدتان، اللتان تسييران تتضافران: (نفي + أداة القصر إلا) نقف على نموذج لها في قوله

تعالى: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن﴾ (يوسف: 25). حيث إن الجملة المضارعية «أن يسجن» المؤلفة من الحرف المصدرى السابق «أن»، والفعل المضارع المنصوب بها المبني لما لم يسم فاعله، ونائب الفاعل المضمرة الذي بنيته العميقة «هو» قد جاءت مؤدية وظيفية خبر المبتدأ «جزاء». والبنية العميقة لهذه الجملة الاسمية المركبة في هذه الآية هي «ما جزاء المرید بأهلك سوءاً إلا السجن». ويلاحظ أن القصر فيها من قبيل قصر الموصوف على الصفة<sup>(73)</sup>. وهذه الجملة هي جملة خبرية، وليست استفهامية.

وقد تكون هذه البنية التركيبية المؤكدة بالقصر اسمية منسوخة. ونقف عليها في قوله تعالى: ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ (هود: 16). إذ إن الجملة الاسمية البسيطة المنسوخة «الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار» المكونة من الموصول الاسمي «الذين»، والفعل الماضي الناسخ «ليس»، وشبه الجملة «لهم» المؤدية وظيفية خبر مقدم، والجار والمجرور «في الآخرة (ظرف المكان)، وأداة الحصر «إلا»، واسم «ليس» «النار» المؤخر مؤدية وظيفية خبر المبتدأ «أولئك». وبنيته العميقة «غير الموجود لهم في الآخرة إلا النار».

والتحويل بالزيادة قد يتمثل في عنصر تحدي الزمن الناسخ «أصبح»<sup>(74)</sup>. ونقف على نموذج لها في قوله تعالى: ﴿وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها﴾ (الكهف: 42). فالجملة المضارعة «يقلب كفيه» المؤدية وظيفية خبر الفعل الناسخ «أصبح» تبين أن فعل التقلب إنما كان في الماضي مصحوباً بتوقيت معين هو «الإصباح». ويلاحظ أن الفعل المضارع فيها «يقلب» يقدم لنا الدلالة على الحدث والحدوث المتكرر، والدلالة المزاولية والترجية والتفصيل في حدوث الحدث. وقد تعاون مع الفعل الماضي «أصبح» الدال على

توقيف الصباح على تزويدنا بصورة حركية ترسم في مخيلتنا حركة الكفين وهما يزاو لان التقلب مع تكرير هذا الحدث عدة مرات.

وفي قوله تعالى: ﴿قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾ (الأعراف: 150) يسجل أن البنية التركيبية المضارعية «يقتلونني» المؤلفة من الفعل المضارع «يقتلون»، وواو الجماعة الفاعل، ونون الوقاية، والمفعول به المتمثل في الضمير (ياء المتكلم) هي في محل نصب مؤدية وظيفية خبر «كاد». وهي تدل على أن قتلهم له اقتراب اقترابا كبيرا ولكنه لم يقع، وذلك في الزمن الماضي<sup>(75)</sup>، والذي دل على ذلك هو القرينة اللغوية (كاد) التي زيدت لتحويل الخبر ذلك التحويل.

وقد يرد عنصر التحويل (فعل المقاربة) هذا مسبقا بنفي. ففي الآية الكريمة: ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ (إبراهيم: 17). نجد الجملة المضارعية «يسيغه» الواقعة خبرا للفعل المنفي «لا يكاد» تدل على أنه يسيغه بعد إبطاء<sup>(76)</sup>، لأن «كادو» يكاد «إذا دخل عليهما نفي كان ذلك دليلا على إثبات حصول الفعل<sup>(77)</sup>. يؤكد ذلك قول أحدهم «ومقرونة بالجحد<sup>(78)</sup> تنبئ عن وقوع الفعل»، لأن نفي النفي إثبات. وهذا التحويل بالزيادة هو تحول محلي، بقيت فيه الجملة الاسمية المنسوخة اسمية.

والصورة الآتية نقف عليها في قوله تعالى: ﴿وظفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ (الأعراف: 12). حيث إن البنية التركيبية المضارعية «يخصفان» المؤلفة من الفعل المضارع المرفوع «يخصفان» المتصل به ألف الاثنين المؤدي وظيفية الفاعل هي في محل نصب مؤدية وظيفية خبر فعل الشروع «طفق». وقد دلت هذه الجملة على الشروع في حدث الخصف والابتداء فيه في الزمن الحالي<sup>(79)</sup>.

ومثل هذه الصورة يمكن أن تكون خبرا للفعل «أخذ». وشاهدها الآية الكريمة: ﴿وَألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه﴾ (الأعراف: 150). فالبنية التركيبية المضارعية «يجره» وظيفتها خبر فعل الشروع

«أخذ» الذي يعد فعلاً مساعداً دل باقترانه ببناء «يفعل» المتمثل في فعل هذه الوحدة الإسنادية «يجر» على الشروع في حدوث الجر<sup>(80)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ (يوسف: 83) يلاحظ أن الجملة المضارعية «أن يأتيني» المؤلفة من الحرف السابك «أن» والفعل المضارع المنصوب «يأتي»، وفاعله المضمرة الذي لا يخلو منه هو، ونون الوقاية، والمفعول به المتمثل في ياء المتكلم هي في محل نصب مؤدية وظيفة خبر «عسى». وهي تفيد رجاء سيدنا يعقوب عليه السلام من الله أن يأتيه بأبنائه جميعاً في المستقبل القريب<sup>(81)</sup>، لأن «عسى» تستعمل لدنو الخبر ومقاربتة (236).

وما يلفت الانتباه هو أن خبر «عسى» لا يجيء إلا مع الفعل المستقبل، لأن «عسى» وضعت لمقاربة الاستقبال؛ ذلك أن «أن» إذا دخلت على المضارع أخلصته للاستقبال<sup>(82)</sup>.

والتحويل الجذري بالزيادة نقف عليه في قوله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ (الأنفال: 17). فالبنية التركيبية (لكن الله قتلهم) هي جملة اسمية محولة بزيادة الناسخ الفعلي (لكن)، والتحويل فيها تحويل جذري، لأن بنيتها التوليدية قبل الزيادة هي بنية فعلية (قتلهم الله). وخبرها جاء جملة ماضوية (قاتلهم)، بنيتها العميقة وصف (اسم فاعل عامل) هو «قاتلهم». وهي تفيد قصر قتلهم على الله.

وفي الآية الكريمة: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ (الكهف: 23) نجد الجملة الاسمية المؤكدة إني فاعل ذلك غداً «قد ورد خبر «إن» فيها «فاعل ذلك غداً» بنية تركيبية مضارعية، جاء المسند فيها «فاعل» على بناء «فاعل» منونا، وفاعله ضمير مستتر بنيته العميقة «أنا»<sup>(83)</sup>، وذلك «مفعول به للمسند» اسم الفاعل «فاعل». فالوصف «فاعل» يحمل ضميراً مرفوعاً بأنه فاعل لا بد منه، لأن هذا الخبر في معنى الفعل.

ويلاحظ أن البنية التركيبية المضارعية «فاعل ذلك» التي بنيتها العميقة «سأفعل ذلك» قد أدت وظيفة خبر «إن». وجاءت لتفيد التأكيد على حدوث الحدث «فعل ذلك غدا» والذي عزز دلالة المسند «فاعل» على الزمن المستقبل إنما هي القرينة اللفظية «غدا». وهذه البنية التركيبية وقع فيها تحويل جذري انتقلت فيه من البنية التركيبية الاسمية إلى الفعلية، بينما عدها البصريون داخلة ضمن التحويل المحلي، أي أن البنية التركيبية تبقى محافظة على اسميتها على الرغم من أن البنية العميقة لهذا المسند «جاعل» هي «أجعل». ويسجل أن تنوين المسند في هذه البنية التركيبية جعل دلالة الفعل تتجه إلى الزمن المستقبل.

ومثل هذه البنية التركيبية قد تأتي خبرا للناسخ الحرفي «لعل». ونقف على مثال لها في قوله تعالى: ﴿لعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ (هود: 12). فالبنية التركيبية «تارك بعض ما يوحى» المؤلفة من الوصف «تارك» العامل عمل فعله «تترك»، وفاعله الذي لا ينفك عنه «أنت»، والمفعول به «بعض ما يوحى» مؤدية وظيفة خبر «لعل». وبنيتها العميقة «تترك بعض الموحى إليك». وهي تفيد ترجي ترك بعض الموحى إليه وترقبه.

وفي الآية الكريمة: ﴿قال إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ (الكهف: 67). نجد الاسمية المركبة المنسوخة قد اعترها تحويل بزيادة عنصرين (إن) التي لتؤكد الخبر، والوحدة اللغوية (لن) التي لنفي الخبر «إنك لن تستطيع معي صبرا». فالجملة المضارعية المنفية «لن تستطيع معي صبرا» جاءت لتدل على تأكيد نفي استطاعة المخاطب الصبر في المستقبل، لأن «لن» نفي لقوله «سيفعل»<sup>(84)</sup>.

وقد يكون عنصرا التحويل متمثلا في الوجدتين اللغويتين: (ليت + لم). ونقف على ذلك في الآية الكريمة: ﴿ويقول يا ليتني لم أشرك

بربي أحداً ﴿ (الكهف: 42) . فالجملة المضارعية المنفية «لم أشرك بربي أحداً» وظيفتها خبر «ليت»، وبنيتها العميقة «غير مشرك بربي أحداً». وهي تفيد أن هذا التمني مستحيل وقوعه. وهي تفيد تمني المتكلم عدم إتيانه كتابه. وهو أمر مستحيل تحققه<sup>(85)</sup>.

والتحويل بالزيادة قد يكون للقصر الذي يعد طريقة من طرائق التوكيد. وقد يكون ضمير الفصل الذي يفصل بين اسم «إن» وخبرها الواقع بنية تركيبية مضارعية للمفرد الغائب «هو» في نحو قوله تعالى: ﴿إن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ (التوبة: 104). ذلك أن البنية التركيبية المضارعية «يقبل التوبة» واقعة خبراً لـ «إن». وبنيتها العميقة «مؤكد قبوله التوبة» وليس «قابل التوبة». والإتيان بهذه البنية التركيبية مسبوقه بضمير الفصل «هو» أفاد بأن المسند إليه «الله» هو وحده الذي يقبل التوبة عن عباده. أي أن قبول التوبة مقصور عليه لا يتعداه إلى سواه، فهي من قبيل قصر الصفة على الموصوف<sup>(86)</sup>، أي قصر المسند على المسند إليه الذي يعني تخصيص المسند إليه بالمسند.

والصورة الآتي ذكرها يسجل فيها اقتران الفعل المضارع بلام التوكيد ليضاف إلى المؤكدين المشتملة عليهما الجملة الاسمية المنسوخة المركبة، فيغدو الخبر إنكارياً، ونقف على نموذج لذلك في قوله تعالى: ﴿وانا نحن لنحي ونميت﴾ (الحجر: 23). البنية التركيبية المضارعية «لنحي» المؤلفة من لام التوكيد<sup>(87)</sup>، والفعل المضارع «نحي»، والفاعل المضمّر «نحن»<sup>(88)</sup> مؤدية وظيفة خبر الحرف الناسخ «إن». وهذه البنية التركيبية يلاحظ أنها جاءت للزيادة في التوكيد. وقد قوى تأكيد إسناد الإحياء والإماتة إلى الله ضمير الفصل «نحن»، واقتران هذه البنية التركيبية بلام التوكيد. وبذلك أبانت هذه البنية التركيبية عن تخصيص، اسم «إن» بصفة الإحياء والإماتة، واقتصارها عليه دون غيره.

وقد تكون مثل هذه البنية التركيبية المؤكدة بالقصر مؤكدة بـ«قد». فحين نعمن النظر في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحِي إِلَى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ (هود: 36). نجد البنية التركيبية الماضوية المؤكدة «من قد آمن» المؤلفة من اسم الوصول «من»، وحرف التحقيق «قد»، والفعل الماضي «آمن» وفاعله الذي لا يخلو منه «هو» مؤدية وظيفة الفاعل. وبنيتها العميقة «المؤمن الحقيقي» أو «المؤكد إيمانه». وهي تقيد قصر الإيمان له أي الرسول على المؤمن المتحقق فيه الإيمان.

وقد يكون القصر الآتي من الزيادة قوامه الوجدتان اللغويتان («ما» + «إلا») وشاهده قوله تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾ (الكهف: 55). حيث إن البنية التركيبية المضارعية «أن تأتيهم سنة الأولين» مؤدية وظيفة الفاعل. وبنيتها العميقة «إتيانهم سنة الأولين». والأمر يجلو حين نحذف أداتي الحصر «ما» و«إلا»، حيث يصبح تركيب الجملة في هذه الآية «منع الناس إيمانهم حين مجيئهم الهدى واستغفارهم ربهم إتيانهم سنة الأولين».

وقد تكون مثل هذه البنية التركيبية المؤكدة بالقصر مؤدية وظيفة المفعول به. ونقف على عينة لها في الآية الكريمة: ﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا﴾ (الحجر: 14، 15) فالبنية التركيبية الماضوية «إنما سكرت أبصارنا» المؤكدة بالقصر المتوسل إليه بالأداة «إنما» مؤدية وظيفة مفعول القول. والصورة الآتي ذكرها سنجد القصر في بنيتها التركيبية قوامه الوجدتان اللغويتان (إن التي للنفي + إلا) في نحو قوله تعالى: ﴿وتظنون إن لبثتم إلا قليلا﴾ (الإسراء: 52). فالبنية التركيبية الماضوية المؤكدة «إن لبثتم إلا قليلا» المؤلفة من حرف النفي «إن» والفعل الماضي المبني على السكون «لبث»، وضمير الرفع المتصل «تم» المؤدي وظيفة الفاعل،

و أداة الحصر «إلا»، و ظرف الزمان «قليلا» هي في محل نصب مفعولا  
ال فعل المضارع القلبى «تظنون». وهى تفيد إثبات تأكيد ظن قلة لبث  
المخاطبين.

وقد يأتي القصر في مثل هذه البنية التركيبية من عنصرى الزيادة  
(من) الذى للنفى + حرف الحصر إلا)، وشاهدها قوله تعالى: ﴿قال  
ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ (الحجر: 56). حيث إن البنية  
التركيبية المضارعية «من يقنط من رحمة ربه إلا الضالون» المؤلفة  
من حرف النفي «من» التى بمعنى «لا»، والفعل المضارع «يقنط» والجار  
والمجرور «من رحمة» والمضاف إليه «رب» المتصل به الضمير «هـ»  
المؤدية وظيفة المضاف إليه، وأداة الحصر «إلا»، والفاعل «الضالون»  
مؤدية وظيفة مقول القول.

وقد يكون التأكيد بالقصر من طريق آخر، كما هو الشأن فى قوله  
تعالى: ﴿وياأبى الله إلا أن يتم نوره﴾ (التوبة: 32) من الفعل (يأبى) الذى  
ينوب عن النفي + الوحدة التى للقصر إلا). ذلك أن الجملة المضارعية  
(وياأبى الله إلا أن يتم نوره) مضارعية بسيطة مكونة من الفعل المضارع  
(يأبى) والفاعل، لفظ الجلالة (الله)، وأداة القصر (إلا)، والمفعول  
به، الوارد بنية تركيبية (أن يتم نوره) التى قوامها: أن + الفعل المضارع  
«يتم» + الفاعل المضمّر «هو» + المفعول به «نور»، والمضاف إليه  
«الضمير المتصل (هـ)»، لأن هذه الجملة المركبة «وياأبى الله إلا أن يتم  
نوره»، من حيث الشكل ليست استثنائية، لافتقارها لأحد أركان الاستثناء  
وهو المستثنى منه، لكنها من حيث المعنى تفيد استثناء ما بعدها من  
حكم ما قبلها، إلا أن هذا الاستثناء المفرغ إن هو إلا قصر. «والقصر  
توكيد أدواته التى يقوم عليها هى النفي، وإلا»<sup>(89)</sup>. وأساس ذلك أنه إذا  
تفرغ سابق «إلا» لما بعدها، أى لم يشغل بما يطلبه، فإن الاسم الواقع

بعد «إلامعرب بإعراب ما يقتضيه ما قبل «إلا» قبل دخولها<sup>(90)</sup>، وسابق «إلا» هو الفعل المتعدي «يأبى» الذي يطلب مفعولا به.

وقد يلاحظ مجيء الزيادة في هذه البنية التركيبية المضارعية لغرض التقرير. ونقف على مثال لها في الآية الكريمة: ﴿قال أو لم نهك﴾ (الحجر: 70). ذلك أن البنية التركيبية «أولم نهك» محولة بزيادة همزة الاستفهام، وحرف النفي (لم). بنيتها التوليدية هي (ونهاك). وقد جاءت هذه الزيادة لغرض التقرير. وهذه البنية التركيبية المضارعية مؤدية وظيفة مقول القول.

والصورة الموالية سنجد أن مثل هذه البنية التركيبية المحكية بالقول مضمرة قولها (العامل فيها). ونقف على عينة لذلك في قوله تعالى: ﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾ (الأعراف: 10، 11). ذلك أن البنية التركيبية المضارعية الاستفهامية البسيطة «فماذا تأمرون» المؤلفة من المفعول به «ماذا» المحول تحويلا محلليا بالتقديم على نية التأخير، والفعل المضارع «تأمرون»، وفاعله المتمثل في واو الجماعة هي في محل نصب محكية بقول آخر محذوف، بنيته العميقة «فقال لهم فرعون فماذا تأمرون». والذي اقتضى ذلك هو المعنى الذي دل سياق الكلام عليه. فقوله: (يريد أن يخرجكم من أرضكم) صادر من كلام الملأ، وقوله: فماذا تأمرون من كلام فرعون جار على كلامهم إياه. وعلى هذا فالوقف التام في هذه الآية ينبغي أن يكون على أرضكم.

والتحويل بالزيادة قد يكون جذريا، ونسوق له قوله تعالى: ﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾ (الكهف: 86). إذ إن البنية التركيبية المضارعية «تغرب» المؤلفة من الفعل المضارع «تغرب»، و فاعله المضمرة الذي لا ينفك عنه «هي» قد جاءت في محل نصب مفعولا به ثانيا للفعل الماضي الناسخ «وجد». وبنيتها العميقة «غاربة».

والتحويل في هذه الآية تحويل جذري، حيث إن البنية التوليدية لهذه الجملة قبل زيادة عنصر التحويل «وجد» جملة اسمية (هي غاربة)، أو (الشمس غاربة). وبعد التحويل بالزيادة صار المبتدأ مفعولاً به أول، والخبر مفعولاً به ثانياً.

ويمكن أن تكون مثل هذه البنية التركيبية منفية. ونقف على مثال لها في قوله تعالى: ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ (الأحزاب: 20). إذ إن البنية التركيبية المضارعية «لم يذهبوا» هي في محل نصب مفعول به ثان لل فعل المضارع الناسخ «يحبسون». وبنيتها العميقة «غير ذاهبين». ويسجل أن هذه البنية التركيبية تمثل «المسند» في البنية التوليدية للتركيب الإسنادي المنطوية عليه هذه الآية الكريمة. وأصلها خبر؛ حيث إن البنية التوليدية للجملة المنسوخة بعنصر التحويل «يحبسون» هي (الأحزاب غير ذاهبين).

وهذا التحويل الجذري تستوقفنا عندها الآية الكريمة: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ (الكهف: 99). فهذه الآية تضمنت جملة فعلية ماضوية (تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) بنيتها التوليدية جملة اسمية، هي (بعضهم مائج في بعض)، وبدخول عنصر الزيادة: فعل التحويل (ترك) صارت الجملة فعلية وغدا المبتدأ (بعضهم) هو المفعول به الأول، والبنية التركيبية المضارعة البسيطة المثبتة «يموج» المؤلفة من المضارع المرفوع «يموج»، وفاعله المضمر الذي لا يخلو منه «هو» وردت في محل نصب مفعولاً به ثانياً لفعل التحويل الماضي «ترك». وبنيتها العميقة «مائجا». وهذه البنية التركيبية هي مسند، لأن المفعول به الثاني لأفعال التحويل هو خبر في الأصل؛ إذ إن البنية العميقة لمعمولي الناسخ الفعلي «ترك» هي (بعضهم مائج في بعض). وهذا الخبر مبني حسب سيبويه على المفعول به الأول «بعضهم»<sup>(91)</sup>.

ولما كان في هذه الجملة الفعلية المركبة «تركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض» إسنادان: إسناد الترك إلى المتكلمين (نا) في التركيب الإسنادي «تركنا»، و إسناد الموح إلى بعضهم في التركيب الإسنادي «بعضهم يموج»، فإنه لا يمكن الاستغناء عن هذه البنية التركيبية المؤدية وظيفية المفعول به الثاني.

وقد تكون مثل هذه البنية التركيبية مفعولا به ثانيا لفعل الأمر من فعل التحويل «جعل» في نحو قوله تعالى: ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ (إبراهيم: 37). ذلك أن البنية التركيبية المضارعية «تهوي» وظيفتها مفعول به ثان لفعل الأمر الذي للتحويل «اجعل». والبنية التوليدية لهذه الجملة هي (أفئدة الناس هاوية).

والصورة الآتي ذكرها تكون البنية التركيبية التي للشرط محولة بثلاث زيادات. ونقف عليها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ (الأنفال: 32). فالبنية التركيبية الشرطية «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً» المؤدية وظيفية مقول القول يلاحظ أن البنية التركيبية الاسمية التي للشرط (إن كان هذا هو الحق) مزيد فيها الوحدة اللغوية (إن) لغرض الشرط، وعنصر تحديد الزمن (كان) الذي يحصر زمن الخبر (الحق) في الماضي، وضمير الفصل (هو) المفيد التوكيد، والسابقة (ال) المقترنة بالخبر (الحق) لغرض القصر. وهي تبين أن الخبر إن كان كما وصف، فيطلبون من الله طلبهم المتمثل في جواب الشرط «فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً». والبنية التوليدية العميقة لهذه البنية التركيبية التي للشرط هي (هذا حق).

وقد تكون البنية التركيبية الاسمية البسيطة مؤكدة بالقصر بزيادة الأداة «إنما». ونقف على نموذج لها في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ

**مفتر** ﴿ (النحل: 101). فالجملة الاسمية «إنما أنت مفتر» المؤلفة من أداة الحصر «إنما»، والمبتدأ «أنت»، والخبر «مفتر»، مؤدية وظيفة مقول القول. وهي تفيد أن هذا المقول مؤكد.

وفي قوله تعالى: ﴿**قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا**﴾ (هود: 62) يسجل أن البنية التركيبية الاسمية المنسوخة «قد كنت فينا مرجوا» المحولة بزيادة حرف التحقيق «قد» المفيد التوكيد، والفعل الناسخ «كان» المحدد زمن الخبر (مرجوا) مؤدية وظيفة مقول القول. والبنية التوليدية لها هي «أنت مرجو». وهذه البنية التركيبية المحولة بالزيادة غرضها أن زمن الخبر مؤكد في الماضي، أي أن المخاطب (صالح عليه السلام) كان مرجوا في الماضي.

وقد تكون هذه البنية التركيبية أكثر تأكيدا، لمجيئها محولة بزيادة مؤكدين. وشاهدها قوله تعالى: ﴿**وظنوا أنهم قد كذبوا**﴾ (يوسف: 110). ذلك أن البنية التركيبية الاسمية المركبة «أنهم قد كذبوا» المؤدية وظيفة المفعولين للفعل «ظنوا» جاءت محولة بزيادة حرف التوكيد «أن»، والوحدة اللغوية «قد» التي دلالتها التوكيد. والتحويل في هذه الجملة الفعلية تحويل جذري، ذلك أن البنية التوليدية لها قبل دخول العنصر (ظن) جملة اسمية، هي (هم كاذبون).

وقد تكون الزيادة في هذه الجملة الواقعة حالا. ونقف على عينة لها في الآية الكريمة: ﴿**ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون**﴾ (التوبة: 121). حيث إن البنية التركيبية «لا يقطعون واديا إلا كتب لهم» مكونة من بنيتين تركيبيتين هما: (لا يقطعون واديا) التي بنيتها التوليدية (يقطعون واديا)، والبنية التركيبية الثانية (إلا كتب لهم) الماضوية المؤدية وظيفة الحال، التي تبين هيئة صاحبها (الفاعل) الممثل في واو الجماعة من الفعل «يقطعون». وبنيتها العميقة «مكتوبا لهم».

وقد تأتي البنية التركيبية الزائدة بمنزلة العمدة، لا الفضلة. ولتوضيح هذا المعنى نورد قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ (النساء: 43). حيث إن الجملة الفعلية البسيطة «ولا تقربوا الصلاة» المؤلفة من «لا» الناهية، والفعل المضارع المجزوم «تقربوا»، والفاعل المتمثل في واو الجماعة، والمفعول به «الصلاة». يسجل أنه لا يسوغ السكوت عليها في هذا السياق، لأن نهي المصلين عن اقتراب الصلاة ليس مطلقا، وإنما هو مقيد بوجودهم في حالة سكر، ومن ثم فمعنى التركيب الإسنادي السالف الذكر لا يتحقق منه معنى الآية إلا بالبنية التركيبية الاسمية المحضة «أنتم سكارى» المؤدية وظيفة الحال، الملاحظ أنها جاءت مقترنة بالواو لتصدرها بضمير صاحبها. وبذلك تصبح هذه البنية التركيبية عمدة إجبارية، تمثل جزءا من التركيب الإسنادي «ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» الذي غدا جملة فعلية مركبة.

ونلفت الانتباه إلى أنه لو لم يتم تحكيم السياق لعددنا التركيب الإسنادي الفعلي «ولا تقربوا الصلاة» جملة تامة يحسن السكوت عليها لاستيفائها أركان الإسناد من ناحية، ولاستقلالها معنى من ناحية ثانية. ومثل هذه الزيادة قد تمس البنية التركيبية الموسعة المؤدية وظيفة النعت: والصورة التي نحن بصدد تحليلها تكون زيادة مثل هذه البنية التركيبية فيها بمثابة العمدة، إذ لا يمكن الاستغناء عنها. ونمثل لها بالبنية التركيبية المضارعية الواردة في الآية الكريمة: ﴿إنكم قوم تجهلون﴾ (الأعراف: 138). وهي «تجهلون» التي بنيتها العميقة «جاهلون». حيث إن حذفها يجعل الخبر «قوم» غير ذي جدوى.

وفي الآية الكريمة: ﴿فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين﴾ (الحجر: 22) يلاحظ أن البنية التركيبية الاسمية المنفية

«ما أنتم له بخازنين» المؤلفة من حرف النفي «ما»، و«أنتم» المبتدأ على لغة بني تميم، أو اسم «ما» على لغة أهل الحجاز، والجار والمجرور «له»، والخبر «بخازنين» المجرور لفظاً بحرف الجر الزائد (الباء) المرفوع محلاً على لغة تميم، المنصوب محلاً على لغة الحجازيين. هذه البنية التركيبية جاءت مؤدية وظيفة الحال. ويسجل اجتماع الرابطين فيها: الواو الحالية والضمير العائد على صاحب الحال المفعول به الأول المتمثل في الضمير المتصل «كم». وقد جاءت هذه البنية التركيبية محولة بزيادة عنصرين (ما) النافية وحرف الجر الزائد (الباء) الذي يفيد تأكيد نفي الخبر).

### خاتمة:

- 1 - خلص البحث إلى بيان أن البنية التركيبية - سواء أكانت فعلية أم اسمية - تؤدي كل الوظائف النحوية الإحدى عشرة.
- 2 - انتهى البحث إلى أن كل جملة توليدية هي بسيطة، وليس العكس. وسواء أكانت اسمية، أم فعلية، فإنه لئن كان يشترط في عناصرها أن تأتي مفردة غير مركبة - كما هو الشأن بالنسبة إلى الجملة البسيطة - فإنه ينبغي أن تأتي هذه العناصر وفقاً للعرفين النحوي والاجتماعي. فالاسمية منهما يكون المبتدأ فيها مبدوءاً به، مفرداً لا بنية تركيبية)، معرفاً بأحد أنواع المعارف الستة، لانكرة، مذكوراً، لا محذوفاً، وفوق كل ذلك يكون التركيب الإسنادي فيها ليس من قبيل المستقيم الكذب، من نحو الجملة الاسمية «المعلم بحر». وكذلك بالنسبة إلى الجملة الفعلية التي ينبغي أن تأتي عناصرها: الفاعل، أو نائب الفاعل، أو المفعول به مفردة (لا بنى تركيبية)، ولا يسجل فيها تحويل بالتقديم، ولا بالزيادة. وفوق كل ذلك لا يسجل ورود التركيب فيها من قبيل ما سماه سيبويه بالمستقيم

الكذب، من نحو الجملة الفعلية «تبسم الدهر»، لأن هذه التراكيب التوليدية، إنما أنشئت للتواصل العادي، الذي تكون فيه الدوال على أقدار المدلولات، بخلاف التراكيب التحويلية التي يتوارى خلفها لطائف، وأغراض بلاغية.

3 - الجملة أو البنية التركيبية المحولة بالترتيب أو الزيادة تخرج عن غرض الإخبار الأصلي، وتستعمل في التواصل الراقى. لذلك فإنه عند تحليل صورهما، بغية استكناه معناها، لابد من اللجوء إلى بنيتها العميقة، لأن ذلك يساعد على الفهم السليم لهذه التراكيب الإسنادية المحولة.

4 - التحويل بالترتيب في الجملة العربية يمس مختلف عناصرها، سواء أكانت هذه الجملة فعلية، أم اسمية. وحتى الفاعل - لئن كانت رتبته تعد محفوظة، فإن البحث رأى أنها في سياقات قرآنية غير محفوظة، وبخاصة في الجملة الشرطية، التي قد يتقدم فيها جواب الشرط لدواع بلاغية.

5 - التحويل بالترتيب قد يكون جذريا، حين يسجل فيه تقدم الفاعل المنطقي، وتنتقل فيه الجملة الفعلية التوليدية إلى جملة اسمية، سواء أكانت هذه الجملة محضة، أم منسوخة.

وقد يكون محليا حين يسجل في الجملة النواة تقديم الخبر، أو المفعول به، أو أحد عناصر التوسعة الأخرى، من نحو الحال، أو المفعول المطلق، أو النعت، وسوى ذلك.

7 - التحويل بالزيادة في الجملة العربية يأتي لتحقيق أغراض التوكيد بمختلف صنوفه، ومنها القصر والقسم. وقد يأتي ابتغاء أغراض أخرى من نحو النفي أو تأكيده، أو تأكيد الخبر أو تحديد زمانه. ويأتي لإفادة التمني، أو الرجاء، أو التعجب، أو المدح أو الذم.... وهذا في الجملة الاسمية والفعلية.

- 8 - لقد بين البحث أن هذا التحويل الذي بالزيادة قد يكون محليا، وقد يكون جذريا، حين يكون عنصر الزيادة متمثلا في أفعال (ظن) وأخواتها، التي تتحول معها الجملة الاسمية إلى فعلية فيصبح فيها المبتدأ مفعولا به أولاً، والخبر مفعولا به ثانياً.
- 9 - انتهى البحث إلى أن التحويلين: التحويل بالزيادة، والتحويل لترتيب بنوعيهما المحلي والجذري يَمَسُّان البنية التركيبية التي تؤدي مختلف الوظائف النحوية، وأنه بغية استكناه البنية العميقة لهذه التراكيب المحولة، لابد من الرجوع إلى بنائها التوليدية (بتجريدتها من تلك الزيادات أو العودة إلى ترتيبها الأصلي).

## الهوامش

- (1) ينظر عبد القاهر الجرجاني: كتاب المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، 1982م، 1/274، 276.
- (2) ينظر برجستراستر: التطور النحوي للغة العربية، ص 48.
- (3) ينظر هاشم إسماعيل الأيوبي: الجملة العربية بين النحو والبلاغة والتواتر، ص 9.
- (4) ينظر محمد صادق حسني عبد الله: الإعراب المنهجي، دار النهضة العربية، بيروت، ط 2، 1974م، 1/72م.
- (5) ينظر د. مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 41.
- (6) ينظر ابن يعيش: شرح المفصل، 1/75.
- (7) ينظر ابن يعي: المرجع نفسه، 1/82.
- (8) ينظر د. مازن الوعر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة في تحليل التراكيب الأساسية، ص 29.
- (9) ينظر بومعزة راب: المرجع نفسه، ص 226.

- (10) ينظر هاشم إسماعيل الأيوبي: الجملة العربية بين النحو والبلاغة والتواتر، ص 8، 9.
- (11) وهو الابتداء في الجملة التوليدية.
- (12) ابن جني: اللمع في العربية، 25/1.
- (13) فالمبتدأ في الجملة التوليدية يأتي معرفاً، لا نكرة، متقدماً على الخبر، ويأتي مفرداً لا بنية تركيبية، ويكون مذكوراً لا محذوفاً. والفعل في الجملة الفعلية التوليدية يأتي متقدماً على مرفوعه وعلى المفعول به.
- (14) ينظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: المرجع نفسه، ص 21.
- (15) ينظر الأشموني: المرجع نفسه، 195/2.
- (16) سيبويه: الكتاب، 282/2.
- (17) ينظر بومعزة رابح: الوحدة الإسنادية الوظيفية في القرآن الكريم، ص 471.
- (18) ينظر د. محمد حماسة عبد اللطيف: من الأنماط التحويلية في النحو العربي، ص 19.
- (19) Emonds Joseph : transformations radicales conservatrices et locales . ED , seuil , Paris , p 52.
- (20) ينظر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 106.
- (21) الجرجاني: المرجع نفسه، ص 135، 136.
- (22) سيبويه: المرجع نفسه، 81/1.
- (23) ابن يعيش: شرح المفصل، 76، 75/1.
- (24) سيبويه: المرجع نفسه، 81/1.
- (25) عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات و اللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1986م، ص 128.
- (26) سيبويه: المرجع نفسه، 89/1.
- (27) ينظر د. تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها، ص 202 .
- (28) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 135، 136.
- (29) ينظر البرزة أحمد مختار: أساليب التوكيد من خلال القرآن الكريم : دراسة تحليلية لنموذجين من الاشتغال طبيعة و إعرابه ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، بيروت ، 1985م، ص 25.
- (30) د. عبد الرحمن الحاج صالح: ( النحو العربي والبنوية، اختلافهما النظري والمنهجي )، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ص 20.
- (31) أي التركيب الإسنادي التوليدي الأصلي أي النواة.

- (32) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 44.
- (33) ينظر د. خميس حسن سعيد الملق، نظرية التعليل في النحو العربي، ص 120.
- (34) ينظر د. خليل عمايرة: في نحو اللغة العربية تراكيبها، ص 96.
- (35) السيوطي جلال الدين: شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، تحقيق أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، 1976م، ص 33.
- (36) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 411.
- (37) د. عبدالرحمن الحاج صالح: (النحو العربي والبنوية اختلافهما النظري والمنهجي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ص 12.
- (38) من مثل لم، لا، ليس، ما، لن.
- (39) من أدوات التوكيد: إن، أن، لام الابتداء، لام المزحلقة، نونا التوكيد، قد، لقد... إلخ.
- (40) ينظر خليل عمايرة: في نحو اللغة العربية وتراكيبها، ص 108.
- (41) ينظر الزمخشري: الكشف، 1/248.
- (42) ينظر د. عبدالواحد حسن الشيخ: دراسات في علم المعاني، ص 162.
- (43) أي العرب.
- (44) سيبويه: الكتاب، 1/34.
- (45) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 84.
- (46) عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 40.
- (47) ينظر ابن السراج: الأصول في النحو 2/131.
- (48) ينظر د. سناء حميد البياتي: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص 408.
- (49) وقد تكررت مثل هذه الصورة في الآيات: البقرة/ 6، الرعد/ 10، إبراهيم/ 21، الشعراء/ 136، يس/ 10، المنافقون/ 6.
- (50) الفراء: معاني القرآن، 2/195.
- (51) ينظر ابن هشام: مغني اللبيب، 2/477.
- (52) أدوات السبك وحروف السبك تسمى الموصولات الحرفية، أو الحروف المصدرية. وهي (أن الناصبة للمضارع، وأن المشددة والمخففة، ما، كي، لو). ينظر عباس حسن النحو الوافي، 2/407.
- (53) ينظر سيبويه: الكتاب، 1/277، 278.
- (54) ابن هشام: شرح شذور الذهب، ص 19.
- (55) ابن جني: الخصائص 2/434.

- (56) الفراء معاني القرآن، 322/2.
- (57) يعني إن قصدت.
- (58) الفراء : المرجع نفسه، 322/2.
- (59) ولقد سمى سيبويه ما بعد أن بصلة أن. ينظر سيبويه: الكتاب، 228/4.
- (60) ينظر بومعزة رايح : المرجع السابق، ص 102.
- (61) Martinet André: Syntaxe générale. P150.
- (62) يقصد البنية التركيبية الفعلية.
- (63) سيبويه: الكتاب، 81/1.
- (64) أي أن الفعل مشغول بالضمير «هم» فنصبه و لم ينصب المبتدأ « ثمود».
- (65) سيبويه : المرجع نفسه، 81/1.
- (66) سيبويه : المرجع نفسه، 81/1.
- (67) ينظر تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها، ص 216.
- (68) «بناها» بنية تركيبية ماضوية بسيطة. ينظر رايح بومعزة ، المرجع السابق، ص 126.
- (69) وقراءة رفع «السماء» منسوبة إلى الحسن البصري، ينظر الزمخشري: الكشف، 215/4.
- (70) ينظر ابن عقيل: شرح ابن عقيل، 164/1.
- (71) ينظر د. محمد حماسة، بناء الجملة العربية، ص 94.
- (72) التحول المحلي هو الذي لم يخرج الوحدة الإسنادية عن فعليتها أو اسميتها بسبب التقديم والتأخر الحاصل فيها.
- (73) ينظر ابن هشام: مغني اللبيب، 143/1.
- (74) ينظر بومعزة رايح : تصنيف و تحليل لصور الإعلال و الإبدال في المشتقات الأحد عشر و المصادر ، ص 163.
- (75) ينظر ابن جني : اللمع في العربية، ص 38.
- (76) ينظر رايح بومعزة ، المرجع السابق، ص 38.
- (77) ينظر المرجع نفسه، ص 76.
- (78) ينظر محمد الشاوش: ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية، ص 258.
- (79) ينظر السيوطي: همع الهوامع، 176/5. ينظر الآيات : الأعراف/ 66، 88، 88، 90، 177، الأنفال/ 56، التوبة/ 110، يونس/ 3، هود/ 27، يوسف/ 33.

- (80) عباس حسن: النحو الوافي 316/2.
- (81) ينظر مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1982م، ص 180.
- (82) ابن الخشاب: المترجل، ص 186.
- (83) سيبويه: المرجع نفسه، 326/2.
- (84) د. محمد سعد: مباحث التخصص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 1، 1994م، ص 61.
- (85) مكي بن أبي طالب القيسي: الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، دار الفكر، بيروت، 1984م، 172/1.
- (86) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 137/3،
- (87) ينظر محمد الشاوش: (ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية)، حوليات الجامعة التونسية، ص 259.
- (88) ينظر الآية: هود/ 11.
- (89) ينظر الآيات: البقرة/ 234، 240، 262، 274، النساء/ 15، الأنعام/ 57، 114، 139، الأعراف/ 197، التوبة/ 79، الرعد/ 14، 17، النحل/ 20، 31، 53، 96، 96.
- (90) ينظر الآيات: التوبة/ 58، 61، 99، 124، يونس/ 34، 35، 40، 43، 68، 68، النحل/ 57، 70، الإسراء/ 18.
- (91) ينظر الآيات: التوبة/ 79، يونس/ 40، 42، 43، الرعد/ 18.

## أثر الفاصلة في اختيار اللغة القليلة وتقديمها على لغة جمهور العرب

عبدالعزیز بن إبراهيم الدباسي(\*)

### المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي خص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الكتاب المعجز العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنزله سبحانه على سبعة أحرف، كما ورد ذلك في الحديث الصحيح من قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَاقْرَؤُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ»<sup>(1)</sup>، وقد فسرت هذه الأحرف بأنها أشهر لغات العرب؛ وذلك تيسيرا لقراءته وحفظه؛ لأن العرب آنذاك يشق عليهم التكلم بغير اللغة التي اعتادت عليها ألسنتهم.

وإن من كمال الإعجاز في القرآن الكريم أنه بهر فحول البلغاء فبهتهم، وتحدى صفوة الفصحاء فغلبهم، حتى شهد له الأعداء بحيازته قصب السبق في مضمار البلاغة والفصاحة، ومن مظاهر تفوقه في فنون البلاغة قدرته الفريدة على استعمال المحسنات البديعية بأسلوب متقن خال من الصنعة والتكلف، ويأتي في مقدمة تلك المحسنات الفاصلة القرآنية التي تُختم بها بعض آياته، فتنزل على الأسماع بانسياب، فتأسرها بجمال لفظها وحسن ختامها.

(\*) أستاذ مشارك في قسم النحو والصرف وفقه اللغة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ولأهمية الفواصل في تزيين الجمل أجازوا فيها أموراً لا تجوز في غيرها من الكلام المنثور، قال سيديوي: «وجميع ما لا يُحذف في الكلام وما يُختار فيه أن لا يُحذف يُحذف في الفواصل والقوافي، فالفواصل قول الله عز وجل: ﴿وَالَيْلُ إِذَا يَسِرُّ﴾ (2) و﴿مَا كُنَّا نَعْبُدُ﴾ (3)» (4).

ولقد لحظتُ أمراً يؤكد ما ذكرته أنفاً من اهتمام الأسلوب القرآني وعنايته بالفواصل، وهو أنه قد يُترك فيه الأوضح والشائع من كلام العرب، ويُختار مكانه لغة أقل استعمالاً وأحياناً أقل فصاحة منه؛ حرصاً على إقامة الفاصلة واعتناء بسلامتها، فمن ذلك ما يتعلق بالمعنى والدلالة، كاستعمال كلمة (كنود) بمعنى العاصي في لغة قبيلة كندة على بعض تفسيرات العلماء (5)، ومنه ما علاقته بالنحو والصرف، وهذا الأخير هو ما رأيت جمعه ودراسته في هذا البحث.

وقد مهدت لبحثي هذا بحديث أعرف فيه الفاصلة القرآنية وما استعمل لها من مصطلحات آخر، ثم أوردت المسائل فيما جاء على اللغة القليلة لإقامة الفاصلة، وجعلتها في مبحثين: الأول للمسائل النحوية، والثاني للمسائل الصرفية، وأتممت البحث بخاتمة تضمنت ثمراته.

### التمهيد: الفاصلة القرآنية وما استعمل لها من مصطلحات:

لقد عرف العلماء الفاصلة بأنها الكلامُ التامُّ المُنفصلُ عمّا بعده (6).

كما عُرِفَتْ بأنها آخر الآية، بمنزلة القافية من الشعر (7).

أما عن سبب اختيار العلماء هذا المصطلح للفاصلة فقد قيل: إنه أخذ من قوله سبحانه في وصف كتابه (8): ﴿كَتَبْنَا الْقُرْآنَ عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (9).

كما قيل: إنها سميت بذلك لأنه ينفصل عندها الكلام؛ وذلك أن آخر الآية قد فصل بينها وبين ما بعدها (10).

وقد أطلق بعض العلماء على الفاصلة مصطلحاً آخر، فنقل الزجاج عن أهل اللغة أنهم يطلقون الفاصلة ورأس الآية على الشيء نفسه<sup>(11)</sup>، ولهذا فسّر الفاصلة برأس الآية، فقال: «حُذفت الياء، وأصله (فارهبوني)؛ لأنها فاصلة، ومعنى فاصلة رأسُ آية»<sup>(12)</sup>.

غير أن بعض علماء التفسير والقراءات كأبي عمرو الداني قد ذكروا أن استعمال المصطلحين لشيء واحد هو من باب التجوز؛ لأن بينهما فرقاً، فكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية<sup>(13)</sup>.

وهناك مصطلح ثالث مرادف للمصطلحين السابقين حدث بين العلماء اختلاف في جواز استعماله، وهو مصطلح السجع<sup>(14)</sup>، فقد اتفقوا على جواز إطلاقه على ما ورد منه في غير القرآن الكريم، واختلفوا في حكم إطلاقه على الفواصل القرآنية، ولهم في ذلك مذهبان:

الأول: أنه لا يجوز إطلاق مصطلح السجع على ما ورد من الفواصل في القرآن الكريم. وهو مذهب الجمهور<sup>(15)</sup>، وأشهر من قال به علماء الأشاعرة<sup>(16)</sup>، وتبعهم جماعة، منهم الرماني<sup>(17)</sup> والباقلاني<sup>(18)</sup> والسمين الحلبي<sup>(19)</sup>.

واستند هؤلاء في منعهم على أدلة، أشهرها ما يأتي:

1 - أن هناك فرقاً بين السجع والفواصل؛ فالسجع يُقصد ثم يُحال المعنى عليه، وفي هذا تكلف ظاهر، أما الفاصلة فالمقصود بها المعنى أولاً، ثم يُحال عليها اللفظ؛ فالسجع عيب، والفواصل في الذروة من البلاغة<sup>(20)</sup>.

2 - أن القرآن كلام الله، ولا يصح وصفه بما لم يرد به إذن في الشرع<sup>(21)</sup>.

3 - أن مصطلح السجع مأخوذ من قولهم في اللغة: سَجَعَ الطائر، ولهذا فيجب تنزيه القرآن الكريم عن وصف شيء منه بهذا المصطلح<sup>(22)</sup>.

الثاني: أنه يجوز إطلاق مصطلح السجع على ما ورد من الفواصل في القرآن الكريم، وهو مذهب لجماعة من العلماء، كأبي هلال العسكري<sup>(23)</sup>، وابن سنان الخفاجي<sup>(24)</sup>، وضياء الدين بن الأثير<sup>(25)</sup>. واستدلوا عليه بأن السجع القرآني في أعلى مراتب الكلام، بحيث لا يمكن أن يجاريه كلام أحد، وأنه لا فرق بين السجع والفواصل<sup>(26)</sup>.

وأقول: إن ما ترجح عندي من هذين المذهبين هو مذهب المجيزين، أما ما اتكأ عليه المانعون من حجج فغير مقنعة لي؛ لأن الأسلوب القرآني قد جاء على سنن العرب في كلامهم وعلى طرائقهم في أقوالهم، وإن كان يفوقه فصاحة وبلاغة، فكما يُسمى ما نطقت به العرب من قبيل ذلك بالسجع فلا ضير من إطلاق المصطلح نفسه على ما جاء منه في القرآن الكريم، كما أطلقوا مصطلحات موحدة لما ورد في القرآن وعلى السنة العرب في جل العلوم كالتفسير والنحو والصرف وغيرها، ولم يخصصوا ما جاء منها في القرآن بمصطلحات آخر، بل إن علماء البلاغة أنفسهم قد أطلقوا المصطلحات نفسها التي وضعوها للمحسنات اللفظية الأخرى كالجناس والطباق والمقابلة على ما ورد منها في القرآن الكريم، وفي هذا أيضاً رد على الحجة الثانية، وهي أن القرآن كلام الله، ولا يصح وصفه بما لم يرد به إذن في الشرع، فهل ورد إذن شرعي في المصطلحات الأخرى كالتى ذكرتها آنفاً؟

أما قولهم: إن السجع في غير القرآن عيب فهي حجة أوهى من أن يستند إليها، نعم هو في ذلك كغيره، يعد معيباً إذا كان متكلفاً، أما إذا سلم من التكلف فهو مستحسن جداً؛ يدل على ذلك كثرة وروده في كلام الفصحاء والبلغاء، وفي مقدمتهم سيد ولد عدنان عليه أفضل الصلاة وأجل التسليم.

وإضافة على ما ذكرته فإن علينا الحرص على توحيد المصطلحات، وتجنب تعددها ما أمكن؛ لأن تعدد المصطلحات للشيء الواحد -وهو ما

يسمى علميا بالترادف في المصطلح<sup>(27)</sup> - يعد من الظواهر المعيبة التي لها تأثير سلبي في كل علم، ولذا كان الأحرى اجتنابه.

### المبحث الأول:

المسائل النحوية فيما جاء على اللغة القليلة لإقامة الفاصلة

معاملة الفعل المضارع المعتل الآخر مُعاملة الصحيح في حالة الجزم:

إذا جُزم الفعل المضارع المعتل الآخر فإن حذف حرف العلة يكون علامة لجزمه، وهذه هي اللغة الفصحى الفاشية في ألسنة العرب، وعليها جاء عدد كبير جدا من الآيات، إلا أنه قد ورد في القرآن الكريم ما ظاهره مخالفة هذه القاعدة، وهما آيتان:

الأولى: قوله جل شأنه في إحدى القراءات المتواترة: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾<sup>(28)</sup>، بجزم (تَخَفْ) وإثبات الألف في (تَخْشَى)، وهي قراءة حمزة الزيات<sup>(29)</sup>.

وقد وجهها المعربون بتوجيهات عدة، هي:

1 - أن (لا) الأولى ناهية، فَجَزِمْتُ الفعل (تَخَفْ)، و(لا) الثانية نافية، فَرُفِعَ الفعل بعدها؛ لكون الجملة مستأنفة. وهو قول أجازته سيبويه<sup>(30)</sup> والفراء<sup>(31)</sup>، ووافقهما عليه أبو جعفر النحاس<sup>(32)</sup> وابن خالويه<sup>(33)</sup>، وقال به من المتأخرين الباقرلي<sup>(34)</sup>.

2 - أن (لا) في الآية هي (لا) الناهية، وأن الفعل (تخشى) مجزوم بسكون مقدر، فهو معتل، لكنه عُمِلَ معاملة الصحيح، والدليل على أنه مجزوم جَزِمَ الفعل الذي جاء في بداية الآية، وهو (تَخَفْ)؛ لأنه مسبوق بـ(لا) الناهية أيضا، وقد جاءت الآية على لغة من لغات العرب تعامل الفعل المضارع المعتل الآخر معاملة الفعل الصحيح.

أثر الفاصلة في اختيار اللغة القليلة وتقديمها على لغة جمهور العرب

وهذا مذهب الفراء<sup>(35)</sup>، ووافقه المنتجب الهمداني<sup>(36)</sup>.

وقد ذكر الفراء<sup>(37)</sup> هذه اللغة وعزاها إلى بعض العرب ، ثم قال: «وقال بعض بني عيس»، وأنشد قول الشاعر:

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي      بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بْنُ زِيَادٍ<sup>(38)</sup>

فالفعل (يأتي) مجزوم بـ (لم) ، وعلامة جزمه السكون.

وعلى هذا التوجيه يكون الذي قوَّى استعمال هذه اللغة القليلة الحاجة إلى إقامة الفاصلة؛ لتتناسب مع باقي الفواصل في السورة: (تزكى، وهدي، والسلوى، وهوى...) وغيرها.

3 - أن الفعل (تَخَفَّ) مجزوم؛ لأنه جواب لشرط مقدر بعد الطلب، وهو الأمر في الآية نفسها: ﴿فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾، و(تخشى) مرفوع؛ لأنه مستأنف، و(لا) قبله نافية. وهو قول أبي جعفر النحاس<sup>(39)</sup> والفراسي<sup>(40)</sup> ومكي بن أبي طالب<sup>(41)</sup> وأبي البركات الأنباري<sup>(42)</sup>، وأجازه العكبري<sup>(43)</sup>.

4 - أن الفعل (تخشى) جُزِمَ بـ(لا) الناهية قبله، لكن الألف نتجت عن إشباع الفتحة. وهو قول أجازه سيبويه<sup>(44)</sup>، والفراء<sup>(45)</sup> والفراسي<sup>(46)</sup> وأبو البركات الأنباري<sup>(47)</sup>، والمنتجب الهمداني<sup>(48)</sup>.

5 - أن الفعل (تخشى) مجزوم بـ(لا) ، لكن الألف لم تحذف منه؛ لإقامة الفاصلة. وهو قول أجازه ابن خالويه<sup>(49)</sup> وأبو البركات الأنباري<sup>(50)</sup> والعكبري<sup>(51)</sup>.

أما قراءة الجمهور: ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ فهي على أن (لا) الأولى والثانية نافيتان، والجملة في محل نصب حال؛ أي: اضربْ لهم طريقاً في البحر غير خائف وغير خاشٍ، أو في محل نصب صفة لـ(طريقاً)<sup>(52)</sup>.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿سُنْقَرُكَ فَلَا تَنْسَى﴾<sup>(53)</sup>، بإثبات الألف في (تَنْسَى)، وللمعربين في توجيهها أقوال يشبه بعضها ما وجهت به الآية السابقة، وهي:

الأول: أن الفعل مرفوع؛ لأن (لا) قبله نافية، والمعنى على ذلك: سيزول عنك النسيان. وهو قول أبي جعفر النحاس<sup>(54)</sup> وابن خالويه<sup>(55)</sup> وأبي البركات الأنباري<sup>(56)</sup>.

واستدل النحاس على بطلان قول من حمل (لا) على النهي بأنه لا يُتصور أن يُنهى الإنسان عن النسيان؛ لأنه ليس له إرادة في ذلك<sup>(57)</sup>، ووافقه على ذلك المنتخب الهمداني<sup>(58)</sup>.

الثاني: أن (لا) ناهية، والفعل مجزوم بها، فحذفت ألفه، ثم لحقته ألف ناتجة عن إشباع الفتحة. وهو قول ابن خالويه<sup>(59)</sup>.

الثالث: أن الفعل (تَنْسَى) جُزِمَ بـ(لا) الناهية، وعلامة جزمه السكون؛ لأنه جاء على لغة من يعامل الفعل المضارع المعتل الآخر معاملة الصحيح، والذي قوّى استعمال هذه اللغة هو مراعاة تناسب الفاصلة مع الفواصل الأخرى في السورة: (المرعى، وأحوى، يخفى) وغيرها<sup>(60)</sup>.

والتوجيه الذي أميل إليه في كلتا الآيتين هو أن ذينك الفعلين (تخشى وتنسى) قد جاءا على لغة من لغات العرب يُعامل فيها الفعل المعتل معاملة الصحيح، وأن الداعي إلى تقديمها على لغة جمهور العرب في الآيتين هو الحرص على سلامة الفاصلة، ومثل ذلك قد وقع في مواضع عدة في القرآن الكريم سيأتي الحديث عنها تباعاً بمشيئة الله.

**حذف ياء الفعل المضارع المعتل الآخر غير المجزوم:**

الأصل في الفعل المضارع المعتل الآخر ألا يحذف منه حرف العلة إلا في حالة الجزم، لكنه قد ورد حذف الياء خاصة منه في موضع الرفع

في إحدى الفواصل، والاكتفاء بالكسرة بدلا منها وصلاً، والوقف عليها بالسكون، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَلِيلَ إِذَا يَسَّرَ﴾<sup>(61)</sup>.

وقد اختلف القراء في قراءة (يَسَّرَ)، فقرأها ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي من السبعة بحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة في الوصل، وقرأها ابن كثير بإثبات الياء وقفاً ووصلاً<sup>(62)</sup>.

أما قراءة ابن كثير فهي موافقة للقياس والشائع من كلام العرب (يسري)؛ لأن الفعل المضارع المعتل الآخر يبقى الحرف الأخير منه في حالتي الرفع والنصب، ويحذف في حالة الجزم فقط، وما دام الفعل هنا مرفوعاً فالقياس بقاء الياء فيه<sup>(63)</sup>.

وأما قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي فظاهرها مخالفة القياس؛ ولهذا وجهها النحويون والمعربون بتوجيهات عدة:

الأول: أن الياء إنما حذفت لأجل إقامة الفاصلة؛ كي تستقيم مع أواخر الآيات التي قبلها، وهي: (الفجر، وعشر، والوتر)، ومثل ذلك يغتفر في الفواصل القرآنية والقوافي. وهذا مذهب سيبويه<sup>(64)</sup>، وتبعه جمهور النحويين كالزجاج<sup>(65)</sup> وابن السراج<sup>(66)</sup> وأبي جعفر النحاس<sup>(68)</sup> والفراسي<sup>(61)</sup> وابن جني<sup>(69)</sup>، وتوافقهم من المتأخرين ابن الشجري<sup>(70)</sup> والعكبري<sup>(71)</sup>.

وقد استدل سيبويه على ذلك بأن الفاصلة يوقف عليها غالباً، ولهذا فهي مظنة الحذف والتغيير، شأنها في ذلك شأن القوافي في الشعر<sup>(72)</sup>.

ووافق الزجاج سيبويه في هذا التعليل، فقال: «فُحذفت الياء؛ لأنها رأس آية، ورؤوس الآي الحذف فيها جائز، كما يجوز في آخر الأبيات»<sup>(73)</sup>.

الثاني: أن حذف الياء من الفعل المضارع غير المجزوم كثير في لغة بعض القبائل العربية؛ ولذا لا يصح قصره على الفواصل القرآنية ولا القوافي، بل يجوز في السعة. وهو قول الفراء<sup>(74)</sup>.

ولم یعزُ الفراء هذه اللغة إلى قوم بأعيانهم، وإنما اكتفى بإيراد شاهد عليها، وهو قول الشاعر:

كَفَّاكَ كَفٌّ لَا تُلِيقُ دِرْهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدِّمًا<sup>(75)</sup>  
فقال: تعط، بحذف الياء مع كون الفعل مرفوعاً<sup>(76)</sup>.

وما ذكره الفراء أنفاً من كثرة حذف آخر الفعل المضارع المعتل بالياء في لغة من لغات العرب يؤكد ما أشرت إليه سابقاً مما عرف عن الكوفيين من أن لهم اهتماماً كبيراً بالرواية والسماع، كما أن لهم عناية بالتنبيه على لغات القبائل.

الثالث: أن الياء إنما حُذفت حفاظاً على الفاصلة وحرصاً على سلامتها، ولا سيما أنها قد وافقت لغة إحدى القبائل، وهي قبيلة هذيل. وهذا قول الزمخشري وأبي حيان<sup>(77)</sup>.

وقد عزا السمين الحلبي إلى الزمخشري قوله: إن الاجتزاء بالكسرة عن الياء كثير في لغة هذيل، وأورد البيت السابق شاهداً على ذلك<sup>(78)</sup>.

والقول السديد في هذه المسألة هو قول من ذهب إلى أن حذف الياء من آخر الفعل المضارع غير المجزوم وإن كان خلاف القياس والشائع من كلام العرب إلا أنه مستعمل في لغة من اللغات القليلة الفصيحة، وجاءت الحاجة إلى إقامة الفاصلة لتقوي هذا الاستعمال، وهو نفسه ما قال به الزمخشري ومن وافقه، ولا يصح عندي قول من جعل ذلك بسبب الفاصلة القرآنية وحدها وهو قول الجمهور؛ لأنه وإن سلم لهم بأن الفواصل يجوز فيها ما لا يجوز في غيرها، إلا أنه يجب حمل ذلك ابتداءً على ما يوافق القياس أو ما يوافق لغة من لغات العرب - وإن كانت قليلة - قبل قصره على صورة واحدة في النثر، وهي الفاصلة، وأخرى في الشعر، وهي الضرورة، والذي يدل على ضعف هذا القول - على كثرة من يقول به - أنه قد ورد في القرآن الكريم أفعال مضارعة حذفت منها

الياء مع كونها ليست بفواصل، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذَنبِهِ﴾<sup>(79)</sup>، فقال: يأت، مع كون الفعل مرفوعاً، وقوله سبحانه: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾<sup>(80)</sup>، فقال: نبغ، مع أن الفعل مرفوع أيضاً.

وفي ختام هذه المسألة أود التنبيه على أمر مهم، وهو أن القرآن الكريم بقراءته مشتمل على لغات كثيرة من لغات العرب، وكل هذه اللغات في درجة عالية من الفصاحة وإن كان بعضها أكثر فصاحة من الآخر، لكنه لا يصح تضييع أي منها مطلقاً؛ لمخالفتها بعض الأقيسة التي وضعها النحويون؛ وعلة ذلك في تصوري أن تلك الأقيسة والقواعد قد وضعها العلماء على اللغة الشائعة وهي اللغة الفصحى، ولم يضعوها على كل لغة فصيحة تكلمت بها العرب؛ لأنهم لا يستطيعون ذلك، ولو استطاعوا لاضطربت قواعدهم وتفرقت، ولهذا حرص علماء اللغة على وضع القواعد على الكثير الغالب، وتأويل ما خالفه إن أمكن، وبناء على هذا التفسير فمن غير المقبول عقلاً أن نجعل تلك الأقيسة معياراً لقبول اللغات الأخرى أو رفضها؛ لأن ورودها في القرآن أقوى دليل على فصاحتها، أما مخالفتها للقاعدة فغير مضعف لها، والدليل على ما ذكرته أن النحويين أنفسهم كثيراً ما يطلقون عبارتهم الشهيرة على ما خالف أقيستهم من كلام العرب وأعيانهم تأويله، وتلك العبارة هي قولهم: شاذٌ قياساً فصيحٌ استعمالاً.

### تعدي الفعل (زَوَّجَ) إلى مفعوله الثاني بالباء:

الفعل (زَوَّجَ) من الأفعال التي تنصب مفعولين، فيقال: زَوَّجَ الرجلُ زيداً ابنته، أما الفعل (تَزَوَّجَ) فينصب مفعولاً واحداً، نحو: تَزَوَّجَ زيدٌ هنداً، هذا هو الاستعمال الشائع والفاشي في السنة العرب، وقد جاء قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾<sup>(81)</sup> موافقاً لهذا الاستعمال.

وقد نص الفراء على أن هذه اللغة هي لغة السواد الأعظم من العرب، فقال: «العرب تقول: زَوَّجَتْهُ امرأة، ولا يكادون يُدخلون الباء»<sup>(82)</sup>.

وقد وردت آيتان كريمتان خالفتا لغة جمهور العرب، فتعدى فيهما الفعل (زَوَّجَ) لمفعوله الثاني بالباء، إحداهما قوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ زَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾<sup>(83)</sup>، والأخرى قوله جل شأنه: ﴿مُتَكِينِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾<sup>(84)</sup>، فما السر في ترك ما هو شائع ومشهور؟

أقول مجيباً عن هذا السؤال: إنه قد سبق أن ذكرت أن الفراء نص على أن جمهور القبائل العربية على اللغة الأولى، كما أنه نص بعد ذلك أيضاً على أن من العرب من يعدي هذا الفعل (زَوَّجَ) إلى المفعول الثاني بالباء<sup>(85)</sup>، لكنها لغة قليلة.

أما عن نسبة هذه اللغة فقد عزاها القاسم بن معن إلى أزد شنوءة<sup>(86)</sup> وذكر ابن سلام أن لبني تميم في (تزوج) استعمالين، فيقولون: تزوجت امرأة وتزوجت بامرأة، وحكى الكسائي عن العرب مثل ذلك، غير أنه لم يعزها إلى قبيلة بعينها<sup>(87)</sup>.

ولا يخفى أن السبب في اختيار هذه اللغة القليلة وإيثارها على اللغة الشائعة في دينك الموضعين من القرآن الكريم إنما كان لقصد الحفاظ على سلامة الفاصلة؛ كي تتوافق آخر هذه الآية مع أواخر الآي في كلتا السورتين، ففي سورة الدخان لتتناسب مع: (أمين، وعيون، ومتقابلين) وغيرها، وفي سورة الذاريات كي تتناسب مع: (تعملون، ورهين، ويشتهون) وغيرها؛ لأنه لو استعمل اللغة الشائعة وعدى الفعل إلى مفعوله الثاني دون جار لتربت على ذلك نصب الاسمين بعده، وهما: المفعول الثاني، ونعته، فقيل: وزوجناهم حوراً عيناً، وعليه سوف تتأثر

أثر الفاصلة في اختيار اللغة القليلة وتقديرها على لغة جمهور العرب

الفاصلة بتغير حركة الحرف الأخير، وسيكون الوقف عليها بالألف، بدل النون الساكنة، وفي ذلك إخلال بها.

والذي يؤيد ما ذكرته من أن إقامة الفاصلة كان هو السبب في اختيار هذه اللغة ما أشرت إليه في رأس المسألة من أنه قد ورد في القرآن الكريم استعمال اللغة الشائعة في غير الفواصل، وهو قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾.

ولأجل هاتين الآيتين توسع بعض النحويين المتأخرين في المسألة، فأجازوا تعدية الفعلين (زَوَّجَ) و(تَزَوَّجَ) دون الباء أو بها، ولم يفاضلوا بين الاستعمالين، ومن هؤلاء ابن هشام الأنصاري<sup>(88)</sup>.

وما ذهب إليه هؤلاء هو على النقيض مما ذهب إليه بعض النحويين المتقدمين الذين منعوا استعمال الفعل متعدياً بالباء مطلقاً، منهم أبو منصور الأزهري الذي ذهب إلى أبعد من منع ذلك، إذ نفى عن العرب استعماله أصلاً، فقال: «وتقول العرب: زوجته امرأة، وتزوجت امرأة، وليس من كلام العرب: تزوجت بامرأة»<sup>(89)</sup>، كما عزا الفخر الرازي إلى يونس القول بذلك<sup>(90)</sup>.

وذهب أبو جعفر النحاس إلى منعه أيضاً، إلا أنه علل استعمال الفعل معدى بالباء في الآيتين بأنه قد ضُمِّن معنى فعل آخر، وهو (قَرَنَ)، فقال: «أي: قَرَنَاهُمُ بِهِنَّ»<sup>(91)</sup>.

وقريب من ذلك ما ذهب إليه أبو عبيدة، فقد ذكر أن الفعل (زَوَّجَ) في الآيتين ليس بمعنى التزويج والنكاح، وإنما بمعنى جَعَلَ الشيء زوجاً، واستشهد عليه بقول العرب: كان فرداً وزوجته بأخر، كما يقولون: شفعت به بأخر<sup>(92)</sup>.

ويظهر أن الأخفش كان يقول بهذا أيضاً كما فهمه الواحدي من كلامه<sup>(93)</sup> الذي قال فيه: «جعلناهم أزواجاً بالحرور»<sup>(94)</sup>.

والذي يحسن أن أختتم به هذه المسألة أن أقول باختصار: إنه من غير المقبول منع استعمال ما ورد في أفصح كلام، وهو كلام الله جل وعلا، فقد كان الأولى بمن منعه مستدلاً بالتضمنين الذي لا يقول به أكثرهم في غير هذه المسألة أن يحمل الفعل على ظاهره دونما تأويل أو تكلف، ولا سيما أنه قد نقل الثقات عن بعض العرب استعمالهم للفعل (زوج) متعدياً لمفعوله الثاني بالباء، أما من أنكر استعمال العرب له كأبي منصور الأزهري، فهو إن لم يكن قد سمعه عنهم أو نقله عن سمعه، فإن غيره من النقلة قد سمعه ونقله إلينا كالكسائي والفراء وابن سلام، والناقل حجة على من لم ينقل.

### المبحث الثاني:

#### المسائل الصرفية فيما جاء على اللغة القليلة لإقامة الفاصلة

##### مجيء اسم الفاعل مراداً به اسم المفعول:

عرف العلماء اسم الفاعل بأنه ما دل على الحدث وفاعله، واسم المفعول بأنه ما دل على الحدث ومفعوله<sup>(95)</sup>، ومن هنا اكتسب كل منهما المصطلح الذي وضع له، وقد ورد هذان الاسمان في القرآن الكريم بكثرة، وكان كل منهما قد أتى على بابه، ويستثنى من ذلك بعض الآيات التي أتى فيها اسم الفاعل مراداً به اسم المفعول على ما ذهب إليه جمهور النحويين والمعربين، منها قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾<sup>(96)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾<sup>(97)</sup>، وعلى ما هو شائع وفاش من كلام العرب كان القياس أن يؤتى باسم المفعول في هاتين الآيتين.

والحق أن كثيراً من النحويين والمفسرين والمعربين قد مروا على هذه الآية مرور الكرام، واكتفوا بأن ذكروا أنه عُبرَ باسم الفاعل، وأريد به اسم المفعول.

أثر الفاصلة في اختيار اللغة القليلة وتقديمها على لغة جمهور العرب

لكن بعض أئمة اللغة كالكسائي<sup>(98)</sup> والفراء<sup>(99)</sup> والطبري<sup>(100)</sup> قد نصوا على أن لغة بعض أهل الحجاز الإتيان باسم الفاعل وإرادة اسم المفعول، ونقلوا عنهم قولهم: سِرُّ كَاتِمٌ، وَهَمْ نَاصِبٌ؛ أي: مكتوم ومنصوب، وحمل الفراء والطبري عليه قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾.

وبناء على هذا التوجيه فإن الذي رجح استعمال هذه اللغة القليلة هو الحاجة إلى إقامة الفاصلة في كلتا الآيتين لتتوافق مع باقي الفواصل في السورتين، ففي الآية الأولى (راضية)؛ لتتناسب مع (عالية، ودانية، وخالية) وغيرها، وفي الآية الأخرى (دافق)؛ لتتناسب مع (طارق) في الوزن والحرف الأخير، ولتتناسب مع (ثاقب، وحافظ) في الوزن أيضاً، بل إن الفراء قد نص على ذلك، فقال: «وأهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم، أن يجعلوا المفعول فاعلاً.... وعيشة راضية، وأعان على ذلك أنها توافق رؤوس الآيات التي هن معهن»<sup>(101)</sup>.

وقد عزا الزجاج إلى سيبويه أن اسم الفاعل هنا بمعنى النسبة؛ أي: عيشة ذات رضا، وماء ذو اندفاق<sup>(102)</sup>، وقد رجعت إلى (الكتاب) فلم أرَ سيبويه قد أورد قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ أصلاً، أما الآية الكريمة الأخرى فقد أوردتها، غير أنه عزا هذا القول إلى شيخه الخليل بن أحمد<sup>(103)</sup>.

وسها الواحدي فخلط بين ما عزاها الزجاج إلى سيبويه، وبين ما يقول به الزجاج نفسه، فظن أنه موافق لسيبويه، لكنني حين رجعت إلى (معاني القرآن وإعرابه) وجدت فيه ما يخالف ما نسبته الواحدي إليه، إذ قال الزجاج: «معناه: مَدْفُوقٌ»<sup>(104)</sup>، ولم يقل: ذو اندفاق.

أما أبو جعفر النحاس فقد عزاها إلى البصريين عامة، ولم يخصه بعلم معين<sup>(105)</sup>.

وذهب بعضهم إلى أن (دافق) لم يخرج عن بابه، بل هو اسم فاعل على الحقيقة؛ لأن الماء إذا اندفق، فهذا يفهم منه أنه نزل، فهو نازل، وهذا دليل على أنه قد جاء على بابه، نقل ذلك العكبري.

وعندي أن معنى الآيتين يؤيد أن اسم الفاعل فيهما بمعنى اسم المفعول، وأن الذي دعا إلى هذا الاستعمال هو مراعاة سلامة الفاصلتين، ولا سيما أن ذلك قد جاء على لغة من لغات العرب الفصيحة.

**الوقف على المنقوص المحلى بـ (أل) رفعاً وجراً:**

إذا أريد الوقف على الاسم المنقوص المحلى بـ (أل) فإن ياءه تثبت في حالة النصب، ولا تحذف عند العرب جميعاً، أما في حالتي الرفع والجر فإنها تثبت في لغة جمهور العرب، فتقول: جاء القاضي ورأيت القاضي ومررت بالقاضي<sup>(107)</sup>.

وقد وردت بعض الآيات التي حُذفت فيها الياء من الاسم المنقوص المحلى بـ (أل) في حالتي الرفع والجر، كقوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾<sup>(108)</sup>، وقوله جل شأنه: ﴿وَيَقَوْمٌ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ﴾<sup>(109)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿لِنُنْذِرَ يَوْمَ النَّارِ﴾<sup>(110)</sup>، وقوله جل وعلا: ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾<sup>(111)</sup>، وقد كان للنحويين والمعربين في توجيه تلك الآي أقوال، فيما يأتي تفصيل لها:

**القول الأول:** أن حذف الياء من الاسم المنقوص المحلى بال في حالتي الرفع والجر لغة جيدة من لغات العرب، إلا أنها ليست بالفصحى، وقويت هذه اللغة في تلك المواطن لأجل الفاصلة القرآنية. وهو قول سيبويه<sup>(112)</sup> والزجاج<sup>(113)</sup> وابن السراج<sup>(114)</sup> والسيرافي<sup>(115)</sup> والفارسي<sup>(116)</sup> وابن الشجري<sup>(117)</sup>.

**القول الثاني:** أن الياء إنما حُذفت مراعاة للفاصلة القرآنية فحسب، وهذا القول هو الظاهر من كلام أبي جعفر النحاس<sup>(118)</sup> وابن سيده<sup>(119)</sup> وغيرهما<sup>(120)</sup>.

**القول الثالث:** أنها حُذفت لأنها كُتبت بهذه الصورة في رسم المصحف، فالترزم بعض القراء بذلك، كما في قوله تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾، وهو قول لبعض النحويين<sup>(121)</sup>.

والقول الصحيح عندي هو أن حذف الياء من الاسم المنقوص في حالتي الرفع والجر لغة من لغات العرب الفصيحة<sup>(122)</sup>، غير أنها دون اللغة الأولى شيوعاً وفصاحة، وقد استعملت في القرآن في مثل الآيات السابقة؛ حفاظاً على تناسق الفواصل وعدم اختلالها، وهو ما قال به أصحاب القول الأول، فاجتماع السببين كان مقوياً لذلك الاستعمال الذي هو أقل في كلام العرب.

ومما يدل على أن الحرص على سلامة الفاصلة لم يكن وحده هو السبب لهذا الاستعمال - على ما ذهب إليه بعض النحويين - أنه قد جاء حذف الياء من الاسم المنقوص المحلى بـ (أل) في غير الفواصل، كقوله تعالى: **فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ**<sup>(123)</sup>، وقوله عز وجل: **﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾**<sup>(124)</sup>، فقال: الداع، وقوله سبحانه: **﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طَوْى﴾**<sup>(125)</sup> فقال: الواد، مما يدل على أنها بحق لغة من لغات العرب المعروفة.

### الوقوف على المنقوص المنون رفعاً وجرّاً:

في اللغة الفصحى يوقف على الاسم المنقوص المنون في حالتي الرفع والجر بحذف يائه، وهذه هي لغة جمهور العرب، وهو عكس حكم المحلى بـ (أل) الذي مضى الحديث عنه في المسألة السابقة، وقد قال الفارسي عن هذه اللغة: «كان القياس أن تُحذف في الوقف، وهي اللغة التي هي أشيع وأفشى»<sup>(126)</sup>.

أما في حالة النصب فتثبت ياء الاسم المنقوص عند جميع العرب، وفي هذه المسألة لغة أخرى أقل استعمالاً من اللغة السابقة لغة جمهور العرب، تثبت فيها ياء الاسم المنقوص في مواضع الإعراب كلها، بما في ذلك موضعاً الرفع والجر، فيقولون: هذا قاضي، ورأيت قاضياً، ومررت بقاضي<sup>(127)</sup>.

وقد ورد في قراءات متواترة استعمال هذه اللغة؛ حرصاً على سلامة الفواصل، ففي قراءة ابن كثير وبعض العشرة: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾<sup>(128)</sup> بإثبات الياء في المنقوص المحلى بـ (أل)، موافقين لغة جمهور العرب<sup>(129)</sup>، فلما كان الأمر كذلك احتاجت هذه الآية إلى أن تتناسب مع الفواصل الأخرى، فقرأ قبلها: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾<sup>(130)</sup>، ثم قرأ بعدها: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾<sup>(131)</sup>، بإثبات الياء في المنقوص المنون في حالتي الرفع والجر<sup>(132)</sup> على أقل اللغتين؛ مراعاة للفاصلة.

وكما أشرت سابقاً لم تكن الفاصلة وحدها هي ما دعا إلى إثبات الياء في الآيتين السابقتين، بل كونها قد وافقت لغة من لغات العرب؛ لأن إثبات الياء في هذين الموضعين عربي جيد، كما نص عليه معظم النحويين، ومما يدل على ذلك أن بعضهم قد قرأ به في غير الفاصلة، ومن ذلك قراءة ابن كثير: ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾<sup>(133)</sup>.

وقد عزا خالد الأزهري إلى يونس أنه يرجح إثبات الياء في المنون<sup>(134)</sup>.

ويظهر لي أن الأزهري قد سها فيما عزاه إلى يونس؛ لأن يونس يرجح حذف الياء في المنادى المجرد من (أل) والإضافة؛ قياساً على ما كان عليه قبل الإضافة، على ما نقله عنه تلميذه سيبويه، مخالفاً في ذلك الخليل الذي يقول بترجح إثبات الياء، وقد وافق سيبويه يونس، ووصف مذهبه بأنه الأقوى؛ حملاً على ما كان عليه قبل النداء، قال سيبويه: «وسألت الخليل عن القاضي في النداء، فقال: أختار: يا قاضي؛ لأنه ليس بمنون، كما أختار: هذا القاضي، وأما يونس فقال: يا قاض، وقول يونس أقوى؛ لأنه لما كان من كلامهم أن يحذفوا في غير النداء كانوا في النداء أجدر؛ لأن النداء مَوْضِعُ حَذْفٍ»<sup>(135)</sup>.

أثر الفاصلة في اختيار اللغة القليلة وتقديمها على لغة جمهور العرب

فأقول: إن قول سيبويه: «قياساً على ما كان عليه قبل النداء» دليل على أن يونس لا يرجح إثبات الياء في المنون كما عزاه إليه الأزهري. أما قراءة الجمهور فهي على عكس ذلك تماماً، فقد حُذفت الياء من المحلى بـأل (المتعال) على أقل اللغتين؛ كي تستقيم الفاصلة مع المنقوص المنون الذي قبله والذي بعده؛ لأنه قد قرئ فيهما بلغة الجمهور (هاد) و(وال)، قال تعالى: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

وهذه المسألة والمسألة التي قبلها تظهران بشكل واضح ما للفاصلة من أثر في اختيار أقل اللغتين في القرآن الكريم، وتقديمها على اللغة الشائعة لغة جمهور العرب.

**الوقف على آخر الاسم المضاف إلى ياء المتكلم بعد حذفها:**  
إذا أضيف اسم إلى ياء المتكلم، فإنه يجوز في الوقف عليه وجهان:  
**الوجه الأول:** بقاء ياء المتكلم ساكنة، وهذه هي اللغة الفصحى، وهي لغة السواد الأعظم من العرب، وقد جاءت هذه اللغة على الأصل. وقد وصف سيبويه هذه اللغة بأنها أقيس اللغتين وأكثرهما شيوعاً واستعمالاً في السنة العرب، فقال: «وتركها في الوقف أقيس وأكثر؛ لأنها في هذه الحال، ولأنها ياء لا يلحقها التنوين على كل حال، فشبهوها بياء قاضي؛ لأنها ياء بعد كسرة ساكنة في اسم، وذلك قولك: هذا غلامٌ، وأنت تريد: هذا غلامي» (136).

ووافق سيبويه في ذلك الزجاج<sup>(137)</sup>، والواحدي<sup>(138)</sup>، والمرادي<sup>(139)</sup>.

**الوجه الآخر:** حذف ياء المتكلم، والوقوف على آخر الاسم المضاف إليها بالسكون<sup>(140)</sup>، أما في الوصل فيكسرون آخر الاسم، وهو الحرف الذي قبل الياء؛ للدلالة عليها بعد الحذف.

وقد وصف سيبويه هذه اللغة بأنها أقل من اللغة السابقة<sup>(141)</sup>، ونص على ذلك السيوطي<sup>(142)</sup>.

وقد ورد استعمال تلك اللغة القليلة في القرآن الكريم في مواضع ثلاثة، وهي: قوله عز وجل: ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾<sup>(143)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾<sup>(144)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾<sup>(145)</sup> فقال سبحانه: عقاب وعباد ونذر بحذف الياء وكسر ما قبلها وصلًا، وحذف الياء وسكون الدال وقفًا، وبهذا يتضح أن الذي دعا إلى استعمال هذه اللغة القليلة هو مراعاة الفاصلة؛ وذلك لتناسب مع الفواصل الأخرى من حيث الوزن وعدد الأحرف في قوله سبحانه: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(146)</sup>، و﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾<sup>(147)</sup>، وأيضًا في الحرف الأخير والذي قبله في: ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾<sup>(148)</sup>، وقد نص على ذلك الواحدي<sup>(149)</sup>.

وقد نبه مكي بن أبي طالب<sup>(150)</sup> والواحدي<sup>(151)</sup> على أن ما ورد من حذف ياء المتكلم في النداء، كقوله تعالى: ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾<sup>(152)</sup> مسألة أخرى غير هذه المسألة، إذ هي مسألة المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، وما قالاه حق وصواب؛ لأن العلماء قد نصوا على أنه يجوز في ذلك الاسم عدة لغات، منها ما ورد في القرآن الكريم في غير الفواصل<sup>(153)</sup>.

### الوقف على نون الوقاية بالسكون:

نون الوقاية هي نون أتى بها لتفصل بين الفعل وياء المتكلم؛ ليسلم آخره من الكسر، ولهذا اكتسبت اسمها، واللغة الفصحى والأشهر في ألسنة العرب أن تبقى ياء المتكلم بعد النون، ويوقف عليها بالسكون.

وليست هذه فقط هي اللغة التي نقلها الأئمة عن العرب في هذه المسألة، وإنما هناك لغة عربية أخرى أقل شهرة وفصاحة منها، وهي

أثر الفاصلة في اختيار اللغة القليلة وتقديمها على لغة جمهور العرب الوقف على نون الوقاية ساكنة بعد حذف ياء المتكلم، وكسرهما في حال الوصل.

وقد ذكر سيبويه هذه اللغة، وأنشد عليها بعض الشواهد الفصيحة، منها أربعة أبيات لشاعرين من شعراء المعلقات، أحدهما الأعشى الكبير في بيتين له، أولهما قوله:

فَهْلُ يَمْنَعُنِي ارْتِيَادِي الْبَلَا      دَ مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنُ<sup>(154)</sup>

فقال: يَأْتِيَنُ، ولو جاء به على اللغة الفصحى لقال: يَأْتِيَنِي.

والآخر النابغة الذبياني في بيتين له أيضاً، وقد ذكر سيبويه أن بعض العرب أنشدتهما على هذه اللغة، فقال في أحدهما:

إِذَا حَاوَلْتُ فِي أَسَدٍ فُجُوراً      فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنْ<sup>(155)</sup>

بالوقف على (مِنْ) مقيدة بعد حذف الياء، والرواية المشهورة للبيت، وما هو مثبت في ديوان الشاعر منّي، على اللغة الفاشية<sup>(156)</sup>.

وقد نص سيبويه على أن الكثرة والقياس يعضدان لغة جمهور العرب<sup>(157)</sup>.

وتابع الزجاج سيبويه في ذلك، إلا أنه ذكر أن حذف الياء مع نون الوقاية أكثر من حذفها مع المضاف<sup>(158)</sup>، وهي المسألة التي سبق الحديث عنها.

وذهب جماعة منهم الفارسي<sup>(159)</sup> وابن عطية<sup>(160)</sup> إلى أن حذف الياء والوقف على نون الوقاية ضرورة شعرية، وشبهت الفاصلة القرآنية بالشعر في ذلك.

ورد عبد القادر البغدادي هذا القول محتجاً بما ذكره سيبويه من جوازها في السعة عند بعض العرب<sup>(161)</sup>.

وأقول: إن ما قاله البغدادي هو عين الصواب، فما نقله سيبويه عن العرب صدق لا يتطرق إليه شك أبداً، بل إنه - رحمه الله - لم ينقل لنا

هذه اللغة إلا بعد أن تثبت من فصاحة من يتكلم بها؛ ولذا نص على ذلك تأكيداً، فقال بعد إيراد البيت النابغة السابق: «سمعنا ذلك ممن يرويه عن العرب الموثوق بهم»<sup>(162)</sup>.

والدليل على ما ذكرته أنه قد ورد في القرآن ما يعضده ويسنده في مواضع أخرى، فقد وردت آيات عدة وقِف فيها على نون الوقاية في غير الفواصل كما سيأتي، وهذا قول فصل، ونص في المسألة، يقطعان بأنها لغة من لغات العرب؛ لأنه ليس ثمة حاجة تدعو إلى ذلك كما ذهب أصحاب القول السابق من أن حذف الياء كان بسبب الفاصلة.

ومما يدل على ذلك أيضاً أن بعض مناطق وسط الجزيرة العربية ما زالوا يتكلمون بهذه اللغة حتى يومنا هذا، مما يدل على أنها تعود إلى لغة من لغات العرب القديمة.

كما أضيف على ذلك بأن الضرورة لا تتأتى في بيت النابغة السابق الذي أنشدته العرب:

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا      فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنْ

إذ البيت مستقيم وغير مختل لو أتى به على لغة جمهور العرب، فقال: مني، بل هو أسلم وزنا وأجمل جرساً من وزنه على هذه اللغة، ويدرك ذلك ذوو الأذان الموسيقية، وفي هذا دلالة على أن حذف الياء والوقف على نون الوقاية لغة لبعض العرب، فالضرورة لم تدع إليه كما حملة على ذلك الفارسي ومن تبعه.

ومن الآيات التي جاءت على هذه اللغة في غير الفواصل - وهي أقل بكثير مما ورد منها في الفواصل - قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾<sup>(163)</sup>، وقوله عز شأنه: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾<sup>(164)</sup>، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أُمَحْسِبُوكُنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾<sup>(165)</sup>، وقوله جل وعلا: ﴿قَالَ يَهْرُونُ مَأْمَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾<sup>(166)</sup>.

أثر الفاصلة في اختيار اللغة القليلة وتقديمها على لغة جمهور العرب

وتعبري عن هذه اللغة بأنها لغة قليلة لا يعني أنها نادرة الاستعمال، وإنما مرادي بهذا التعبير أنها أقل استعمالاً من اللغة الفاشية، وهي لغة جمهور العرب؛ لكن لوجود الحاجة لها كثر ورودها في أواخر الآي؛ مراعاة لسلامة الفاصلة.

وأمثلة ورود هذه اللغة في الفواصل كثيرة كما أشرت سابقاً، والمقام يطول في إيرادها، وسأكتفي بذكر بعض منها، فمن ذلك قوله سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ﴾ (167)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صِيفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ (168)، وقوله عز اسمه: ﴿يَعْبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ (169).

وقد ختمت آيات كثيرة من سورة الشعراء بفاصلة على هذه اللغة، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْدُلُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ (١٣) وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤) (170)، وقوله في السورة نفسها: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُؤْتِنِي ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ (٨١) (171)، وفي هذه الآيات الأخيرة أوضح دليل على أن اختيار أقل اللغتين كان لغرض إقامة الفاصلة؛ بدليل أنه قد استعمل اللغة جمهور العرب في غير الفواصل من الآيات نفسها، وهي: (خلقني، يطعمني، ويميتني)، وخص الفواصل باللغة القليلة، وهي: (يهدين، ويسقين، ويشفين، ويحين)، ومثل ذلك حدث أيضاً في سورة أخرى، فقد قال عز وعلا: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ (172)، فاستعمل لغة الجمهور في (انصرني) في غير الفاصلة، واستعمل اللغة القليلة في نهاية الآية، فقال: (كذبون)؛ لأنها فاصلة.

وعوداً على سورة الشعراء فقد قال سبحانه: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (172)، وفي سورة الأنبياء قال عز وجل: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا

تَسْتَعِجُلُونَ ﴿١٧٤﴾، وفي سورة الصافات قال سبحانه: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾.

### مصدر الفعل (كَذَّبَ):

القياس في مصدر (فَعَّلَ) هو: تَفَعُّيلٌ، نحو: كَذَّبَ تكذيباً، كما يقال: صدَّقَ تصديقاً، وعَلَّمَ تعليماً، وهو أيضاً مع موافقته للقياس أكثر وأفشى في كلام العرب، وقد نص على ذلك الزجاج<sup>(١٧٦)</sup>، وجاءت هذه اللغة في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ ﴿١٧٧﴾.

وقد وردت آيتان مخالفتان للقاعدة السابقة ولما هو فاش في لغة العرب، إذ ورد فيهما مصدر (فَعَّلَ) على وزن آخر غير (تَفَعُّيلٍ)، والآيتان هما: قوله تعالى في سورة النبأ: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ ﴿١٧٨﴾، وقوله سبحانه في السورة نفسها: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغَوًا وَلَا كِذَابًا﴾ ﴿١٧٩﴾.

وقد قرئت: (كِذَابًا) و(كِذَابًا) و(كُذَابًا)، أما قراءة الكسر والتشديد (كِذَابًا) فهي قراءة الجمهور<sup>(١٨٠)</sup>، وأما قراءة الكسر والتخفيف (كِذَابًا) فهي قراءة الكسائي من العشرة والأعمش وأبي رجاء وعيسى من غيرهم، وعُزيت أيضاً إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(١٨١)</sup>، وأما قراءة الضم والتشديد (كُذَابًا) فقد قرأ بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله<sup>(١٨٢)</sup>.

والظاهر أن إجماع القراء على ترك الإتيان بالمصدر المشهور للفعل (كَذَّبَ) كان لغرض الحفاظ على تناسب الفاصلة مع الفواصل الأخرى في السورة، وهي: (حساباً، وكتاباً، وعذاباً) في الحرفين الأخيرين من الكلمة وفي تقارب عدد حروفها؛ لأن العلماء قد نصوا على أنه من المستحسن أن تتناسب الفاصلة مع الفواصل الأخرى في الطول والقصر والوزن والتماثل في الحرف الأخير والحرف الذي قبله<sup>(١٨٣)</sup>.

وقد قيل في توجيه القراءات السابقة أقوالاً عدة، ولذا سأفرد كلا منها بحديث مستقل، أما قراءة الجمهور (كذَّاباً) فقد وجهها النحويون بما يأتي:

الأول: أن (كذَّاباً) مصدر لـ (كَذَّبَ)، على لغة من لغات العرب، وهي لغة يمانية، وصفها الفراء بأنها لغة فصيحة<sup>(184)</sup>، ولها شهود نثرية وشعرية، أما النثرية فقد سمع الفراء أحدهم يستفتي في حَجِّه، فيقول: أَلَحَّقُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ الْقِصَّارُ؟ يريد التقصير، وأما الشعر فقولُه: لَقَدْ طَالَ مَا ثَبُطُنْتُ عَنْ صَحَابَتِي وَعَنْ حَاجَةِ قَضَاؤِهَا مِنْ شَفَائِيَا<sup>(185)</sup> يريد: تَقْضِيَّتُهَا؛ لِأَن فِعْلَهَا قَضَى. وهو قول الفراء<sup>(186)</sup> والزجاج<sup>(187)</sup> وابن خالويه<sup>(188)</sup>، وعزه أبو جعفر النحاس إلى بعض الكوفيين<sup>(189)</sup>، ووافقهم من المتأخرين أبو حيان<sup>(190)</sup> والسمين الحلبي<sup>(191)</sup>.

ولاهتمام علماء البصريين بالقياس - ولا سيما إذا كان المسموع خلاف الأكثر في كلام العرب - فقد حرص أكثرهم على تفسيره تفسيراً صرفياً؛ ليتماشى مع القاعدة التي وضعوها لمصدر الفعل (فَعَّلَ) كما سيأتي.

وذهب أبو جعفر النحاس إلى أبعد من ذلك، فقد وصف تنبيه الفراء على أنها لغة يمانية فصيحة بأنه ليس فيه كثير فائدة<sup>(192)</sup>، وسبب ذلك عندي ما ذكرته قبيل قليل من أن البصريين ومن سار على منهجهم كأبي جعفر النحاس يُعَنِّون بالتعليل بالأقيسة أكثر من الاعتناء بعزو النصوص المسموعة إلى قبائلها، وذكر درجتها من حيث الفصاحة.

وقد وجه البصريون مجيء مصدر (فَعَّلَ) على (فَعَّالٍ) بأن الفعل إذا كان رباعياً فإنه يزاد في مصدره ألف قبل الآخر، نحو: أَكْرَمَ إِكْرَاماً، وانطلق انطلاقاً، وكَذَّبَ كَذَّاباً<sup>(193)</sup>، ووافقهم عليه كثير ممن جاء بعدهم كمكي بن أبي طالب<sup>(194)</sup> وأبي البركات الأنباري<sup>(195)</sup>.

وأما قراءة الكسائي بالتخفيف (كَذَابًا) فقد نص كثير من النحويين على أن (فَعَال) يأتي مصدرًا لـ (فَعَلَ)، وهو (كَذَبَ) بالتخفيف، نحو: كَتَبَ كِتَابًا، وَحَسَبَ حِسَابًا<sup>(196)</sup>.

وقد ذكر السمين الحلبي نقلًا عن أحد المتقدمين أن هذه اللغة أيضا لغة يمانية<sup>(197)</sup>، وفيه نظر عندي، ولعله سهو من أحدهما، إذ خلط بين لغة التشديد التي نص بعض المتقدمين على أنها لغة يمانية ولغة التخفيف؛ ويدل على ذلك أن الشواهد التي أنشدها النحويون على لغة التخفيف - كما سيأتي - لشعراء من عرب الشمال كالأعشى الكبير وطرفة بن العبد، وهما من قبيلة بكر<sup>(198)</sup>، التي تنسب إلى ربيعة بن عدنان<sup>(199)</sup>، وليست من قبائل اليمن التي يعود نسبها إلى قحطان، كما أن مساكن قبيلة بكر في وسط الجزيرة العربية وشمالها<sup>(200)</sup>، والصحيح في نسبة هذه اللغة عندي هو ما ذكره الفراء في كتابه (لغات القرآن) من أنها لغة نجدية<sup>(201)</sup>، ومما يدل على صحة ذلك ويؤكدده أن أرض نجد وبخاصة منطقة اليمامة منها هي من منازل قيس بن ثعلبة أحد أكبر بطون قبيلة بكر، وهو - أعني قيس بن ثعلبة - أحد أجداد الشعارين الأعشى وطرفة اللذين استشهد النحويون ببيتين من شعرهما؛ استدلالا على هذه اللغة<sup>(203)</sup>، أما بيت الأعشى فهو:

فَصَدَقْتُهَا وَكَذَبْتُهَا  
وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهُ

وأما بيت طرفة فقد أنشده ابن جني في المسألة نفسها<sup>(204)</sup>.

ويجوز أن يكون الناصب لـ (كَذَابًا) الفعل المذكور في الآية (كَذَّبُوا)، أو أن يكون فعلا محذوفا غير مشدد، وتقديره: وكذبوا بآياتنا، فكذبوا كَذَابًا<sup>(205)</sup>.

وذهب المبرد<sup>(206)</sup> وابن خالويه<sup>(207)</sup> إلى أن (كَذَابًا) مصدر للفعل (كَاذَبَ)، مثل: قَاتَلَ قِتَالًا.

أثر الفاصلة في اختيار اللغة القليلة وتقديمها على لغة جمهور العرب

وذهب قُطْرُبٌ إلى أن (كُذَّابًا) ليست بمصدر أصلاً، وإنما هي جمع لـ (كَاذِبٍ)، مثل: صَاحِبٍ وَصِحابٍ<sup>(208)</sup>، وأجازه من المتأخرين المنتجب الهمداني<sup>(209)</sup>.

أما قراءة (كُذَّابًا) بالضم والتشديد فلهم في توجيهها قولان:  
الأول: أنها جمع لـ (كَاذِبٍ) مثل: كَافِرٍ وَكُفَّارٍ وَفَاجِرٍ وَفُجَّارٍ، وعليه يكون إعرابها حالاً من واو الجماعة في (كذبوا)؛ أي: كذبوا بآياتنا حال كونهم كاذبين، وهو قول لجماعة من النحويين<sup>(210)</sup>.

وأقول: لا يخفى على المتأمل أن في التركيب على هذا التوجيه ضعفاً وركاكة وتكراراً من المستحيل أن تخرج من مشكاة الفصاحة والبلاغة، وأرى أن الأولى أن يكون الاسم (كُذَّابًا) منصوباً على الذم، كنصب (حمالة) في قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾<sup>(211)</sup> أي: وكذبوا بآياتنا أذمُّ كُذَّابًا.

الثاني: أنه وصف أُريد به المبالغة، مثل عَجِيبٍ وَعُجَابٍ<sup>(212)</sup>.

### الخاتمة:

لقد ظهر لي بعد إتمامي لهذا البحث ثمرات سألخصها فيما يأتي من نقاط:

1 - أن إقامة الفاصلة سبب رئيس ومؤثر قوي في استعمال بعض اللغات القليلة الفصحية في القرآن الكريم، وتقديمها على اللغة الفصحى الفاشية، وهي لغة جمهور العرب، وقد استطعت جمع تسع مسائل تدل على ذلك، ثلاث منها نحوية، وباقيةا صرفية.

2 - اشتمال القرآن الكريم بقراءته على لغات عدة، وكلها في درجة عالية من الفصاحة، وإن كان بعضها أكثر فصاحة من بعض، لكنه لا يصح القدح في أي منها، وإن خالفت بعض الأقيسة؛ وسبب ذلك

أن تلك الأقيسة والقواعد قد وضعها العلماء على اللغة الفصحى الشائعة، وليس على كل لغة فصيحة تكلمت بها العرب، وبناء على ذلك فمن غير المقبول أن تجعل تلك الأقيسة معياراً لقبول اللغات الأخرى أو رفضها؛ لأن ورودها في القرآن هو أقوى دليل على فصاحتها.

3 - أن اللغات القليلة المستعملة في الفواصل تختلف في نسبة ورودها في القرآن الكريم، فمنها ما ورد في مواضع كثيرة كلغة الوقف على نون الوقاية بعد حذف ياء المتكلم، ومنها ما ورد في موضعين كتعدي (زوّج) إلى مفعوله الثاني بالباء، وأكثرها ما بين هذا وذلك.

4 - من تلك اللغات القليلة التي وردت في الفواصل ما عزاه العلماء إلى معظم أقاليم الجزيرة العربية، وهي: الحجاز ونجد واليمن، أو إلى عدد من قبائلها، سواء العدنانية، وهي: تميم وهذيل وعبس، أو القحطانية، وهي: أزد شنوءة.

5 - تأكد لي صحة ما ذكر عن الكوفيين من اهتمامهم بالمسموع عن العرب؛ ولذا فإن لهم عناية في عزو اللغات إلى قبائلها، أو النص على أنها إحدى لغات العرب، أو التنبيه على درجتها من حيث الفصاحة، وقد ظهر ذلك بجلاء عند الفراء في عدد من مسائل البحث.

## الهوامش

- (1) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح: 194/6، ومسلم في صحيحه: 560/1.
- (2) سورة الفجر: 4.
- (3) سورة الكهف: 64.
- (4) كتاب سيبويه: 185/4.
- (5) انظر: المحرر الوجيز: 514/5.
- (6) انظر: البيان في عد أي القرآن: 126، والبرهان في علوم القرآن: 54/1، والموسوعة القرآنية: 276/2.
- (7) انظر: البيان في عد أي القرآن: 126، والبرهان في علوم القرآن: 54/1.
- (8) انظر: البرهان في علوم القرآن: 54/1، والموسوعة القرآنية: 276/2.
- (9) سورة فصلت: 3.
- (10) انظر: الموسوعة القرآنية: 276/2.
- (11) انظر: معاني القرآن وإعرابه: 121/1.
- (12) معاني القرآن وإعرابه: 121/1.
- (13) انظر: البيان في عد أي القرآن: 126، والبرهان في علوم القرآن: 54/1، والإتقان في علوم القرآن: 332/3.
- (14) انظر الخلاف في هذه المسألة مفصلاً في: البرهان في علوم القرآن: 54/1، والإتقان في علوم القرآن: 334-338.
- (15) انظر: الدر المصون: 225/9، واللباب في علوم الكتاب: 124/16، والسراج المنير: 322/3.
- (16) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني: 57، والبرهان في علوم القرآن: 54/1.
- (17) انظر: سر الفصاحة: 127، والبرهان في علوم القرآن: 54/1، والإتقان في علوم القرآن: 334/3.
- (18) انظر: إعجاز القرآن: 57، والبرهان في علوم القرآن: 54/1.
- (19) انظر: الدر المصون: 225/9.
- (20) انظر: سر الفصاحة: 127، والبرهان في علوم القرآن: 54/1.
- (21) انظر: البرهان في علوم القرآن: 54/1.

- (22) انظر: البرهان في علوم القرآن: 54/1.
- (23) انظر: الصناعتين: 261-262.
- (24) انظر: سر الفصاحة: 127.
- (25) انظر: المثل السائر: 214/1.
- (26) انظر: الصناعتين: 261.
- (27) انظر: مصطلحات النحو الكوفي: 8.
- (28) سورة طه: 77.
- (29) انظر: النشر: 321/2، والاختيار في القراءات العشر: 544/2.
- (30) انظر: كتاب سيبويه: 98/3.
- (31) انظر: معاني القرآن: 187/2.
- (32) انظر: إعراب القرآن: 50/3.
- (33) انظر: إعراب القراءات السبع: 46/2.
- (34) انظر: كشف المشكلات: 2/845.
- (35) انظر: معاني القرآن: 161/1، 187/2، وإعراب القرآن للنحاس: 51/3.
- (36) انظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد: 454/3.
- (37) انظر: معاني القرآن: 161/1.
- (38) البيت لقيس بن زهير في: شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي: 340/1، وخزانة الأدب: 359/8، وبلا عزو في: كتاب سيبويه: 316/3، والخصائص: 333/1، وسر صناعة الإعراب: 87/1.
- (39) انظر: إعراب القرآن: 50/3.
- (40) انظر: الحجة: 239/5.
- (41) انظر: الكشف عن وجوه القراءات: 102/2.
- (42) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن: 150/2.
- (43) انظر: التبيان في إعراب القرآن: 899/2.
- (44) انظر: كتاب سيبويه: 98/3.
- (45) انظر: معاني القرآن: 162/1.
- (46) انظر: الحجة: 240/5.
- (47) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن: 150/2.

- (48) الفريد في إعراب القرآن المجيد: 453/3.
- (49) انظر: إعراب القراءات السبع: 46/2.
- (50) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن: 151/2.
- (51) انظر: التبيان في إعراب القرآن: 899/2.
- (52) انظر: إعراب القرآن للنحاس: 50/3، والبيان في غريب إعراب القرآن: 150/2، والتبيان في إعراب القرآن: 898/2، وشرح المفصل: 281/4.
- (53) سورة الأعلى: 6.
- (54) انظر: إعراب القرآن: 205/5.
- (55) انظر: إعراب القراءات السبع: 46/2.
- (56) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن: 508/2.
- (57) انظر: إعراب القرآن: 205/5.
- (58) انظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد: 659/2.
- (59) انظر: إعراب القراءات السبع: 46.
- (60) انظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد: 660/4.
- (61) سورة الفجر: 4.
- (62) انظر: السبعة: 683، وحجة القراءات: 761.
- (63) انظر: الدر المصون: 780/10.
- (64) انظر: كتاب سيبويه: 185/4.
- (65) انظر: معاني القرآن وإعرابه: 321/5.
- (66) انظر: الأصول: 389/2.
- (67) انظر: إعراب القرآن: 219/5.
- (68) انظر: الحجة: 402/6.
- (69) انظر: سر صناعة الإعراب: 471/2.
- (70) انظر: أمالي ابن الشجري: 290/2.
- (71) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن: 1285/2.
- (72) انظر: كتاب سيبويه: 185/4.
- (73) معاني القرآن وإعرابه: 125/2.
- (74) انظر: معاني القرآن: 260/3.

(75) البيت للحصين بن الحمام في: شرح المفصل: 153/4، وبلا عزو في: سر صناعة الإعراب: 519/2، والخصائص: 90/3، والإنصاف: 387/1، وتذكرة النحاة: 32.

(76) انظر: الدر المصون: 387/6،

(77) تذكرة النحاة: 32.

(78) انظر: الدر المصون: 387/6، وكلام الزمخشري في موضع الآية من السورة مقتضب جدا، انظر: الكشف: 249/4، وقد عزا هذه اللغة إلى هذيل في موضع آخر، انظر: 293/3.

(79) سورة هود: 105.

(80) سورة الكهف: 64.

(81) سورة الأحزاب: 37.

(82) انظر: لغات القرآن: 130، وتهذيب اللغة: 105/11.

(83) سورة الدخان: 54.

(84) سورة الطور: 20.

(85) انظر: لغات القرآن: 130، وتهذيب اللغة: 105/11.

(86) انظر: لغات القرآن: 130، وعزا الأزهري هذا النسبة إلى الفراء، فقد يكون بسبب أن الفراء نقله عن القاسم بن معن، انظر: تهذيب اللغة: 105/11.

(87) انظر: التفسير البسيط: 123/20.

(88) انظر: شرح شذور الذهب: 483.

(89) تهذيب اللغة: 152/1.

(90) انظر: التفسير الكبير: 665/27.

(91) انظر: إعراب القرآن: 256/4.

(92) انظر: التفسير البسيط: 123/20.

(93) انظر: التفسير البسيط: 123/20.

(94) انظر: معاني القرآن: 457/2.

(95) انظر: شرح الأشموني: 229/2.

(96) سورة الحاقة: 21.

(97) سورة الطارق: 6.

(98) انظر: إعراب القرآن للنحاس: 198/5.

- (99) انظر: معاني القرآن: 255/3.
- (100) انظر: تفسير الطبري: 354/24.
- (101) معاني القرآن: 255/3، وانظر: تفسير الفخر الرازي: 119/31.
- (102) انظر: معاني القرآن وإعرابه: 311/5.
- (103) انظر: كتاب سيبويه: 382/3.
- (104) 311/5.
- (105) انظر: إعراب القرآن: 198/5.
- (106) انظر: التبيان في إعراب القرآن: 1281/2.
- (107) انظر: اللباب في علل البناء والإعراب 204/2، وشرح ابن الناطم على ألفية ابن مالك: 574، وأوضح المسالك: 309/4.
- (108) سورة الرعد: 9.
- (109) سورة غافر: 21.
- (110) سورة غافر: 15.
- (111) سورة الفجر: 9.
- (112) انظر: كتاب سيبويه: 183/4.
- (113) انظر: معاني القرآن وإعرابه 373/4.
- (114) انظر: الأصول: 375/2.
- (115) انظر: شرح كتاب سيبويه: 156/2 (مطبوع).
- (116) انظر: الحجة: 14/5.
- (117) انظر: أمالي ابن الشجري: 290/2.
- (118) انظر: إعراب القرآن: 353/2.
- (119) انظر: المحكم: 275/9.
- (120) انظر: تفسير الثعلبي 197/10.
- (121) انظر: حجة القراءات: 372.
- (122) انظر: التبيان في إعراب القرآن 753/2.
- (123) سورة القمر: 6.
- (124) سورة القمر: 8.
- (125) سورة النازعات: 16.

- (126) الحجة: 14/5.
- (127) انظر: الحجة: 14/5، واللباب في علل البناء والإعراب 2/204، وشرح الكافية الشافية: 1985/4.
- (128) سورة الرعد: 9.
- (129) انظر: الدر المصون: 23/7.
- (130) سورة الرعد: 7.
- (131) سورة الرعد: 11، وانظر تخريج هذه القراءات في: الكشف عن وجوه القراءات السبع: 246/2، والنشر: 350/2.
- (132) انظر هذه القراءات في: الكشف عن وجوه القراءات السبع: 246/2، والنشر: 350/2.
- (133) سورة النحل: 96، وانظر القراءة في: حجة القراءات: 375، والكشف عن وجوه القراءات السبع: 40/2.
- (134) انظر: التصريح: 620/2.
- (135) كتاب سيبويه: 185/4.
- (136) كتاب سيبويه: 185/4.
- (137) انظر: معاني القرآن وإعرابه: 389/1.
- (138) انظر: التفسير البسيط: 429/2.
- (139) انظر: توضيح المقاصد: 1984/2.
- (140) انظر: كتاب سيبويه: 186/4.
- (141) انظر: كتاب سيبويه: 185-186/4، وشرح أبيات سيبويه: 288/2.
- (142) انظر: همع الهوامع: 531/2.
- (143) سورة الرعد: 32.
- (144) سورة الزمر: 17.
- (145) سورة القمر: 16، 18، 21، 30، 37، 41.
- (146) الزمر: 18.
- (147) الزمر: 19.
- (148) الزمر: 20.
- (149) انظر: التفسير البسيط: 429/2.
- (150) انظر: الكشف في وجوه القراءات: 237/2.

- (151) انظر: التفسير البسيط: 429/2.
- (152) سورة الزمر: 16.
- (153) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 274/3، شرح الأشموني: 40/3.
- (154) البيت للأعشى، انظر: ديوانه: 65، وكتاب سيبويه: 187/4، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي: 346/2، وشرح المفصل: 40/9، وبلا عزو في: شرح الكافية الشافية: 1400/3.
- (155) البيت للناطقة الديباني، انظر: ديوانه: 127، والرواية فيه: مني، كتاب سيبويه: 146/4، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي: 335/2، وبلا عزو في: شرح شافية ابن الحاجب للرضي: 209/4.
- (156) انظر: ديوان الناطقة الديباني: 127.
- (157) انظر: كتاب سيبويه: 186/4، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي: 209/4.
- (158) انظر: معاني القرآن وإعرابه: 389/1.
- (159) انظر: التفسير البسيط: 189/18.
- (160) انظر: المحرر الوجيز: 489/2.
- (161) انظر: شرح شافية ابن الحاجب: 209/4، (بهامشه شرح شواهد للبغدادى).
- (162) كتاب سيبويه: 186/4.
- (163) سورة آل عمران: 20.
- (164) سورة المائدة: 3.
- (165) سورة الأنعام: 80.
- (166) سورة طه: 92، 93.
- (167) سورة البقرة: 40.
- (168) سورة الحجر: 68، 69.
- (169) سورة الزمر: 16.
- (170) سورة الشعراء: 12-14.
- (171) سورة الشعراء: 77-81.
- (172) سورة المؤمنون: 39.
- (173) سورة الشعراء: 62.
- (174) سورة الأنبياء: 37.

- (175) سورة الصافات: 99.
- (176) انظر: معاني القرآن وإعرابه: 274/5.
- (177) سورة البروج: 19.
- (178) سورة النبأ: 28.
- (179) سورة النبأ: 35.
- (180) انظر: السبعة: 669، والكشف: 359/2.
- (181) انظر: السبعة: 669، والمحتسب: 348/2.
- (182) انظر: المحتسب: 348/2.
- (183) انظر: 53/1.
- (184) انظر: معاني القرآن: 229/3.
- (185) البيت عزاه الفراء إنشاده إلى بعض بني كلاب، انظر: معاني القرآن: 229/3، وبلا عزو في: معاني القرآن وإعرابه: 274/5، والتفسير البسيط: 23، 135، والمحرر الوجيز: 427/5.
- (186) انظر: معاني القرآن للفراء: 229/3.
- (187) انظر: معاني القرآن وإعرابه: 274/5.
- (188) انظر: إعراب القراءات السبع وعللها: 432/2.
- (189) انظر: إعراب القرآن للنحاس: 133/5.
- (190) انظر: البحر المحيط: 388/10.
- (191) انظر: الدر المصون: 685/10.
- (192) انظر: إعراب القرآن: 133/5.
- (193) انظر: المقتضب: 101/2، والأصول: 116/3، وإعراب القرآن للنحاس: 133/5، والحجة للقراء السبعة: 369/2.
- (194) انظر: مشكل إعراب القرآن: 796/2، والكشف: 359/2.
- (195) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن: 491/2.
- (196) انظر: معاني القرآن وإعرابه: 274/5، والمحتسب: 348/2، حجة القراءات: 746، والكشف عن وجوه القراءات: 359/2.
- (197) انظر: الدر المصون: 659/10.
- (198) انظر: جمهرة النسب: 537/3، وطبقات فحول الشعراء: 52/1، 137، وجمهرة أنساب العرب: 319، 320.

## أثر الفاصلة في اختيار اللغة القليلة وتقديمها على لغة جمهور العرب

- (199) انظر: جمهرة النسب: 485/3، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم: 302.
- (200) انظر: صفة جزيرة العرب: 57.
- (201) 152.
- (202) انظر: طبقات فحول الشعراء: 52/1، والشعر والشعراء: 154، وجمهرة أنساب العرب: 319.
- (203) البيت للأعشى في: الكامل: 564/2، وحجة القراءات: 746، والدر المصون: 659/10، والبيت ليس في ديوانه، وبلا عزو في: ومعاني القرآن وإعرابه: 274/5، والكشاف: 209/4.
- (204) انظر: المحتسب: 348/2.
- (205) انظر: معاني القرآن وإعرابه: 274/5، والكشاف: 207/4، الدر المصون: 659/10.
- (206) انظر: حجة القراءات: 746، ومشكل إعراب القرآن: 796/2، وإعراب القراءات الشواذ: 671/2.
- (207) انظر: إعراب القراءات السبع: 432/2.
- (208) انظر: المحتسب: 348/2، والفريد في إعراب القرآن المجيد: 611/4.
- (209) انظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد: 611/4.
- (210) انظر: المحتسب: 348/2، والكشاف: 209/4، وإعراب القراءات الشواذ: 672/2، والدر المصون: 659/10.
- (211) سورة المسد: 4.
- (212) انظر: المحتسب: 348/2، والكشاف: 209/4، وإعراب القراءات الشواذ: 672/2، والدر المصون: 659/10.

## اللغة والقراءة التأويلية

موسى بن درباش بن موسى الزهراني (\*)

### تكوين الرؤية:

ارتباط اللغة بالإنسان أمر ظاهر للعيان، فهي من أعظم مميزات الإنسان، وتحقيق وجوده الكوني، وبها أصبح هذا المخلوق العجيب كينونة لغوية<sup>(1)</sup>، فهو «لا يفكر إلا باللغة، ومعيّار التفكير الدقيق هو ما تشير إليه اللغة من أسماء وأشياء»<sup>(2)</sup>، كما أن عملية التواصل والإبلاغ والبيان لا تكون إلا من خلال اللغة لديه أيضاً، وفي هذا دلالة على أنّ النظام اللغوي داخل الوجود الإنساني نظام قسري «حيث يجد الفرد نفسه منذ ولادته داخل أنساق لغوية محكمة المعاني صارمة المباني، فلا يمكن إزائها إلا الخضوع والاستسلام»<sup>(3)</sup>، وهذا يعني في المحصلة أنّ العلاقة بين الإنسان واللغة علاقة وجود وحياة.

إنّ مما يتمظهر في خلق اللغة ووجودها هو الطابع الاجتماعي، فبواسطتها يكون قضاء الحاجة بين الناس، لذلك جعلت وسيلة التواصل والتفاهم والإبلاغ، وبتعبير ابن جني «يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»<sup>(4)</sup>، لكن هذا التصور للغة يعزلها في حيّز معيّن، ولا يسمح لها باجتياز الحدود نحو أفق أرحب، مما أدّى إلى ظهور تصور جديد في الدراسات الحديثة المعنية باللغة، خاصة في حقول الفلسفة وعلم اللغة

(\*) أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد - كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى.

والنقد الأدبي، إذ يعلي هذا التصور من شأن اللغة، فيجعلها ذاتها هدفاً من أهداف البحث الفلسفي<sup>(5)</sup>، وغاية تنشد، وليست مجرد وسيلة إلى غاية يتطلبها المفهوم الاجتماعي في دائرة التواصل<sup>(6)</sup>.

إن اللغة في تقدير [الغاية] يعني تحولها من صفة [الإبلاغ] إلى صفة [الإبداع]، وهي في الصفة الأولى جماعية، فمظهرها إذن اجتماعي لإحداث التواصل، بينما هي في الصفة الأخرى فردية، فيستقصدها المنشئ تحقيقاً لخلق خاصية الأدبية فيها، التي تفلت من المفاهيم المستقرة واللغة المشتركة.

إذن اللغة الأدبية التي بها يصبح النص نصاً أدبياً تقوم على مخالفة المؤلف من الاستعمال اللغوي، فتتمكن فيها المجازات الماكرة، والاتساعات الأسلوبية، كما تتسع للرمز والغامض والممتنع، وفي هذه المرحلة تتحول اللغة إلى طاقة هائلة من الإيحاء والرمز، مما يؤدي إلى خلق طريق فيها قادر على استيلاد المعاني من الألفاظ، وشحن الألفاظ بالدلالات المتنوعة<sup>(7)</sup>، فتصبح اللغة هنا لغة مجازية، تحرق المؤلف، وتتجاوز الحدود، وتكون حبلً بتكثيف الدلالة وتراحب المعنى، وتغدو الكلمات فيها حقول احتمالات، مما يتطلب فيها إقامة التأويل، لكشف المخبوء من الممكن والمحتمل<sup>(8)</sup>.

إن هذه الخصوصية في استخدام اللغة الأدبية هي التي خلقت في النص الأدبي علاقة خاصة مع اللغة، وقد أثرت هذه العلاقة كما كان يرى [شلايرماخر] على عملية الفهم للنص، فلا يمكن فهمه إلا من خلال علاقته باللغة<sup>(9)</sup>، مما يدل إذاً على أهمية اللغة وتحولاتها في النص الأدبي. ولهذا يقول زكريا إبراهيم: «نجد أن اللغة بمجرد ما تستحيل إلى أداة شعرية فإنها تكتسب قيمة في ذاتها، حتى إنني لأستطيع أن أسمع قصيدة إلا بشيء من المهابة والاحترام»<sup>(10)</sup>.

## اللغة وتحول المفهوم:

لا يمكن تصور الوجود الإنساني دون لغة، فظاهرة اللغة في هذا الوجود أمر فطري وطبيعي، خاصة إذا ما نظرنا إلى وسيلتها الرمزية في الاتصال، وقدرتها المانحة للإنسان على أن يكون رؤيته وتفكيره، وتصوّره لنفسه وللعالم، وتشكيله لوجوه حياته المختلفة<sup>(11)</sup>، مما جعل أهميتها الوجودية في النطاق الإنساني ذات طابع خاص.

لكن مفهوم [اللغة] في العصر الحديث مسّه تحول جديد في حقل الدراسات الفلسفية والنقد الأدبي، خاصة مع ظهور نظريات القراءة المهمة بأبعاد النص ودلالاته، فأصبحت الرؤية - في هذه المرحلة - تجاه اللغة، وعن تشكيل علاقتها بالإنسان، تتجاوز الموروث أو السائد الذي يعطي اللغة صفة الأداة التعبيرية، والوسيلة التواصلية، إلى أنّ اللغة هي ذاتها مسكن الوجود<sup>(12)</sup>، فهي «أداة التعرف الوحيدة على العالم والذات، وهي من ثم أهم أدوات الإنسان في امتلاك هذا العالم والتعامل معه»<sup>(13)</sup>، ولكنها لا تعبّر عن الإنسان، وإنما هي تجلّ للوجود<sup>(14)</sup>؛ لأن الوجود يأخذ مكاناً في شكل لغة، فتتشكل علاقة جديدة بين الإنسان واللغة، تغدو اللغة في تصور هذا المفهوم الجديد مفصحة عن نفسها من خلال الإنسان، وليس الإنسان هو الذي يفصح عن نفسه من خلال اللغة، «فاللغة ليست وسيلة أو أداة يستخدمها الإنسان على نحو ما يستخدم الأدوات، بل إن اللغة ليست هي ما ينطقه الإنسان، فليس هو الذي ينطق أو يتحدث اللغة، بل إنّ اللغة تنطق وتحدث من خلاله، وطالما كانت اللغة هي مجال الفهم والتفسير، فإن ذلك يعني أنّ الإنسان يفهم ويفسر من خلال اللغة»<sup>(15)</sup>.

من هنا اتخذت اللغة وضعاً مختلفاً عن السابق، وتطور مفهومها أمام عقلية التفكير والإبداع، وعلاقتها بالأشياء، مادام أنها هي التي

تفصح عن ذاتها من خلال الإنسان وليس العكس، مما يتطلب لها فهماً وتفسيراً لكشف أبعادها ومخبوءاتها، «وهذا يعني أنّ كل لغة لها إمكانية التعبير عن كل شيء»<sup>(16)</sup>، وقد أدّى هذا الفهم للغة، ولتحولها داخل النص، إلى إعطاء تصور جديد للنص، إذ إنّ هذا التصور سيحقق للنص استقلالاً عن مؤلفه؛ لأنه أصبح حدثاً لغوياً وجودياً ثابتاً، وذلك بفضل اللغة التي أعطته الثبات، وأعطت القارئ حق الاختلاف من خلال القراءة التأويلية، التي تجهد للفهم والتفسير من أجل كشف مكونات النص المحتجبة.

إنّ هذا التصور للغة وعلاقتها بالوجود والإنسان استثار السؤال المحيّر عن [الحقيقة] التي يسعى الإنسان إلى كشفها وامتلاكها، فقد غدت [الحقيقة] في علاقة تداخلية خاصة مع [اللغة]، بموجب هذه العلاقة يتشكل حدث اتصالي بينهما، ولكن في صورة مختلفة غير علنية، وكأنما هنالك عملية مراوغة بين الحقيقة واللغة، فالحقيقة تتوارى من وراء اللغة، والمنطوق يخفي الدلالات أو المعنى، وهذا ما يحتم عملية البحث عن ذلك المعنى المستتر، وتلك الدلالات المخبوءة من خلال وسيط [اللغة]، فكأن [اللغة] تخفي وتظهر، وهذا هو سر العلاقة الخاصة مع [الحقيقة]، ومن هنا ينشط الفعل القرائي في طبقات النصوص لتجلية الحقيقة، والحقيقة المقصودة هنا هي «ذلك الإمكان الذي ينطوي عليه النص، أو ينكشف عنه لقارئه»<sup>(17)</sup> ومن هنا أصبح امتلاك الحقيقة هاجساً أمام القراءة، وتحولت اللغة - في هذه المرحلة من التصور - إلى مستند تعوّل عليها القراءة لكشف فضاءات النص الدلالية، وإمكاناته التأويلية، كما تطلبت اللغة من منظور هذا التطور، ووفق هذا التصور الجديد، وجود صورة القارئ الكامنة في خلايا النص، أي صورة الحالة أو الهيئة أو الوضعية، قبل صورة القارئ

بمعنى الحقيقة التاريخية الملموسة - وإن كان هذا أمراً مطلوباً بطبيعة الحال - فهو المروي له المستتر الذي يتوجه إليه النص<sup>(18)</sup>، ويكون قادراً على الكشف والتأويل، فكل قراءة تصدر من القارئ «هي حمل لمعنى ما على المقروء، وترجيح لمعنى آخر، أي هي تأويل»<sup>(19)</sup>، وهذا العمل ينطوي على مهارة لدى القارئ لإفصاح البنية الدلالية للنص، التي هي «شيء ينجزه القارئ بعملية فرز من خلال دلالات الإيحاء الواردة في كلمات النص وعباراته»<sup>(20)</sup>، وبهذا تشكل اللغة أساساً ومستنداً ركيزاً في فعل القراءة التأويلية.

### اللغة والنشاط التأويلي للنص:

النص بصفته الوجودية مرتبط باللغة، وهو في ذاته - أيضاً - يحمل حقيقة قد تختلف عليها الأفهام في تحديدها، لكنها مرتبطة باللغة، بفضل المنهج التأويلي الذي يتخذ من اللغة طريقاً للبحث عن الحقيقة، ذلك أن القراءة تنظر إلى النص في صفتي [المنطوق] و[المسكوت عنه]، والقراءة في النص المنطوق ظاهرية في تعاملها مع اللغة، لا تتجاوز حدود الإمكانيات التعبيرية الاتصالية للغة، أما في المسكوت عنه فإنها تستبطن أبعاد الدلالات المخفية، وهذه القراءة تعني غنى النص وقوته، وهو الذي يسمح بتوظيف القراءة الفعالة المتجاوزة إلى إمكانيات النص المحتجبة.

إن النص مكوّن لغوي يؤدي إلى حقيقة، فيحضر التأويل منهجاً، واللغة وسيلة يُستند إليها، و«التأويل المعتمد على اللغة هو الشكل التأويلي بامتياز»<sup>(21)</sup>، لكنّ البحث عن الحقيقة في النص - كما قرّر راسيتي - أمر ذو صعوبة، وهذا ما يخلق تعدد التأويلات والقراءات<sup>(22)</sup>، ولهذا يقول نيتشه ليس هنالك حقائق بل تأويلات<sup>(23)</sup>، غير أن الشيء الذي يجب إظهاره هنا هو ما يتعلق بقوة النص وإمكاناته، ذلك أن قوة

النص «هي في حجبه ومخاطلته، لا في إفصاحه وبيانه»<sup>(24)</sup>، أي فيما يضم من حقائق ودلالات تحتاج إلى قدرة تأويلية للكشف عنها، بسبب لغته التي تهيئ فسحة خالقة للمعنى أمام القارئ، وهذا ما يجعل منه نصاً مفعماً بالاحتمالات التي تتطلب إعمال العقل والروية، والغوص فيما وراء الظاهر لخرق الحجب، واستنطاق المسكوت عنه والمتواري، وهذا النص على هذا التوصيف يكون على النقيض من النص المتسم بالانكشاف والسطحية، الخالي من العمق والقوة، الذي لا يمتلك ذلك الثراء من الاحتمالات والدلالات، ولا يفتح لاستجلاب القراءات التأويلية التي تبحث عن مستواها العميق.

إنَّ أعظم النصوص التي تمتلك إمكانيةً في توظيف القراءة التأويلية، بسبب سبكها بلغة يمكن من خلالها التجاوز إلى البحث عن الحقائق والدلالات والاحتمالات، يمكن إجمالها في ثلاثة نصوص: النصوص المقدسة والدينية وما يلحق بها، والآثار الفلسفية، ثم الأعمال الأدبية<sup>(25)</sup>، وأخص هنا من بين تلك النصوص المنجز الشعري، بسبب بنيته اللغوية الخاصة التي تخلق له عالمة الشعري، وتحوله إلى نصٍّ إبداعي مكثف الدلالة، يتسم بالمخادعات والانحرافات الأسلوبية التي تحجب أكثر مما تظهر، مما يجعله نصاً مكثفاً وغنياً بالاحتمالات والدلالات، فيتسع للقراءات التأويلية الباحثة عن المعنى<sup>(26)</sup>.

إنَّ علاقة النص الشعري باللغة تفسر حضور المنهج التأويلي الباحث عن الحقيقة في صورة أجلي وأعمق من أي نص، ذلك أنَّ اللغة هنا خلقت عالماً مبتكراً مختلفاً، فغدت مشاكسة الواقع، وظاهرة الاختلاف، وخلق المسافة المستقصدة بين الحقيقة والمجاز، واستحضار الإيحاءات، واستنبات الرموز، وغيرها من الطرق، سمة هذه اللغة المختلفة التي صيرت النص الشعري «من أكثر الكلام احتمالاً لفنون التأويل»<sup>(27)</sup>.

وهذا ما اصطنع خصوصية اللغة الشعرية، وأكسبها فريدة نوعية، وإذا كانت اللغة تحل في النظام التأويلي على مساحة النصوص المهيأة لهذا التناول المنهجي، فإنها «تبلغ ذروة التأويلية في الشعر العظيم»<sup>(28)</sup>، وهذه اللغة تحفز القارئ المتمكن على إعمال العقل وبذل الجهد في البحث عن المعنى، إذ بسببها وعن طريقها تكثفت الدلالة، وحضرت إرادة المخادعة، والنص «الذي تتعدد وجوه التأويل فيه، ويستفز القارئ إلى بذل الجهد في المتابعة والتفكير هو النص الإبداعي الأصيل»<sup>(29)</sup>، وهذا ما استطلبه عبد القاهر من قديم في التأليف الإبداعي الجيد ذي الغنى والقوة، إذ جعل المعنى فيه «لا يحصل لك إلا بعد انبعاث منك في طلبه، واجتهاد في نيله»<sup>(30)</sup>، بل إنه ربط بين هذه المجاهدة والمعاناة، وبين اللذة الناتجة بعد الكشف والنيل، ذلك «أنَّ الشيء إذا نيل بعد الطلب له، أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف»<sup>(31)</sup>.

إذاً النص الأدبي عطاء دلالي، لكنه يتطلب تفاعلاً مع لغته للبحث والكشف، وتكون [الحقيقة] هاجس القارئ الذي يوظف [التأويل] لإظهارها، إلا أنَّ مفهوم [الحقيقة] هو المشكل الآخر، لكونه غير متعين أو ثابت في النص الأدبي، لتعاور الأفهام على فهمها من زوايا متعددة، بسبب غواية اللغة، ولهذا كان يرى [هيجل] أنَّ الحقيقة في صيرورة وتغيّر، وليست ثابتة<sup>(32)</sup>، غير أنَّ هذا الاختلاف حول الحقيقة في النص بما تجيزه اللغة هو ما يشير - كما أبين سابقاً - إلى غنى النص وقوته.

لقد عرّف الفيلسوف [هيدجر] - وهو أحد رموز المنهج التأويلي - الحقيقة بأنها الكشف<sup>(33)</sup>، ويقول -: «إنَّ معنى الحقيقة هي كشف المحجوب، إزالة الغطاء»<sup>(34)</sup>، وهذا الكشف لن يكون إلا عبر قراءة

اللغة لإظهار غير الواضح وغير المائل، أي كشف المعنى الباطني الذي تحتمله لغة النص، وهذا ما سيحقق الموضوعية في النشاط التأويلي، لتوظيفه معياراً مهماً يُستند إليه في قراءة النص، ويكشف بواسطته إمكانات النص وأوجه الدلالة فيه، دون النزوع إلى تحكيم الذاتية وتغليب الهوى والميول الشخصي، وإذا كان من الممكن تعريف الحقيقة «بأنها مطابقة الفكر للأشياء»<sup>(35)</sup>، أو هي «تطابق الشيء والعقل»<sup>(36)</sup>، فقد ظهر أن «مشكلة [الحقيقة] ليس في البنية المنطقية الداخلية لها، ولا في توافق قوانين العقل مع قوانين الأشياء، أي أن مشكلها ليس إبستمولوجياً بقدر ما هو مشكل هيئة الوجود الذي تركز عليه»<sup>(37)</sup>، وهذا ما يعزز البحث عن منهج تطبيقي موضوعي لكشف الحقيقة.

إن هذا التصور للحقيقة أدى إلى إشهار نقد لنظرية المعرفة، وإرادة تحول نحو استبدال منهج علمي، بعد أن نُقدت نظرية المعرفة بعجزها عن إظهار الوجود، لأنها تقوم على فرضية أن الأشياء معطاة بشكل نهائي، وأن الذات الثابتة هي مصدر الوعي المباشر بهذه الأشياء، مما جعلها في مقاربتها معرضة لوهم المعرفة<sup>(38)</sup>، مما بشر بميلاد الهيرمينوطيقا أو المنهج التأويلي الباحث عن الحقيقة، فقد «ظهر أن الأشياء لا تعطى للمعرفة في شكل مباشر، بل إنها تتوسط باللغة، وإذا كان الأمر كذلك، فالسؤال يكون: ما مدى توافق هذا الخطاب مع أشياء العالم؟ أي إلى أي مدى يعبر خطاب اللغة عن مواضيع المعرفة؟ إلى أي مدى تستطيع اللغة حمل تمثيلات الحقيقة إلى الفهم؟ وعليه اتضح أن هناك مطوراً للمعرفة سيبحث هذه الإشكاليات هو الهيرمينوطيقا»<sup>(39)</sup>، وربما أدى هذا التفكير إلى أن البحث عن الحقيقة عبر دائرة التأويل اللغوي سيكون أقرب إلى الموضوعية، طالما كان الاعتماد على احتمالية اللغة [كما ذكر سابقاً]، وعلى هذا كان ينظر شلايرماخر «إلى النص باعتباره وسيطاً لغوياً موضوعياً، ينتقل من خلاله فكر المؤلف إلى

القارئ أو المفسّر ، وهذا الوسيط اللغوي يكون موضوعياً لأنه يمثل الجانب المشترك الذي يجعل عملية الفهم ممكنة»<sup>(40)</sup> ، وعلى نحو قريب ومشابه ، كانت نظرة [دلتي] كذلك إلى العلامات اللغوية في عملية الفهم والتأويل<sup>(41)</sup> ، أي أنّ اللغة في النهاية هي السبيل إلى كشف الحقيقة وإظهار المعنى في النص.

إنّ هذا التصور للغة في عملية تأويل النصوص والبحث عن الحقيقة أو المعنى ، جعل عملية القراءة للنصوص ذات الغنى والقوة ذات مسؤولية عظيمة أمام القارئ ، نشدانا للموضوعية وكشف الاحتمالية وإظهار الممكن ، بعيداً عن الإيغال والإفراط والتعسف.

### قراءة النص:

أصبح مفهوم [القراءة] يمثل إشكالاً في العملية التأويلية ، بسبب تنوع القراءات واختلافها ، وما لكل قراءة من خصوصية في تناول النص ، وقد عرفها [وليم فراي] بأنها «دمج وعينا بمجرى النص»<sup>(42)</sup> ، وهذا ما يعطي كل قراءة حق الفرادة ، لكونها تفاعلاً «بين موضوع النص والوعي الفردي»<sup>(43)</sup> ، فكان السؤال المتعين هنا يستفهم عن ماهية القراءة التي تريد كشف معنى النص وإمكاناته ، وهذا ما أدّى إلى ظهور الخلاف في حدود التأويل ، بسبب المسافة المتباعدة بين ثلاثية: مقصدية المؤلف ، ودور القارئ ، ولغة النص ، مما آل بالأمر إلى تعدد القراءات التأويلية للنص ، لكنّ الإشكال في هذا التعدد هو سؤال الإمكان التأويلي ، وحدود التناهي في التأويل ، أي هل التأويل «لعب حر» ، والنص بمثابة بصلة لا ينتهي تقشيرها»<sup>(44)</sup> ، أم هناك حدود وشروط للتأويل.

هذا الإشكال في التعدد والاختلاف تمثّل اللغة فيه الركيزة والنواة ، لأن معنى [اللغة] قد اتخذ له وضعاً مختلفاً عن كونها مجرد وسيلة اتصال

- كما تقرر سابقاً - وأصبحت اللغة في حيِّز القراءة التأويلية تقع «في صميم عملية المعرفة، لأن اللغة في النهاية شكل من أشكال الوجود، وكل معرفة بهذا الوجود إنما تؤدي إلى إعادة فهمنا للغة نفسها»<sup>(45)</sup>، ومن هنا يكون القارئ أمام مواجهة لغة النص التي تحمل صياغة المنتج من جهة، ومن جهة أخرى يكون فيها الاحتمال والإمكان لصياغة المؤول التي تقرأ ما احتجب، وفي هذه الحالة الأخيرة يكون التأويل يحمل وعي الذات بالنص، فالقارئ المؤول حينما يقرأ النص الأصل إنما يكشف فيه ذاته القادرة على خرق الحجب، ويبرز فكره وعقله، ف «كل قراءة تحمل أثر الذات»<sup>(46)</sup>، وفي هذه القراءة إثراء للنص شرط الإمكان والاحتمال، دون القفز إلى إكراهات غير منطقية ولا مقنعة، «وبناءً عليه فإن النص ليس مجرد أداة تستعمل للتصديق على تأويل ما، بل هو موضوع يقوم التأويل ببنائه»<sup>(47)</sup>، وكأن النص ذا الفنى والقوة يحتاج إلى قارئ يعيد اكتشافه، ولهذا يقول أمبرتو إيكو: «إنَّ النص جهاز يراد منه إنتاج قارئ نموذجي»<sup>(48)</sup>، حتى يخرج هذا القارئ النوعي مكنونات النص المحتجبة، التي تتوارى في لغته المفعمة بالأدلة والدلالات.

إذاً أمام هذا التصور تكون علاقة اللغة بالقراءة علاقة تأويلية، ويكون النص في حالة امتحان لإمكاناته المحتجبة، من أبعاد معنوية وجماالية، أي أنَّ النص ثابت، لكنَّ القراءة المنتجة متغيرة، وهذا ما يعطي التأويل الأهمية في الكشف والإثراء والبحث عن المعنى، خاصة أنَّ «إدراك وتحديد المعنى المختبئ في النصوص كان يشغل دائماً مكانة عظيمة في نظرية الهرمنيوطيقا»<sup>(49)</sup>، غير أنَّ ثبات النص وتغيره لن يكون إلا من خلال اللغة التي تفي بهذا الاختلاف والتعدد، وذلك أننا أمام مؤلِّف له معنى أو مقصد، وأمام قارئ لا يبحث إلا عن ذلك المقصد، وقارئ آخر يبحث عما وراء ذلك المقصد من إمكانات واحتمالات يكتنزها النص، أي أنَّ البحث عن إشكالية المعنى في

المنهج التأويلي أمام مقصدين، مقصد المؤلف ومقصد النص، وهذا ما أكد عليه أمبرتو إيكوبوله: «لقد انصب السجال القديم على الكشف في نصٍّ ما إما على ما يود الكاتب قوله، وإما على ما يود النص قوله في استقلال عن نوايا الكاتب»<sup>(50)</sup>، لكنَّ البحث في مقصدية النص هو جوهر الإشكال في القراءة التأويلية، ولهذا مثلت اللغة تجسيراً نحو المتواري، بفضل استنطاقها لأبعاد المعنى المحتجب والممكن.

### أنواع القراءة:

بناءً على التحديد الذي يرسم مثلث الإبداع في أضلاع: المؤلف والنص والقارئ، فإنَّ القراءة فعل ناتج من طرف القارئ، وإذا كان البحث عن المعنى هاجس القراءة ونشاط التأويل، فإنَّ الفعل القرائي للنص لا يأتي في مستوى واحد، بسبب نمط القراءة المواجهة للنص، وهذا ما يدفع إلى حصر القراءات في النماذج التالية على وجه العموم<sup>(51)</sup>.

#### 1 - القراءة المطابقة:

وهي قراءة استساخية غير متجاوزة، تأتي في صيغة إعادة للنص من خلال الشرح والتفسير، لكونها تقوم على التمسك بحرفية لغة النص ولا تتجاوز إلى ما وراء المنطوق، والقارئ هنا عادي أو قد يكون سلبياً، لأنه يتغيا المقصد الذي قد يعبر عنه «بألفاظ من قبيل الغرض والحاجة»<sup>(52)</sup>، دون أعمال الاستبطاء والاستدلال، واستنطاق لغة النص في الكشف عن المحتجب، ومن ثمَّ فهي قراءة تغفل الإنتاجية، ولا يتحقق فيها عنصر الإضافة المثمرة، لأنها قراءة تكرارية في تلوين أسلوبية مختلف، «ولا قيمة لقراءة تقول لنا ما قد قاله النص»<sup>(53)</sup>، وقد تكون هذه القراءة ضارة، وذلك حينما تمارس على النصوص ذات الغنى والقوة، فبسببها تفقد تلك النصوص ذلك العنصر الذي به تتميز، أي

عنصر القوة والغنى والعمق، ذلك أنَّ الوقوف أمام (أراد) و(قصد)، دون التجاوز إلى الدلالات المثيرة، يعطل أدلة اللغة التي تقسح مجالاً للكشف والإظهار، خاصة النصوص الشعرية التي تمتلك لغة مجازية عالية تُصاغ بها الأشياء والحقائق، وتُصنع بواسطتها رؤية الشاعر نحو العالم، مما يتطلب لها قراءة أليق بحضور المستوى، ولهذا أثر عن الشاعر [دانتى] أنه قال عن شعره إنه «يحتوي على معنى غير حرفي، من الواجب الكشف عنه»<sup>(54)</sup>، وفي سياق مشابه، نجد الأمدي في موازنته قد أورد تفسيراً لبيت شعري ينسب لأبي تمام، وقد قال بهذا التفسير أحد أنصار الشاعر، مكفياً هذا النصير بالتفسير والشرح، دون إعمال للتأويل الذي يستنطق لغة البيت، قائلاً إن الشاعر نوى وأراد، ولكن الأمدي لم يرضِ هذه القراءة، لأنها لم تنفذ إلى العمق لتستكشف، ولم تختبر أدلة اللغة لتتوّل، فليس العمل لديه على نية المتكلم، وإنما العمل على ما توجبه معاني ألفاظه<sup>(55)</sup>.

إن هذه القراءة - وإن كانت تؤدي دوراً في فسر المعنى وشرحه - تعجز عن تقديم إضافة مثمرة بالكشف والإنتاج، وربما خلقت تكراراً بصيغة لفظية مختلفة، فلم تنجز فتحاً في عالم النص وفضاءاته، وقد أطلق محمد عابد الجابري على مثل هذا النوع من القراءة [الاستنساخية] أو [القراءة ذات البعد الواحد]، معللاً ذلك بكونها تعبيراً مطابقاً للأصل، تتبنى نفس البعد الذي يتحدث عنه صاحب النص<sup>(56)</sup>، وباعتماد هذه القراءة على هذه الطريقة فإنها لا تعد تأويلاً منتجاً، ولا خلقاً لمعيار فاعل يؤدي إلى الفهم، وكشف المخبوء، وبناء المعنى، ذلك أنَّ «قصديّة المنتج ليست معياراً للتأويل، بل إنّ الاحتكام لا بد أن يتم بالعودة إلى أدلة اللغة، والاستناد إلى مرجحات قوية»<sup>(57)</sup>، حتى تكشف محتجبات النص الممكنة.

## 2 - القراءة المنتجة:

هذه القراءة كاشفة ومثمرة ، والقارئ هنا إيجابي متفاعل ، لأنه يبحث عن الممكن والمحتمل، فيظهر المخبوء والمستتر، ومُكنة هذه القراءة في تجاوز الظاهر، واكتشاف المتواري، وإنتاج الجديد، بناءً على دراية بحمولات النص تساعد على إنتاج الفعل القرائي المثمر، وتأتي اللغة في هذه القراءة بوابة يلج منها القارئ المؤول نحو عالم النص المسكوت عنه، فيقدم إمكانات تفسيرية تُثري النص، بفضل تمكين أدلة اللغة التي تخلق في النص تفتحاً دلالياً يستثمره المؤول في استنباط الدلالات الجديدة التي تجعل النص أكثر غنى وقوة، دون المجازفة إلى غير المحتمل والممكن الذي لا يتصالح مع لغة النص، ولا مع غيرها من أنظمة النص الأخرى.

والنص الشعري يعدّ من أعظم النصوص - إن لم يكن أعظمها - في تفتح الدلالي، بسبب لغته المكثفة التي توحى بتعدد المعنى في إمكان تأويلي محتمل، فهو - أي النص الشعري - بهذا التقدير «يسمح للألفاظ أن تهتز وأن تموج، وأن تتحرك في حرية وطلاقة، وعندما يفعل ذلك فإنّ اللفظ لا يستدعي إلى الخاطر المعاني الجانبية والإضافية المرتبطة بمعناه المباشر أو الشائع وحسب، ولكنه قد يقترح معاني أخرى مختلفة، أو يوحي بصور جديدة لم يألفها القارئ»<sup>(58)</sup>، وهذه دلالة على غنى النص الشعري الجيد وقوته ، الذي يتطلب قراءة إنتاجية لكشف أبعاده وأعماقه، «والنص الجيد هو النص المحرك والباعث على التأمل والنظر»<sup>(59)</sup>، مما يجعل عملية التأويل سبيلاً إلى الكشف والإثراء.

قد يحدث اعتراض في هذا السياق، وهو [إشكالية تعدد القراءات]، لكن المشكل ليس في التعدد ذاته، فتعدد «معاني النص الواحد، أو تعدد مستويات القراءة، هي قديمة قدم القراءة ذاتها»<sup>(60)</sup>، وإنما المشكل في سلامة التعدد وصلاحه ، فقد يكون التعدد إيجابياً بفضل الاعتماد

على منهجية في القراءة المنضبطة التي لا تسمح بالتعدد اللانهائي، ولا تقرر بالقراءة التي لا تستند على أدلة ومرجحات قوية من داخل النص أو من خارجه ، فتدخل على النص ما لا يحتمل، ولهذا يقول عبد القاهر الجرجاني عن تعدد التفسير والتأويل: «واعلم أنّ الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر فيما ذكرت لك، من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة، من غير أن تغير من لفظه شيئاً، أو تحول كلمة عن مكانها إلى مكان آخر ، وهو الذي وسّع مجال التأويل والتفسير، حتى صاروا يتأولون في الكلام الواحد تأويلين أو أكثر، ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير، وهو على ذلك الطريق المذلة الذي ورط كثيراً من الناس في الهلكة»<sup>(61)</sup>، وهذا ما يؤكد على أنّ التعدد ذاته ليس عيباً ولا خطأً، وإنما الشأن في الكيفية التي تضمن كفاءة التأويل وصحته، وانضباط التعدد.

لقد تبوأ القارئ مكانة في القراءة التأويلية لا يمكن إغفالها، وذلك نتيجة الإيمان المتزايد بدوره في إثراء النص، من خلال تمكنه في توظيف الأداة الاستنباطية في كشف جوانب النص وغوامضه، وهذا ما يحقق للنص قراءة إنتاجية تعزز غنى النص، وتضيف واقعة جديدة له، وفي هذا السياق نستذكر ما أورده ابن جني عن سرّ قاله له المتنبّي، إذ قال هذا الأخير له: «أظن أنّ عنايتي بهذا الشعر مصروفة إلى من أمدحه؟ ليس الأمر كذلك، لو كان لهم لكفاهم منه البيت. قلت له: فلمن هي؟ قال : هي لك ولأشباhek»<sup>(62)</sup>. وفي هذا إبراز لدور القارئ الإيجابي الذي ينتج التأويل الخلاق، ولقد قال ريكور: «النص أشبه بقطعة موسيقية، والقارئ أشبه بعازف الأوركسترا الذي يطيع تعليمات التنغيم، وبالتالي فليس الفهم مجرد تكرار للواقعة الكلامية في واقعة شبيهة، بل توليد واقعة جديدة تبدأ من النص الذي تموضعت فيه الواقعة الأولى»<sup>(63)</sup>، وهذا هو فعل القارئ الإيجابي في النص الأدبي [الشعري

على وجه الخصوص]، إنه التوليد الممكن والمحتمل الذي يتجاوز عملية التكرار، وهو ما يعني أيضاً «أن القراءة الحقّة، والنشاط المعرفي الحقّ عموماً، تقوم على جدلية خصبة خلاقة بين الذات والموضوع، وهذه العلاقة تنتج التأويل»<sup>(64)</sup>، والمعنى هنا التأويل المنتج الذي يتكئ على اللغة لاستنباط دلالات النص الممكنة، ولا يكون هذا إلا من خلال قراءة ناقدة متمكنة، تتجاوز المعنى الحرفي، وتستند إلى مرجحات قوية، فتضفي على الأثر الأدبي قيمة كانت محتجبة.

إذاً القراءة التأويلية المنتجة الإيجابية تحول النص الأدبي من كونه متجلياً للمعنى إلى نص منفتح على الدلالات المختلفة يصنع وينتج المعنى<sup>(66)</sup>، وذلك من خلال مساءلة النص واستبطانه، واستثارة لغته، للكشف عن الغائب والمحتجب، والبحث «عما لم يقله النص، ولم يفكر فيه، ولكنه يعيش من وراء كلماته»<sup>(67)</sup>، بل هذا هو سرّ النص الذي يقول عنه علي حرب «إنه يشكل حقلاً للقراءة، وطرح الأسئلة، والاستيلاد الجديد المعرفي»<sup>(68)</sup>، وهذا هو التأويل المستطلَب المنضبط من قِبَل القارئ الفاعل، الذي يخضع فعالية الإنتاج إلى النص ذاته، ليجعل الفهم منوطاً بأنظمة النص التي تجعل من اللغة طريقاً نحو الاستنباط.

هذه الفكرة أفرزت سؤال الاستشكال أمام الناظر في تعدد المعنى مرّة أخرى، وذلك ما يمثّل في الحالة التوفيقية لتعدد المعنى بين المؤلف والقارئ، إذ الأول هو منتج النص، وله فيه مقصد هو به أدري، وإليه ينحو ويجتهد، والآخر مؤول يستنبط، لكنّ النص الأدبي لا يتنكر لهذا التعدد من الطرفين طالما كان الإمكان والاحتمال، ولهذا جاء التفريق بين [المعنى] و[الدلالة] حلاً لهذا الاستشكال، «فالمعنى خاضع لنية المؤلف، أما الدلالة فهي ما يفهم القارئ من النص»<sup>(69)</sup>، وهذه هي الفكرة التي طرحها الناقد [هيرش]، وذلك في سبيل دفاعه عن تأويل

معتدل حينما أثّرت فكرة المقصدية في النص<sup>(70)</sup>، فإذا كان النص يحمل معنى استقصده المؤلف، فإن النص ذا الغنى والقوة يحمل دلالات أخرى تكمن في لغته التي يستنطقها القارئ الجيد، «فالتأويل يفترض تعدد الدلالة»<sup>(71)</sup>، بناءً على معطى تدليلي، وليس وفق انحرافات تأويلية تُخضع اشتغال النص للهوى والميول الذاتي.

إنّ اللغة الشعرية موضع هذا الاحتكام للتأويل المعتدل، فالنص الشعري بين مبدعه وقارئه لا يُحبس على معنى مكرر، ولربما نفذ القارئ إلى أعماق خفية تجعل للنص توهجاً، وتمنحه مكانة أكثر قيمة، وقد ذكر صاحب العمدة في تعريف [الاتساع] قوله: «أنّ يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل، فيأتي كل واحد بمعنى، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته، واتساع المعنى»<sup>(72)</sup>، ومثّل على ذلك بأمثلة كثيرة، ومنها بيت امرئ القيس الشهير:

مكر مفر مقبل مدبر معاً      كجلمود صخر حطه السيل من عل  
وذكر عدة تأويلات مختلفة له، ثم قال: «ولعل هذا ما مرّ قط ببال امرئ القيس، ولا خطر في وهمه، ولا وقع في خلدّه، ولا روعه»<sup>(73)</sup>، غير أنّ هذه التأويلات جعلت شعر امرئ القيس أكثر غنى وقوة، ومنحته قيمة أكبر، ومن هنا جاءت شهادة الشاعر الحديث [غازي القصيبي] لتؤكد على هذا الأمر، إذ يرى «أنّ الشعر بطبيعته يحتمل، أو يجب أن يحتمل أكثر من دلالة، وفي اللحظة التي يتحول فيها معنى الشعر صورة جامدة واحدة تتكرر في كل ذهن بتفاصيلها، يصبح الشعر نثراً»<sup>(74)</sup>، وكل هذا يؤكد - مرة أخرى - أثر اللغة في إقامة تأويل فاعل ومثمر، يتصف بالاعتدال والانضباط، دون الإخفاق في قراءة سطحية، أو تجاوز إلى ما وراء الحد.

## 3 - القراءة الجائرة:

هذه القراءة طاغية ، والقارئ هنا جائر وغير بريء ، بسبب الإفراط في التأويل ، وتجاوز الحدود نحو غير الممكن أو المحتمل ، حتى يقول النص ما لم يقل أو ما لا يحتمل ، وهذا ناتج لإخضاع التأويل للهوى أو الميل أو المعتقد ، دون مراعاة لقوانين الاشتغال التأويلي ، فيحدث شكل من أشكال التأويل «يفتقد الكثير من أدوات الفهم الضرورية ، فيكون محصل القراءة معانٍ يأبأها النص ، ولا تؤكد أياً دلائل خارجية»<sup>(75)</sup> ، ومن ثم تكون قراءة مغرضة تعمي ولا تكشف .

إنّ هذا الاتجاه في التأويل يؤمن بعدم التناهي في القراءة ، ويبقي النص مفتوح الدلالات دون ضابط ، خاضعاً لاجتهادات كل مؤول ، مما ينتج عن ذلك سيلان للمعنى ، وتدفع للتأويل لا يعرف الحدود ، ولقد أشار [تودوروف] إلى أنّ «النص مجرد رحلة خلوية يجلب فيها الكاتب الكلمات ، بينما يجلب القراء المعنى»<sup>(76)</sup> ، وفي هذا إشارة إلى هذا النمط من القراءة الذي يخلق تأويلاً ينأى عن كشف حقائق النص ، ويكون القارئ مملّكاً حق التأويل كيفما كان له ، دون استبطان النص ومساءلة لغته ، وكأن المراد هنا عملية التأويل ذاتها ، لا التأويل الذي يكشف الحقيقة ، فعلى رأي [بول فاليري] لا يوجد في أي نص معنى حقيقي<sup>(77)</sup> ، أو كما يقول [نيتشه] ليس هنالك حقائق بل هنالك تأويلات<sup>(78)</sup> ، لتصبح خاصية النص الأدبي في هذا الاتجاه التأويلي «هي أنّ يتجاوز إشارات إنتاجه النفسية ، والاجتماعية ، لكي يفتح على قراءات غير محدودة ، قراءات خاضعة هي الأخرى لسياقات اجتماعية وثقافية متحولة باستمرار ، وهذا يعني أنّ النص يتحرر باستمرار من سياق إنتاجه لكي يندرج ضمن سياقات أخرى ، وهذا هو جوهر عملية القراءة»<sup>(79)</sup> ، وهذا ما سمح بتعدد القراءة غير المنضبطة ، التي تجعل النص مفتوحاً لكل الدلالات المحتملة وغير المحتملة ، دون إيجاد

الضابط المحدّد، وحينما يتجاوز التأويل حدود المسموح به، هنا تحدث إشكالية طغيان القراءة الجائرة.

لقد وقف الناقد [أمبرتو إيكو] أمام تجاوزات هذه القراءة التأويلية الطاغية، التي أخضعت النص - أي نص - إلى هذا العبث القرائي، فرأى أنّ «الكثير من المهتمين بالتأويل المنفتح، والقراءة الحرة، تركوا العنان لهذا النشاط الطليق، دون رد الاعتبار لمقولات النص واستراتيجياته، مما جعل الكثير من القراءات ذهانية ومنحرفة ومرضية»<sup>(80)</sup>، وقد قال [إيكو] في إحدى محاضراته: «ما أريد قوله هو أنّ هناك على الأرجح معياراً للتأويل المحدود»<sup>(81)</sup>، خاصة أنّ [إيكو] كان ناقداً منتقياً إلى الثقافة التي أفرزت هذا النمط القرائي، وساوت بين النصوص جميعاً، فلم تفرّق ولم تميّز - وفق منهجيتها - بين النصوص الدينية وغير الدينية<sup>(82)</sup>، حتى «وصف بعض الغربيين الإنجيل بأنه كريش الطاووس البراق، لتعدد قراءاته، واختلاف تفاسيره»<sup>(83)</sup>، وهذه خطورة بالغة في العملية التأويلية نحو مفهوم انفتاح النص دون ضوابط أو حدود، وقد كان [إيكو] مدركاً لخطورة هذا النمط القرائي المنفلت في كتاباته المتأخرة، التي تؤدي إلى التقويل لا التأويل، لذا «نجدّه يحذّر دائماً من تلك الخطورة التي يمكنها أن تطفو، بسبب فهم خاطئ يطال مفهوم الانفتاح»<sup>(84)</sup>.

وقريب من موقف [أمبرتو إيكو] موقف المفكر والناقد الإيطالي [أميليو بيتي]، الذي احتج ضد هيرمنيوطيقا [جادامر]، وأصدر في هذا الشأن كتابه [الهيرمنيوطيقا بوصفها المنهج العام للعلوم الإنسانية]، وقد تمثّل «اعتراض [بيتّي] في أنّ هيرمنيوطيقا [جادامر] أولاً لا تقوم مقام المنهج، ولا تخدم أي منهج للدراسات الإنسانية، وأنها ثانياً تعرّض للخطر مشروعية الإشارة إلى الوضع الموضوعي لموضوعات التأويل، ومن ثمّ تثير الشكوك حول موضوعية التأويل نفسه»<sup>(85)</sup>.

ولا يُغفل في هذا المقام موقف الناقد [هيرش]، إذ يرى أنَّ ماطرحة فلاسفة التأويل من أمثال [جادامر] و[بلتمان] وغيرهم قد جانب الصواب، لأنهم «ارتكبوا خطأً مضاعفاً، فهم أولاً قد انشغلوا بأمر لا صلة لها بالمهمة الحقيقية للهرمنيوطيقا، وهم فضلاً عن ذلك قد تبنوا موقفاً فلسفياً بلغ من الغلو والشطط إلى حد التشكيك في إمكانية الوصول إلى معنى قابل للتحديد الموضوعي»<sup>(86)</sup>.

إنَّ اللغة في هذا الاتجاه التأويلي تأخذ منطلقاً تحريراً، فتخرج من دائرة الاستدلال بها على المسكوت عنه في النص إلى تفجيرها بحمولات ذاتية وميولات شخصية للقارئ، ليس لها تصالح مع منطوق النص ولا مرجحاته، ولا مع سياقاته ومرجعياته، حتى يكون القبض على معنى مغامرةً فرديةً لا تتعلق بالنص، وفي هذه المرحلة يشخص الإفراط في التأويل إلى درجة اللامعنى في النص، وتصل الكتابة إلى درجة الصفر كما يقول بارت<sup>(87)</sup>، حيث الكلمة في النص «حرة مطلقة من كل ما يقيدها، وبهذا فهي قادرة على أن تعني كل شيء»<sup>(88)</sup>، وهذا ما يؤدي إلى شطط في التأويل، وخطأ في الاستخدام اللغوي عند التوظيف للكشف عن حقائق النص ومكنوناته، وتصبح القراءة جائرة غير نافعة، تقول وفق إملاءات الذات القارئة، ولا تؤوّل وفق إشارات المنهج المنضبط، مما يخلق أثراً سلبياً على النص، ولعلنا هنا نستذكر حادثة إحراق أبي حيان التوحيدي لكتبه، التي قيل في تحليلها هو خشيته من أدعياء التأويل الذين سيحملون نصوصه ما لا تحتمل<sup>(89)</sup>، وهذا ما يتنافى مع اللغة التي إذا ما أحسن استخدام أدلتها ومرجحاتها في النص أدت إلى الكشف والإظهار.

## الخاتمة:

تعد اللغة من أعظم مميزات الإنسان وتحقيق وجوده الكوني، لذا عدّ الإنسان كينونة لغوية، لكون العلاقة بين الإنسان واللغة علاقة وجود وحياة .

للغة مظهر اجتماعي يتمثل في كونها وسيلة للتواصل والتفاهم، وهذا أمر ظاهر، على أنّ هذه الرؤية للغة تجاوزتها رؤية جديدة تنظر إلى اللغة في ذاتها داخل النص الأدبي غاية وليست وسيلة، وذلك بسبب ما تمتلكه اللغة الأدبية من مكنز هائل من الرمز، والإيحاء، ومجازة المألوف اللغوي، وتكثيف الدلالات، مما يتطلب إقامة التأويل لفهم أعمق للغة النص، ومن ثمّ كشف المخبوء من الممكن والمحتمل.

لقد أصبحت اللغة في التصور الحديث مسكن الوجود، لأنها أداة التعرف على العالم والذات، وبفضل تشكل جديد للعلاقة بين الإنسان واللغة، غدت اللغة في ضوئه مفصحة عن نفسها من خلال الإنسان، وليس الإنسان هو الذي يفصح عن نفسه من خلال اللغة.

وبما أنّ اللغة لها هذا التصور الجديد، فإنّ علاقتها بالنص أفرزت تصوراً جديداً، أخذ ينظر إلى النص في استقلال عن مؤلفه، لأنه حدث لغوي، بينما تحل القراءة في الجهة المقابلة كأداة تأويلية لها حق الاختلاف، من خلال التأويل اللغوي الذي يريد تقديم فهم للنص يكشف به المحتجب.

وإذا كان لكل نص حقيقة يختلف عليها القراء، فإن النشاط التأويلي يسعى إلى اكتشافها من خلال اللغة، وكأنّ الحقيقة تتواري خلف اللغة، والعلاقة بين الحقيقة واللغة لها وضع خاص، فاللغة تخفي الحقيقة وتظهرها، وهذه مراوغة اللغة في النص، وهنا يتطلب الوضع وجود القارئ القادر على التأويل والكشف استناداً على اللغة، فقد أصبح امتلاك الحقيقة هاجساً أمام القراءة.

إنّ النص أمام المنهج التأويلي له وجهان، الأول ظاهر المنطوق، والآخر هو المسكوت عنه، والقراءة التأويلية لا تذهب إلا إلى المسكوت عنه لتستبطن أبعاد الدلالات الخفية، وكلما كان النص يخفي أكثر مما يظهر، ويستطلب إعمال العقل في الكشف، فهذه دلالة على غنى النص وقوته وثرائه، والأمر في هذا بلا شك يعود إلى لغته القوية التي تمنحه ذلك العمق والاتساع والثراء، لهذا كان النص الأدبي الجيد من أعظم النصوص وأقواها، لتملكه لغة قوية تتطلب توظيف القراءة التأويلية.

كما أنّ الاستناد في القراءة التأويلية للنص الأدبي على لغته، بما تجيزه أدلة اللغة ومرجعاتها، يحقق - بلا شك - الموضوعية في القراءة، التي تنشئ الحقيقة في النص دون تحكيم الذاتية والميل الشخصي.

وإذا كان النص يخضع للقراءة التأويلية، فإنّ هذه القراءة لا تأتي على مستوى واحد، فهناك تعدد في القراءات، وهذا أمر ظاهر، ومرد هذا إلى التعامل مع لغة النص، فظهر السؤال الأهم عن الإمكان التأويلي وحدود تناهيه، حتى لا يبقى الباب مفتوحاً أمام كل المحاولات التأويلية، دون أي معيار أو ضابط، ومن ثمّ فإنّ تعدد القراءة لا يمثل إشكالية، بل قد يكون إيجابياً، إنما المشكل هو في صحة وسلامة وانضباط ذلك التعدد. وربما قد يثير التعدد في القراءة إشكالية بين مقصد المؤلف من جهة والقارئ المؤول من جهة أخرى، لكن هذا الاستشكال يمكن الخروج منه بإحداث حالة توفيقية بين الطرفين طالما كان الاحتمال والإمكان، وذلك بتوظيف التفريق بين [المعنى] و[الدلالة]، فالمعنى هو ما يخضع لنية المؤلف، أما الدلالة فهي ما يفهمه القارئ من النص.

وبما أن قراءة النص لا تحل على وجه واحد، فإنّ من الممكن تقسيم قراءات النص إلى ثلاثة أنواع:

- 1 - القراءة المطابقة: وهي قراءة استنساخية شارحة متمسكة بحرفية النص، فهي صياغة أخرى للنص، لا تتجاوز إلى العمق، لذا فهي قراءة غير إضافية وغير منتجة.
- 2 - القراءة المنتجة: وهي قراءة إضافية ومثمرة وكاشفة لجوانب النص، فهي تبحث عن الممكن والمحتمل، فتحول النص من كونه متجلباً للمعنى إلى نص منفتح على الدلالات المختلفة، يصنع وينتج المعنى، ولكن في حدود المسموح به، فهي إذاً قراءة متجاوزة للظاهر، وتكون اللغة هي الأداة التي يستخدمها القارئ المؤول في عالم النص المسكوت عنه، أي أن هذه القراءة تُخضع نشاطها لأدلة اللغة ومرجعاتها التي تثمر بالموضوعية دون أي إكراهات تأويلية لا تتصالح مع النص.
- 3 - القراءة الجائرة: وهي قراءة طاغية وغير بريئة، لا تقف عند حدود الممكن والمحتمل، بل تتجاوز في التأويل غير المنضبط، فتقول النص ولا تؤوّله، لذا فهي تؤمن بعدم التناهي في القراءة، وتؤمن ببقاء النص مفتوحاً لكل التأويلات دون ضابط، وتعطي لكل قارئ حق التأويل دون أي إشرطات تتفق مع لغة النص، أو مع ما تتطلبه قوانين الاشتغال التأويلي.

### الهوامش

- (1) انظر: الحقيقة والتأويل: قراءات تأويلية في الثقافة العربية، علي حرب، دار التنوير، بيروت، الطبعة الثانية، 2007م. ص (22).
- (2) سلطة اللغة ووظيفتها، أحمد يوسف علي، مجلة أبعاد، نادي القصيم الأدبي، العدد 2، جمادى الأولى 1429هـ - يونيو 2008م. ص (20).

- (3) مفهوم اللغة ومفهوم الهوية ومظاهر التفاعل، محمد نافع العشيري، مجلة عالم الفكر الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 4، المجلد 43، أبريل - يونيو، 2015م. ص (241).
- (4) الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ج (1). ص (33).
- (5) انظر: فلسفة اللغة، محمد مهران رشوان وعصام زكريا جميل، دار المسيرة، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، 1433هـ - 2012م. ص (17).
- (6) انظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، الطبعة الأولى، 2002م. ص (56-59).
- (7) انظر: الحقيقة والتأويل، علي حرب. ص (27).
- (8) انظر: المصدر نفسه. ص (51).
- (9) انظر: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة: دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، عبد الكريم شرفي، منشورات الاختلاف، الجزائر - الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 1428هـ - 2007م. ص (26).
- (10) مشكلة الفن، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر، القاهرة، د.ط، د.ت. ص (68-69).
- (11) انظر: نظرية التأويل، مصطفى ناصف، نادي جدة الثقافي الأدبي، جدة، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م. ص (21).
- (12) انظر: الحقيقة والتأويل، علي حرب. ص (24).
- (13) النص والسلطة والحقيقة: إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2014م، ص (189).
- (14) انظر: نظرية التأويل، مصطفى ناصف. ص (94).
- (15) في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، سعيد توفيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ - 2002م. ص (130).
- (16) فلسفة التأويل: الأصول. المبادئ. الأهداف، هانس غيورغ جادامير، ترجمة: محمد شوقي الزين، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء - ومنشورات الاختلاف، الجزائر - والدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الثانية، 1427هـ - 2006م. ص (142).
- (17) نقد النص، علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 2000م. ص (13).

- (18) انظر: نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضايهما، حسن مصطفى سحلول، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م. ص (40).
- (19) نقد الحقيقة، علي حرب، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1993م. ص (77).
- (20) السيمياء والتأويل، روبرت شولز، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م. ص (92).
- (21) التأويلية العربية: نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، محمد بازي، منشورات ضفاف، بيروت - والاختلاف، الجزائر - ودار الأمان، الرباط - وكلمة للنشر والتوزيع، بيروت - تونس، الطبعة الأولى، 1436هـ - 2015م. ص (84).
- (22) انظر: المصدر نفسه. ص (74).
- (23) انظر: فهم الفهم: مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007م. ص (21).
- (24) نقد النص، علي حرب. ص (18).
- (25) انظر: نظرية التأويل، مصطفى ناصف. ص (17). وهذا بطبيعة الحال لا يعني أن التأويل لا يدخل نصوصاً أخرى، كما في الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، والتاريخ، وغيرها، لكنها ليست في قوة النصوص المشار إليها في المتن من حيث توظيف الأداة التأويلية.
- (26) يقول الدكتور عبدالوهاب المسيري: «وقد تكون آراء الفنان الفلسفية سطحية، على حين نجد أدبه في غاية العمق، لأنه حينما يتفلسف فهو يتفلسف بعقله وحسب، ومن خلال ما حصل بشكل واع من أفكار، أما حينما يبدع فهو يبدع من خلال كيانه، ومن خلال ما مرّ به من تجارب لعله لم يفهمها هو نفسه عقلياً، ولكنه أدركها واستوعبها بشكل وجودي مباشر وكلي».
- [رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر: سيرة غير ذاتية غير موضوعية]، عبدالوهاب المسيري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000م. ص (514-515).
- (27) نقد الحقيقة، علي حرب. ص (8).
- (28) نظرية التأويل، مصطفى ناصف. ص (95).
- (29) ظاهرة الغموض بين عبدالقاهر الجرجاني والسجلماسي، محمود درابسة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، العدد 22، ربيع الأول 1432هـ - مايو/أيار 2001م. ص (974).
- (30) أسرار البلاغة، عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1991م. ص (145).

- (31) المصدر نفسه. ص (139).
- (21) انظر: مدخل جديد في الفلسفة، عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، 1975م. ص (142).
- (33) انظر: المصدر نفسه. ص (137).
- (34) المصدر السابق. ص (151).
- (35) المصدر السابق. ص (136).
- (36) المصدر السابق. ص (136).
- (37) القراءة التأويلية عند حسن حنفي، فهد محمد القرشي، مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرة، العدد الثالث، السنة الثانية، 1432هـ - 2011م. ص (58-59).
- (38) انظر: المصدر نفسه. ص (58-59).
- (39) المصدر السابق. ص (60).
- (40) في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، سعيد توفيق. ص (124).
- (41) في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، سعيد توفيق. ص (124).
- (42) المعنى الأدبي من الظاهرية إلى التفكيكية، وليم راي، ترجمة: يوثيل يوسف عزيز، دار المأمون للنشر والترجمة - وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، الطبعة الأولى، د.ت. ص (17).
- (43) المصدر نفسه. ص (73).
- (44) التأويلية العربية، محمد بازي. ص (65).
- (45) الحقيقة والتأويل، علي حرب. ص (22).
- (46) المصدر نفسه. ص (15).
- (47) التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، أمبرتو إيكو، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الثالثة، 2016م. ص (75).
- (48) المصدر نفسه. ص (74).
- (49) المدخل إلى الدراسات التاريخية، أنجلو أوسينوبوس، ترجمة: عبدالرحمن بدوي [ضمن كتاب النقد التاريخي]، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الرابعة، 1981م. ص (118).
- (50) التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، أمبرتو إيكو. ص (74).
- (51) تجدر الإشارة هنا إلى محاولة [تودروف] تقسيم القراءة ثلاثة أقسام: الإسقاطية، والشارحة، والشاعرية. الأولى تتعامل مع النص من الخارج، فتسقط ظروف النص الخارجية، أو ظروف المؤلف على النص، كالأحداث التاريخية والاجتماعية

والعوامل النفسية . أما القراءة الشارحة أو قراءة الشرح فهي قراءة لا تتجاوز ظاهر النص، فهي حرفية أدائها، تكرارية للأصل في منتجها، وأما القراءة الشاعرية فهي التي تسعى إلى كشف باطن النص، متجاوزة المعطى الظاهري.

[انظر: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية: قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر]، عبدالله محمد الغدامي، بدون اسم ناشر، الطبعة الثانية، 1412هـ - 1991م. ص (75-76). البنيوية في الأدب، روبرت شولز، ترجمة: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د. ط، 1984م. ص (163).

(52) اللغة والتفسير والتواصل، مصطفى ناصف، سلسلة عالم المعرفة الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995م. ص (11).

(53) تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، عبدالله الغدامي، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1999م. ص (140).

(54) التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، أمبرتو إيكو. ص (60-61).

(55) انظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي، تحقيق: السيد صقر، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ت. د ج (1). ص (179).

(56) انظر: الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الخامسة، 1994م. ص (11).

والجابري يقترح ثلاثة أنواع للقراءة: القراءة الاستساخية، والقراءة التأويلية: وهي التي لا تتقف عند حدود التلقي المباشر، وإنما تساهم في إنتاج جديد يحتمله النص، والقراءة التشخيصية: وهي التي تبرز عيوب الخطاب.

[انظر: الخطاب العربي المعاصر]، محمد عابد الجابري. ص (10-12).

(57) التأويلية العربية، محمد بازي. ص (97).

(58) نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياهما، حسن مصطفى سحلول. ص (88).

(59) استقبال النص عند العرب، محمد المبارك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م. ص (182).

(60) المصدر نفسه. ص (84).

(61) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الثالثة، 1413هـ - 1992م. ص (374).

ووجه الاستدلال بكلام عبد القاهر هنا: أنه لم يمنع تعدد التأويل أو التفسير، ولكنه احتراز من الانجرار في هذا المسلك دون تثبت من صحة الفعل التأويلي، مما وُطد في الهلكة كما قال.

- (62) شرح ديوان المتنبي معجز أحمد، أبو العلاء المعري، تحقيق: عبدالمجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1968م. ج (1). ص (56).
- (63) نظرية التأويل وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2003م. ص (122).
- (64) نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2014م. ص (21).
- (65) انظر: التركيب اللغوي للأدب: بحث في فلسفة اللغة والإستطبيقا، لطفي عبدالبديع، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - الشركة المصرية العالمية لونغمان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م. ص (141).
- (66) انظر: المشاكل والاختلاف: بحث في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف، عبدالله الغدامي، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1994م. ص (42).
- (67) نظرية التأويل، مصطفى ناصف. ص (89).
- (68) هكذا أقرأ ما بعد التفكير، علي حرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 2010م. (105).
- (69) المشاكل والاختلاف، عبدالله الغدامي. ص (43).
- (70) انظر كلا من: نظرية التأويل، مصطفى ناصف. ص (40). التأويلية العربية، محمد بازي. ص (61). إشكالية القراءة وآليات التأويل، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2014م. (48).
- (71) الحقيقة والتأويل، علي حرب. ص (17).
- (72) العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت. ج (2). ص (93).
- وينطبق هذا الأمر على كثير من شعر المتنبي وأبي تمام والمعري وغيرهم من كبار الشعراء.
- (73) العمدة، ابن رشيق. ج (2). ص (93).
- (74) الكتابة ضد الكتابة، عبدالله الغدامي، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م. ص (84).
- (75) التأويلية العربية، محمد بازي. ص (25).
- (76) التأويل والتأويل المفرد، أمبرتو إيكو، ترجمة: ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الأولى، 2009م. ص (32).

- (77) انظر: مجهول البيان، محمد مفتاح، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1990م. ص (108).
- (78) انظر: فهم الفهم، عادل مصطفى. ص (21).
- (79) النظرية التأويلية عند ريكور، حسن بن حسن، نشر: ج. ج. تسيغت، طبع: دار تينمل، مراكش، الطبعة الأولى، 1992م. ص (47).
- (80) حدود التأويل: قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النقدي، وحيد بن بوعزيز، منشورات الاختلاف، الجزائر - الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 1429هـ - 2008م. ص (119).
- (81) التأويل والتأويل المفرط، أمبرتو إيكو. ص (50).
- (82) كما أنّ موقف [إيكو] هذ يمثل المرحلة المتأخرة من كتاباته، إذ كان موقفه القديم متبنياً التأويل المفتوح الذي يؤمن بأن النص لا صاحب له، ومن ثم فهو منفتح الدلالات متعدد القراءات، أمّا في المرحلة المتأخرة - خاصة في الثمانينيات - فقد حاول أن يضع سقفاً للتأويل.
- [انظر: حدود التأويل، عزت السيد أحمد، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق]، المجلد 28، العدد الأول، 2012م. ص (521-520).
- (83) نقد الحقيقة، علي حرب. ص (26).
- (84) حدود التأويل، وحيد بن بوعزيز. ص (129). وانظر كذلك: مجهول البيان، محمد مفتاح. ص (108).
- (85) فهم الفهم، عادل مصطفى. ص (377).
- (86) المصدر نفسه. ص (386).
- (87) انظر: الكتابة في درجة الصفر، رولان بارت، ترجمة: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، الطبعة الأولى، 2002م. ص (10).
- (88) الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية: قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر: مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، عبدالله الغدامي، بدون اسم ناشر، الطبعة الثانية، 1412هـ - 1991م. ص (70).
- (89) انظر: حدود التأويل، عزت السيد أحمد، بحث منشور بمجلة جامعة دمشق، المجلد 28، العدد الأول، 2012م. ص (365-366).

## المصطلحات البلاغية الحداثية بين الاستهلاك والقطيعة المعرفية

أمين خميس عبداللطيف إبراهيم أبو مصطفى (\*)

### مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه وبعد، فهذا بحث بعنوان: «المصطلحات البلاغية الحداثية بين الاستهلاك والقطيعة المعرفية» حاولت فيه أن أضع بين يدي الباحثين مشكلة تعدد المصطلحات، فكما هو معلوم أن المصطلح هو نقطة بداية أي بحث تطبيقي، فتحديد المصطلحات هو الخطوة المنهجية الأولى لبنية البحث العلمي، ولكن الاعتماد على الترجمات المختلفة للمنتج الغربي، جعل للمصطلح عدة دلالات بتعدد سياقات الترجمة الثقافية والاجتماعية، وقد أدى ذلك إلى عدم وضوح الرؤية، ومن ثم قصور التطبيق، وقد وقفت على هذه القضية خلال العنصرين التاليين:

- 1 - تعريف المصطلح والخلل الإجرائي.
- 2 - المصطلحات والقطيعة المعرفية.
- 3 - الترجمة وتعدد المصطلحات.
- 4 - المصطلحات واستهلاك المعرفة.

(\*) باحث.

وهي تهدف إلى أن تجيب عن الأسئلة التالية:

- ما دلالة المصطلح؟
  - لماذا تعددت المصطلحات؟
  - هل المصطلحات المتعددة لتعدد الدلالات أم هي مترادفة؟
  - ما سبب الخلط بين المصطلحات؟
  - هل هناك فارق بين المصطلح العربي والمصطلح الغربي في مجال التطبيق؟
- هذا وأسأل الله التوفيق والسداد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

## 1 - تعريف المصطلح والخلل الإجرائي:

جاء في المعجم الوسيط: «اصطلاح القوم على الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا والاصطلاح: مصدر اصطلاح وهو اتفاق طائفة على شيء مخصوص ولكل علم اصطلاحاته<sup>(1)</sup>.

فهو عبارة عن كلمة أو مجموعة من الكلمات تتجاوز دلالتها اللفظية والمعجمية إلى تأطير تصورات فكرية وتقسيمها في إطار معين تقوى على تشخيص وضبط المفاهيم التي تنتجها ممارسة ما في لحظات معينة والمصطلح بهذا المعنى هو الذي يستطيع الإمساك بالعناصر الموحدة للمفهوم والتمكن من انتظامها في قالب لفظي<sup>(2)</sup>.

فالمصطلح يكون ثابتاً غير متغير وإلى هذا أشار محمد مطلوب قائلاً: المصطلح أو الاصطلاح هو العرف الخاص وهو اتفاق طائفة مخصوصة على وضع الشيء<sup>(3)</sup>.

ولعله أخذ ذلك من الجرجاني في التعريفات حيث ذكر أن المصطلح هو «عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول وهو أيضاً إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين<sup>(4)</sup>.

فكلمة مصطلح تعني خلاصة تصور فكري، والخلط بين المصطلحات وعدم الوقوف على أبعادها العميقة يوقع في الخطأ الذي يؤثر سلباً على التطبيق، لذلك لا تكفي الدلالة المعجمية للوقوف على أبعاد المصطلح؛ إذ تقف وراء كل مصطلح فلسفته الخاصة التي ينبع منها وصاحبه في أطواره المختلفة.

والوقوف على فلسفة المصطلح الخاصة ليس أمراً سهلاً، بل هو عمل فكري شاق، فالمصطلح يمر بمراحل قد تطول إلى أن يستقر، وقد يظهر ثم يختفي أو يتغير، وقد ألمح الدكتور أحمد مطلوب إلى هذه الصعوبة التي تكتنف دراسة المصطلح في العصر الحديث، حيث لاحظ «اختلاف الأوروبيين أنفسهم في المصطلح ونظرتهم إليه من خلال ثقافتهم الخاصة أو مذهبهم الأدبي والنقدي»<sup>(5)</sup>.

فالمصطلح يختلف باختلاف الثقافة الحاضرة، وقد يختلف برغم اتفاق اللغة، وهذا ما عالجه د. عبد السلام المسدي في كتابه «اختلاف المصطلح بين المشرق والمغرب»<sup>(6)</sup>.

ونظراً لهذا الاختلاف في المصطلحات شاعت في كتابات النقاد مصطلحات حدائية غير واضحة، وغير مستساغة لدى المتلقي العربي مثل «سيمائية وتداولية وشعريات وغير ذلك كثير، وقد حدث اختلاف بين النقاد في ترجمة المصطلح الواحد، مما أدى إلى القطيعة المعرفية بين المشتغلين في مجال النقد والبلاغة، فإذا كان تعريف المصطلح في مفهومه العلمي الأكاديمي الحديث هو الوقوف على معنى واحد ودقيق لشيء معين، وماهية شيء محدد، حصلت على اتفاق المختصين»<sup>(7)</sup> فإننا نلاحظ ما يختلف مع هذا التعريف في واقعنا البحثي، وقد لاحظ الدكتور عبدالسلام المسدي أن المشاركة أكثر حرصاً على إحياء اللغة العربية، في حين أن المغاربة أكثر جرأة على

اللغة العربية، لذا فهم يميلون إلى النحت، فشاع عندهم (اللازمان واللامكان واللامرئي)<sup>(8)</sup>....

فاضطراب المصطلح أدى إلى اضطراب الفهم، وهذا بدوره أدى إلى اضطراب التطبيق، فتم تناول القضايا القديمة بمسميات حديثة دون تغيير في الآليات.

## 2 - المصطلحات والقطيعة المعرفية:

شكلت المصطلحات الحداثية قطيعة معرفية مع التراث ومع المنجز الغربي ومع الذات، فاللافت للنظر هو استخدام الدارسين المصطلحات الحداثية ثم الإشارة في ثانيا الدراسات إلى أن المقصود هو المصطلح التراثي، فهل يقصد هؤلاء الباحثون باتخاذهم المصطلحات الحداثية بديلا عن المصطلحات القديمة تمكين شرعية التراث؟!

«فالانطلاق من الحداثة لتأسيس شرعية التراث ينطوي على مغالطة كبيرة، فإنه تسييد من حيث لا ندري لشرعية الآخر، إذ يجعل هذا الآخر هو الذي يطمئنا على فكرنا وعلى إنجازات العقل العربي»<sup>(9)</sup>.

فالمصطلحات المترجمة والتي تحمل نفس دلالة المصطلح التراثي يكون الدافع لها - عند بعض المشتغلين بالبلاغة - إثبات أحقية التراث وسبق القدماء، ولذا فقد قال د. حامد أبو أحمد: «إذا كان العرب القدامى قد أبدعوا قديما في مجال اتساق الخطاب وانسجام النص، فلماذا لا نواصل مسيرتهم انطلاقا من مفاهيم ومصطلحات عربية خالصة، مستعنيين في الوقت نفسه بالاكتشافات القادمة من الغرب، بدلا من أن نحدث نوعا من الخلط بين المفاهيم الأصلية والمفاهيم المستوردة»<sup>(10)</sup>.

وقد عالج د. عيد بلبع القضية في كتابه: «خداع المرايا» ردا على كتابي د. عبدالعزيز حمودة: «المرايا المحدبة» و«المرايا المقعرة»

فقال: «إن الأمر أكبر من أن نفتش في أبحاث التراث لنستخرج منه ما يتواءم مع النظريات الغربية، أو لإثبات وجود نظرية عربية انطلاقاً من التراث ذاته أو من الحداثة؛ لأننا بذلك لا نكون قد حققنا هويتنا»<sup>(11)</sup>.

وهذا الإجراء في الوقت ذاته جعلنا في معزل عن المنجز الغربي، لأننا اكتفينا أثناء محاولة التَّعَرُّب بالترجمات أو المقالات السريعة، ولم نتابع نشأة المصطلحات وتطورها ونموها، وجرينا وراء موضوعة «المصطلحات الأجنبية» التي تكسبنا وجهة، وتقنع ولو على سبيل الخداع والمغالطة المتلقي بأن الباحث متمكن.

### 3 - الترجمة وتعدد المصطلحات:

تعد قضية ترجمة المصطلح من أهم الجوانب في دراسة المصطلحات، وقلما تخلو دراسة في علم المصطلح من حديث مقتضب أو مطول عن مشكلة ترجمة المصطلح إلى العربية، وإحدى إشكاليات ترجمة المصطلح هو غياب الاتفاق عليه بين الباحثين، وعلى سبيل المثال فمصطلح الانزياح الذي رأى فيه الدكتور مرزوق تقارباً مع مصطلح المجاز «قد نقل هذا المفهوم إلى العربية بما لا يقل عن أربعين مصطلحاً يمكن أن نجد شفيعاً لها في أن الغربيين أنفسهم قد عبروا عن هذا المفهوم الواسع بمصطلحات كثيرة يقارب عددها العشرين»<sup>(12)</sup>.

وعلى ذلك فقد يكون أحد أسباب مشكلة نقل المصطلح هي عدم استقرار المصطلح في الأصل المنقول عنه، وقد رأى الدكتور يوسف وغليسي أن «الكتابات العربية قد تكبدت إسهالاً اصطلاحياً حاداً في مواجهة»<sup>(13)</sup> مصطلح Synchronie ومصطلح Diachronie وقد تتبع وغليسي ترجمات المصطلحين في الكتابات النقدية العربية، فوجد أن «كلا هذين المصطلحين قد ترجم بما لا يقل عن 15 مقابلاً عربياً، فمصطلح Synchronie مترجم إلى السنكرونية، التزامن، التوافق،

التوقيتي، الآنية، الراهن، دراسة الحالة الحاضرة، الوصفية، التعاصر، القرار، حال الثبات، حال الاستقرار، السكوني، التوزع الآني، الاستبدالية، .....، أما مصطلح Diachronie فمترجم إلى عشرين مقابلاً عربياً بالتحديد<sup>(14)</sup>.

ولعل ذلك ناشئ لكون هذه الترجمات لم تكن من المصدر الأصلي، فالاعتماد على الترجمة عبر وسيط قام بترجمة الأصل يؤدي إلى أخطاء مقلقة، ولذلك وجب على المترجم التعامل مع النص الأصلي لضمان الدقة خاصة في اللغات غير الشائعة، فالمترجم الوسيط يتدخل بتأويلاته الخاصة ومشاعره بالحذف والإضافة وفق ما يفهمه من العمل عبر ما توفر لديه من تكوين فكري وميول ثقافية وأدبية وأسلوبية.

فالترجمة ليست نقل معارف فحسب، بل الترجمة تواصل بين الحضارات، ولا يكون هذا التواصل مثمراً إلا حين تؤرقنا روح المغامرة الإنسانية، التي يزيكها نهم معرفي لاستيعاب إنجازات وفتوحات العلم المرتكز على عبقرية الإنسان من أجل تغيير الواقع الثقافي والبناء الاجتماعي لحاجتنا الملحة إلى ذلك<sup>(15)</sup> وبهذا يتضح أن اضطراب المصطلح ناشئ لاضطراب الترجمة، وهذا سيؤدي إلى اضطراب التطبيق على ما سنرى في العنصر اللاحق.

وقد أدى تعدد الترجمات للمصطلح الواحد إلى الخلل الذي نشأ في المصطلحات، وعلى سبيل المثال «مصطلح اللسانيات LINGNISTICS.. فمازلنا نجد مجموعة من المقابلات الترجمية التي لم يستقر على أي منها مثل مصطلحات: علم اللغة، فقه اللغة، اللسانيات، علم اللسان، علم اللسانة، الألسنية.. كما نجد ان الثنائية اللسانية الأساسية/ Langue Parole تترجم بطرق مختلفة. فكلغة Longue الفرنسية تترجم تارة - «لسان»، وأخرى بـ «لغة» وثالثة بـ «نظام لغوي»، بينما تترجم كلمة

parole الفرنسية بـ «الكلام» أو «اللفظ» أو «الحدث الكلامي». ومصطلح Grammar المعروف يترجم حيناً بـ «القواعد» وحيناً آخر بـ «النحو»، وينطبق الأمر على مصطلح Syntax الذي يترجم بمقابلات عديدة مثل «النحو» و«القواعد» و«التركيب» و«نظم الجملة» وما إلى ذلك، أما ثنائية العلاقات السياقية / الاستبدالية Syntagmatic/Paradigmatic فتجد لها مقابلات متعددة منها ترجمة Syntagmatic بالمقابلات الاصطلاحية التالية: السياقية، الخطية، الأفقية، النسقية، الضميمة، التراصفية، الترابطية وغير ذلك، وترجمة Paradigmatic بمقابلات مثل الاستبدالية، الاختبارية، الجدولية، الإيحائية، الرأسية وما إلى ذلك.. وإذا ما كانت السيميائية أحد الروافد المهمة التي أغنت المصطلح النقدي، فإنها من جهة ثانية قد أثارت اضطراباً متزايداً بسبب عدم استقرار مصطلحاتها في الأصل وجدتها النسبية، بل إن السيميائية ذاتها بوصفها علماً لم تستمر على مصطلح مشترك. فمن المعروف أن هذا المصطلح يتقاسمه في اللغة الإنكليزية تعبيران أحدهما هو Semiology الذي استخدمه فرديناند دوسوسور في كتابه: «دروس في الأسس العامة والآخر هو Semiotics الذي جاء به الفيلسوف وعالم المنطق الأمريكي جار لزيبرس. وكانت الخطوة الأولى التي قام بها بعض المترجمين تتمثل في التعريب الصوتي للمصطلحين فوجدنا مصطلحي السيميولوجيا والسيميوطيقا (وأحياناً السيميوتيك). إلا أن عملية الترجمة اللاحقة أضافت مقابلات جديدة منها علم الإشارات، الإشاراتية، علم العلامات، العلاماتية، علم الأدلة، السيميائية، السيميائيات. ويخيل لنا أنه أفضل هذه المصطلحات هو مصطلح السيميائية لأنه يحمل جذراً عربياً، كما يحمل أيضاً معنى صوتياً. معرباً، للصوت الأجنبي، ويقبل الإضافة والجمع والنسبة والاشتقاق. «الأمر ينطبق أيضاً على بقية مصطلحات السيميائية وبشكل خاص

مصطلح Sign الذي يترجم بمقابلات مثل: الإشارة، العلامة أو الدليل»<sup>(16)</sup>.

ومن المصطلحات التي أثّرت فيها الترجمات فصّنت قطيعة معرفية وأدت إلى استهلاك الجهد في دراسة مصطلحات متعددة وهي في الأصل ترجمات لمصطلح واحد - مصطلح (coherence)، ولهذا المصطلح عدة ترجمات تختلف على حسب الباحث<sup>(17)</sup> فمصطلح «الحبك» جاء عند د. سعد مصلوح ود. محمد العبد، ومصطلح «الانسجام» قال به د. محمد خطابي ود. صلاح فضل، ومصطلح «التماسك» قال به د. سعيد بحيريو د. محمد الزليطي ود. منير التركي ومصطلح «التناسق» قال به د. فالح بن شبيب العجمي، ومصطلح «التقارن» جاء عند د. إلهام أبوغزالة ود. علي خليل، وجاء مصطلح «الالتحام» عند د. تمام حسان.

ولعل السبب وراء هذا الخلط هو تعدد الترجمات للمصطلح الواحد، ويلتزم البحث مصطلح (الحبك) وذلك لأن هذه الترجمة هي الأكثر شيوعاً وقبولاً، «ويرجع المفهوم coherence في الإنجليزية أو koharenz في الألمانية إلى الأصل اللاتيني Coharentia وهو مستعار من علم الكيمياء»<sup>(18)</sup>، اتخذ علماء النص مفهوماً يشير إلى العلاقات الداخلية داخل النص.

كما أن مصطلح التداولية الذي هو ترجمة للمصطلح الإنجليزي Pragmatics قد خلط البعض بينه والمذهب الفلسفي Pragmatism والذي يُترجم بالذرائعية وعُرِّبَ بالبرجماتية وهو المصطلح الأشهر في الفلسفة والذي يعرف بأنه «مذهب فلسفي أمريكي أسَّسه ويليام جيمز (William James. 1842-1910) وتشارلز ساندرز بيرس (Charles Sanders Peirce، 1839-1914)، مُؤدِّاه أن مِيار صدقِ الفكرة أو

الرأى هو النتيجة العملية التى تترتب عليها من حيث كَوْنُهَا مُفيدةً أو مُضرةً»<sup>(19)</sup>. فقد عد بعض الباحثين أن المذهب الفلسفى Pragmatism هو الخلفية التى نشأت التداولية كأحد آثارها نتيجة للخلط بين مصطلحي Pragmatics و Pragmatism فى الترجمة والتعريب.

وقد وضّح د. عيد بلبع هذا الخلط الناتج عن إشكالية الترجمة والتعريب<sup>(20)</sup> مؤكداً على ضرورة الفصل بين مصطلح التداولية Pragmatics الذى كانت بداية ظهوره فى حقل اللسانيات على يد تشارلز موريس Charles Morris. 1938 حيث «يرجع الاستخدام الحديث للمصطلح Pragmatics إلى الفيلسوف تشارلز موريس (1938م) الذى كان معنياً بتحديد (بعد لوك وبيرس) الشكل العام لعلم العلامات أو السيميائية (أو السيمياء كما يفضل موريس). وبين المذهب الفلسفى البرجماتية Pragmatism الذى أسس له تشارلز ساندرز بيرس Charles Sanders Peirce عن طريق التحديد الدقيق للمصطلح ومفهومه، وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يغفل الإشارة إلى نقطة الالتقاء بينهما فيقول «ولعل أهم نقطة التقاء بين المذهب الفلسفى والتداولية تتحدد فى الواقع العملى الذى يجمع بينهما»<sup>(21)</sup> مفسراً بعض أسباب ذلك الخلط بين المصطلحين بأن «اشترك بيرس فى التأسيس للسميوطيقا التى تولدت عنها التداولية بشكل ما على يد موريس فيما بعد، واشترآكه كذلك فى التأسيس للمذهب الفلسفى المعروف كان له أكبر الأثر فى انزلاق بعض الباحثين فى هذا الخلط»<sup>(22)</sup>.

ولا شك أن لمصطلح التداولية فى بيئته التى ظهر فيها سياقات أدت إلى ظهوره، ربما تغيب عن مطبقي النظرية فى غير سياقاتها وعلى نصوص لها خصوصيات تختلف عن خصوصية النصوص التى عالجتها النظرية فى سياقاتها.

وهذا ما جعل بعض الباحثين يحاول الربط بين معنى التداولية والبلاغة العربية، فتجد د. محمد العمري يقول: «إن البلاغة العربية قد أعيد لها الاعتبار في الدراسات العربية المعاصرة فيما يعرف بالتداولية»<sup>(23)</sup> وهو أيضا ما جعل د. عبد القادر عبد الجليل يُقرّ بأن «البلاغة في عمق تكوينها وأهدافها هي التداولية»<sup>(24)</sup> ولم يبتعد د. محمد الكواز عن ذلك حين قال: «البلاغة بصفة عامة تعني بجملة من العناصر تعد من صميم بحث اللسانيات التداولية»<sup>(25)</sup>.

فإن محاولة نسبة الفضل للقدماء ومحاولة الربط بين المنجز الغربي والتراث العربي هو ما دفع د. عبد العزيز حمودة للربط بين نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني والأسلوبية عند دي سوسير، فقد جعل الفصل الأول من الجزء الثاني في كتابه «المرايا المقعرة» بعنوان: «النظرية اللغوية العربية»، وللوهلة الأولى يُلقى د. عبد العزيز حمودة بسوسير في مقابل النظرية البلاغية العربية مستحضراً النموذجين معاً بعد أن قدم مفهوم النظرية من أحد القواميس، فيقول: «هل يختلف ما قدمه العقل العربي في الدراسات البلاغية عبر خمسة قرون عن ذلك المفهوم للنظرية، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن النظرية التي نتحدث عنها هنا، تقبل التغيير والتحوير والإضافة والنقض دون أن يغير ذلك من قيمتها كنظرية؟»

وبدقة وتحديد أكثر: ألا ينطبق كل ذلك على محاضرات فرديناند دي سوسير في اللغويات العامة في بدايات القرن العشرين والتي جمعت بعد ذلك في كتاب نُشر بعد موته هو دروس في علم اللغة عام (1916م)، وهو الكتاب الذي لا يختلف عليه مفكران باعتباره الكتاب العمدة الذي بدأ النظرية اللغوية الحديثة؟»<sup>(26)</sup>.

#### 4 - المصطلحات واستهلاك المعرفة:

الذي لفت الانتباه هو أن أغلب الدراسات التي اتسمت بسمة الحداثة واتخذت من المناهج الغربية مناهج للدراسة، لم تكن واعية إلى الظروف السياقية للمصطلحات والمناهج الغربية، فجاءت بمسميات غريبة، ودُرست بنفس المناهج العربية. فلقد أصبحت المناهج الحديثة هدفاً للباحثين يستخدمون مصطلحاتها في أبحاثهم دون إلمام كاف بها فلا حافظوا على القديم ولا استفادوا من الحديث حق الاستفادة، ويحسب للباحثين اهتمامهم بالمناهج الحديثة ومحاولة تطبيقها على النص العربي للخروج بنتائج جديدة لم يسبق للباحثين أن وقفوا عليها من خلال استخدامهم للمناهج القديمة، ولكن يبقى السؤال: هل تحققت تلك الغاية من استخدام المناهج الحديثة؟

ربما يكون قد تحقق شيء من ذلك، لكن أغلب الدراسات التي قام بها طلاب مرحلتي الماجستير والدكتوراه حول هذه القضايا لم يكن سوى تكرار للمناهج العربية تحت مسميات حديثة غريبة، فالمصطلحات التي تُرجمت إلى العربية بأسماء أخرى هي المصطلحات العربية، ربما اختلف تناولها في بيئتها الأصلية عن تناولنا لها، لكنها جاءت إلينا فاستخدمناها بأسماء الغرب وبمعاني العرب.

ولعل هذا ما قصده د. عيد بلع حين قال: «إن مشكلة البلاغة حديثاً أن محاولات التجديد - في معظمها - محاولات ربط وتوفيق خالصة وليس في جوهرها تجديد، وإن المحاولة التي ندعو إليها ينبغي أن تتخطى الانطلاق من الرغبة في إحياء البلاغة القديمة أو إنصاف البلاغيين القدماء، كما ينبغي أن تتخطى أيضاً محاولات الربط والتوفيق بين مقولات بلاغية قديمة ومقولات النقد الحديث ونظرياته، لأن محاولات الربط والتوفيق المعاصرة ذاتها ليست بمنأى عن النقد

الموجه إلى البلاغة القديمة؛ لأنها لم تكن بمنأى عن القصور المتجذر في الأصول النظرية المشكلة لمسار الدرس البلاغي»<sup>(27)</sup>.

وسأعرض نماذج توضح ما قصدت ببيانه:

الجملة الاقتضائية<sup>(28)</sup> المصطلح يتفق تماما مع مصطلح «الجملة الطلبية».

الجملة التقريرية<sup>(29)</sup> المصطلح يتفق مع مصطلح «الجملة الخبرية».

الانزياح - الانكسار النصي - الانحراف النصي<sup>(30)</sup> يتفق مع مصطلحي «العدول» و«خلاف مقتضى الظاهر».

التشبع<sup>(31)</sup> يتفق مع مصطلح «الخاصية الأسلوبية» أو «السمة الأسلوبية».

التصالب مع مصطلح «المقابلة العكسية».

الاستبدال<sup>(33)</sup> مع مصطلح «الاستعارة والوفاقية والاستعارة العنادية أو التهكمية»

النظرية الاستبدالية<sup>(34)</sup> مع مصطلح «الاستعارة التصريحية والأصلية».

الاستعارة التفاعلية<sup>(35)</sup> مع مصطلح «الاستعارة المكنية والمركبة».

وعلى المستوى التطبيقي وجدنا استهلاكا واضحا للمعرفة وتضييعا للجهد والوقت في دراسات لم تتجاوز المناهج التقليدية، وإن اتسمت بمسميات حديثة، وفيما يلي نقف على بعض الدراسات التطبيقية للمصطلحات الغربية:

**أولا: مصطلح الحجاج Argumentation:**

من المصطلحات البلاغية التي لاقت رواجا في الآونة الأخيرة ، وقد حدث في هذا المصطلح خلل سواء في التنظير أو التطبيق، فقد اختلط بمصطلح الإقناع حتى التبس به عند بعض المطبقين، وفي

أغلب الدراسات التطبيقية لم نجد اختلافا كبيرا بين آليات الدراسة الحجاجية والدراسات البلاغية الأخرى<sup>(36)</sup>.

فأغلب الدراسات التطبيقية التي طالعها في بلاغة الحجاج استخدمت الآليات البلاغية المعروفة ولم تجاوزها، ومن هذه الدراسات:

- الحجاج وظواهره البلاغية بين الخطابة والرسائل في العصر العباسي الأول «دراسة تطبيقية في الجمهوريتين» رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية (2006م)، للباحث: سامح سمير شاهين بإشراف أستاذي الأستاذ الدكتور عيد بليغ.

- بلاغة الحجاج في الشعر العربي «شعر ابن الرومي نموذجاً» للدكتور: إبراهيم عبد المنعم إبراهيم (2007م).

- الحجاج في الخطابة الأموية دراسة بلاغية لوسائل الإقناع للباحث د. عصام أحمد أبو السعود بحيري، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة المنوفية، بإشراف الأستاذ الدكتور عيد بليغ (2010م).

- «الخطب والرسائل في العصر الأموي دراسة تحليلية في ضوء نظرية الحجاج» رسالة دكتوراه للباحث: سعيد حسن أحمد الجرن - 2012م - بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة وقام الباحث في التمهيد بعرض مفهوم الحجاج وتطوره بدءاً من مفهوم الحجاج عند أرسطو كما لفت إلى الحجاج وعلاقته بالبلاغة العربية، ثم قام في أبواب الرسالة بدراسة دور الكلمة في الحجاج ودور التركيب في الحجاج ودور الصورة في الحجاج ودور التقنيات الحجاجية ثم بنية الحجاج في الخطب والرسائل الأموية، وقد اعتمد في جمع مادة الدراسة على المصادر التراثية.

- «بلاغة الحجاج النبوي في صحيح مسلم» رسالة دكتوراه للباحث: عبد المحسن محمود أحمد منصور - 2014م - بكلية اللغة العربية -

جامعة الأزهر فرع شبين الكوم وقد سعى الباحث فيها إلى الكشف عن طرائق الحجاج النبوي وأنواعه وخصائصه وجمع تلك الأساليب لإظهار الجانب الحجاجي ففي معالجة النبي - صلى الله عليه وسلم - لمقامات الحجاج المختلفة وقد اعتمد الباحث فيها على دراسة بلاغة أساليب الحجاج النبوي المباشر وغير المباشر والأساليب المبنية على مقدمات عقلية عن طريق التطبيق على صحيح مسلم.

بل إن هذه الدراسات الحجاجية لم تراع الفروق بين الخطابات المختلفة، فعاملت النص الشعري بنفس آليات النص النثري، بل إن بعض هذه الدراسات التي اتخذت القرآن الكريم مادة تطبيقية لها لم تنبته إلى خصوصية النص القرآني، فقد ذهب بعض الدارسين إلى إمكانية وصف القرآن الكريم بأنه خطاب حجاجي، حيث قال: «يمكننا اعتبار النص القرآني خطاباً حجاجياً لكونه جاء رداً على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة»<sup>(37)</sup>.

وينبغي أن نقف عند هذه الفكرة وقفة طويلة؛ لما تحمله من مغالطات، إذ عدها الباحثون اللاحقون قاعدة وأساساً في دراساتهم. فنجد أن هذه العبارة تكررت في كثير من الأبحاث المهمة بالحجاج في القرآن الكريم، وقد أطرت هذه العبارة إلى أن القرآن الكريم خطاب حجاجي وهذا الأمر فيه نظر.

ف نجد الباحثة أمينة بلعلي تقول: «يصنف الخطاب القرآني ضمن الخطاب الحجاجي لكونه جاء رداً على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة، فهو يطرح أمراً أساسياً يتمثل في عقيدة التوحيد، ويقدم الحجج بمستويات مختلفة والمدعمة لهذا الأمر ضد ما يعتقده المتلقون من مشركين وملحدين ومنكرين للنبوّة والمعاد ومجادلين. ولعل في اختلاف مستويات التلقي هذه ما يؤكد الصفة الحجاجية للقرآن؛ لأنها

خاصية أساسية من خصائص الخطاب الإقناعي الذي يعرفه الدرس الحديث من الناحية الوظيفية من حيث إنه موجه للتأثير على آراء وسلوك المخاطب، وذلك يجعل أي قول مدعم صالحاً أو مقبولاً بمختلف الوسائل، ومن خلال مختلف الصيغ اللغوية إذا اعتبرنا أن هذه الصيغ هي أفعال كلام تمارس وظيفة الإقناع من خلال قوتها الكلامية التي تتجلى بدورها من خلال طرائق منطقية في البناء والربط والعلاقات الاستدلالية التي يمثل الحجاج أبرز مظاهرها»<sup>(38)</sup>.

كما نقلت الباحثة إيمان دروني في رسالتها للماجستير «الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء نموذجاً» - الكلام السابق دون عزوه إلى قائلة، وكأنه أصبح مسلمة ، ثم تقول معلقة: «إن الخصوصية الجوهرية (الاستمالة - التأثير - الإقناع) التي توفر عليها القرآن جعلت منه خطاباً حجاجياً بالدرجة الأولى»<sup>(39)</sup>.

بل إن الباحثة حياة دحمان تضع في بداية بحثها ما تزعم أنه أمر بدهي ، وتبني على أساس زعمها هذا البحث كله، حيث تقول: «إننا نتطلق من فكرة بديهية جدا وهي أن القرآن خطاب ، وكونه خطاباً يقتضي أنه إقناع وتأثير، ومما يثبت أنه خطاب كثرة مخاطباته حتى جعلت هذه المخاطبات في القرآن علما من علومه»<sup>(40)</sup>.

فالباحثة وغيرها من الباحثين يخلطون بين المصطلحات (الاستمالة - التأثير - الإقناع) ويجعلونها تحت مصطلح الحجاج.

## ثانياً: مصطلح الانزياح:

شاع مصطلح الانزياح في النقد الغربي، وتعددت مدلولاته، فعده بول فاليري «تجاوزاً» ورولان بارت «فضيحة» وتودوروف «شدوذا» وجان كوهن «إطاحة» وثيري «كسرا» وسبيتزر «انحرافاً»<sup>(41)</sup> وفي النقد العربي نجد «الانزياح» و«الانحراف» و«العدول» و«الخروج» و«الخرق» و«الابتعاد»

و«البعد» و«التشويش» و«التشويه» و«المجاوزه» و«النشاز» و«الاتساع» و«الفارق» و«الجسارة اللغوية» و«الغرابية» و«الإخلال» و«الانحناء»<sup>(42)</sup>.

وقد سبب المصطلح الغربي ضبابية في رؤية المصطلحات، فتعددت الترجمات واتفقت المنهجية، فالعدول وخلاف مقتضى الظاهر يعنيان نفس دلالة الانزياح، واللافت للنظر أن الدراسات العربية التي تناولت المصطلح الغربي لم تضيف شيئاً على دلالة المصطلح العربي «العدول» بل وجدنا اعترافاً صريحاً في مطلع إحدى هذه الدراسات، حيث قال المؤلف: «وبداية لا بد من الإشارة إلى أن الانزياح أو ما يسميه بعض النقاد والباحثين بالعدول والانحراف يعد أهم ما قامت عليه الأسلوبية من أركان»<sup>(43)</sup>.

وفي تعريف أحمد محمد ويس للانزياح حيث يقول: «استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصوراً استعمالاً يخرج به عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب وأسر»<sup>(44)</sup> نجد أن هذا التعريف هو الحد بين الكلام العادي والكلام الأدبي.

فمفهوم الانزياح ليس جديداً في البلاغة العربية، فما جاء به المحدثون لم يتجاوز وصف المصطلح بأنه خرق لقانون اللغة وخروج عن المعيار، وهو ما جاء به عبد القاهر الجرجاني وغيره من القدماء، فالفرق بين القديم والحديث ليست فروقاً جوهرية.

يقول الباحث: «ولعل أول إشارة إلى انزياح النص القرآني وخروجه عما هو مأثور وردت في كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة (210هـ) حيث قال: «ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني، ومن المحتمل من مجاز ما اختصر، ومجاز ما حذف، ومجاز ما كف عن خبره، ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع، ومجاز

ما جاء لفظه لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين...ومجاز المقدم والمؤخر «ثم يعلق على ذلك قائلاً: فهو يقصد بالمجاز الانزياح أو العدول عما ألفه الناس من أساليب التعبير وأنماط الصياغة، والاتجاه إلى أساليب وعادات لم تجر بها الأنماط اللغوية، مما يكسب الكلام مزية من غيره»<sup>(45)</sup>.

ثم هو أيضا يقول: «ولعل أول محاولة منهجية - فيما أعلم - لجمع أنواع الانزياح والعدول في النص القرآني، ودراستها في باب واحد يجمع شتاتها، وتحت مصطلح واحد يجمع سماتها العامة، جاءت في كتاب «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (276هـ) حيث خصص لها باباً عنوانه «باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه» تحدث فيه عن المعاني السياقية لبعض الأساليب الإنشائية»<sup>(46)</sup>.. ويسميه الرماني (386هـ) «نقض العادة»<sup>(47)</sup> ثم يذكر أن الباقلاني (403هـ) أيضاً كان «من الموفقين كثيراً في الوقوف على مستويات الانزياح في هذا النص الذي كان سبباً في ظهور الدراسات العربية التي كانت تهدف إلى تمرين الألسنة على قراءته، والعقول على التمعن والتدبر في أسْمى معانيه»<sup>(48)</sup>.

فما الإضافة التي أضافتها الدراسة؟ وماذا لو أنه سماها بالعدول أو الانحراف أو خلاف مقتضى الظاهر منذ البداية؟

وقد ألفينا الخلط نفسه في بحث بعنوان: «أسلوبية الانزياح في سورة الحديد المباركة» لمجموعة من الباحثين «مرتضى قائمي، إسماعيلي يوسف، وجواد محمد زاده»<sup>(49)</sup> يقول:

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن عدة أسئلة رئيسية وهي:

- أي نمط من أنماط الانزياح يعد أكثر انتشاراً في السورة؟
- ما هي جمالية أنماط الانزياح والغرض الرئيسي من العدول؟
- ما هو معيار التنزيل للخروج عن المتداول والمألوف؟

وتحت عنوان «معياري الانزياح» يقول: من أهم الأسئلة التي تطرح عن الانزياح هو هل هناك حد بين لغة المعيار ولغة العدول؟

فتلاحظ أنه عبر عن الانزياح بالعدول، مما يدفعنا للتساؤل: ما قيمة استخدام المصطلح الغربي إذن؟ كما أنني بحثت في قائمة المراجع عن كتب أجنبية بلغتها أو مترجمة فلم أجد، فهل يعني ذلك أن الباحثين لم يطالعوا عن النظرية الغربية أي كتاب غربي؟

وفي رسالة علمية بعنوان: «الانزياح في النص القرآني»<sup>(50)</sup> لنيل درجة الدكتوراه مقدمة من الطالب أحمد غالب الخرشه، بجامعة مؤتة، لم يقدم الباحث جديداً، بل إنه تناول النصوص القرآنية تناولاً بلاغياً لا يخرج عن تناول ظاهرة العدول العربية المعروفة. بل إنه هدف إلى أن يبين الترابط بين الانزياح الأسلوبي والعدول العربي، يقول في المقدمة «وقصدت من هذا الترتيب الدلالة على أن ما قاله الأسلوبيون المحدثون في تناولهم للانزياح هو ما نجد له إشارات في كتب التراث البلاغي عند المتقدمين»<sup>(51)</sup>.

وفي دراسة بعنوان: الانزياح في قصيدة «صلوات في هيكल الحب» لأبي القاسم الشابي، للباحثين د. افتخار سليم محيي الدين ود. فتحي محمد رفيق، مجلة جامعة طيبة: للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الخامسة 1437هـ، العدد 77، من صفحة 545 إلى صفحة 603 لم يقدم الباحثان سوى تكرار للتناول البلاغي التقليدي، حيث تناولوا الاستعارة والتشبيه والكناية والتكرار والحذف والذكر والتقديم والتأخير... إلخ.

### ثالثاً: مصطلح السيميائية:

لهذا المصطلح مسميان اختلف حولهما العلماء: السيميوطيقا، والسيميولوجيا. فهما مترادفان «فالسيميولوجيا إذن مرادفة للسيميوطيقا، وموضوعهما دراسة أنظمة العلامات أيا كان مصدرها لغوياً أو سننياً أو

مؤشريا»<sup>(52)</sup> وعندما نظرنا في الدراسات التطبيقية لم نجد إضافة لما قاله العرب، ففي دراسة بعنوان: «بنية الخطاب السردى في سورة يوسف: دراسة سيميائية»<sup>(53)</sup>: للباحثة دفة بلقاسم عالجت الدراسة قصة يوسف عليه السلام من خلال ما أسمته بالتمفصلات التالية:

الوحدات السيميائية الدالة على بشائر النبوة.

الوحدات السيميائية الدالة على الكيد وتدبير المؤامرة.

الوحدات السيميائية الدالة على العلم وتأويل الرؤى.

الوحدات السيميائية الدالة على التحقيق في المؤامرة والبراءة.

الوحدات السيميائية الدالة على إنعام الملك على يوسف بخزائن مصر.

الوحدات السيميائية الدالة على انفراج الأزمة واللقاء المثير بين يوسف وأبويه وإخوته.

وقد كان ذلك خلال ثلاث وحدات سيميائية هي:

«القميص» حضور في القصة، وفيها ثلاث دلالات: حين جاء الإخوة على قميص يوسف بدم كذب... وحين قد قميص يوسف من دبر... وحمل ريح يوسف إلى أبيه، وألقي على وجهه فارتد بصيرا بإذن الله تعالى. نجد أن هذه الوحدة «قميص» أصبحت أداة أساسية في البناء السردى... وهكذا استحال «القميص» إلى نواة مركزية، نسجت حولها أحداث القصة.

«السكين» عن موقعها في قصة يوسف، عليه السلام، إذ هي من منظور دلالي تتصل بمعاني التقطيع، والذبح، والقتل، والدم. وكل هذه المعاني لها أثر في نفس المتلقي، حيث توقظ انتباهه وإحساسه، وتنشط انفعالاته، فيصبح مستعدا لفهم الرسالة والتفاعل معها. أما بنيتها العميقة فتؤمى إلى دلالات الحقد، والكره، والقسوة، وحب الانتقام، وكلها صفات سيطرت على نفسية امرأة العزيز، وهي تدعو النسوة إلى حضور مأدبة أقامتها لهن في قصرها.

«الذئب» عن معان ترمز إلى المكر، والخبث، والخيانة، ومخالفة العهد، والافتراس، وكلها صفات ذميمة اتصف بها إخوة يوسف الكبار. وقد استنكر الباحث د. إياد عبد الله في بحثه الدراسات السيميائية للقرآن الكريم<sup>(54)</sup> هذا التأويل ذاكرة أن مفسرين كبارا ذكروا هذه الدلالات من قبل أن تكون السيميائية موجودة فقال: «حين أشار أبو السعود (ت 882) إلى القميص بقوله: «كان في قميص يوسف - عليه السلام - ثلاث آيات:

كان دليلا ليعقوب على كذبهم، وألقاه على وجهه فارتد بصيرا، ودليلا على براءة يوسف - عليه السلام-».

ثم علق قائلاً: «ويمكن القول، إن أي من تلك الوحدات والعلامات السيميائية برغم دورها في القصة؛ لا يصح أن نوليها اهتماما يفوق الدروس المتوخاة المتمثلة في الصراع بين الحق والباطل، والحسد والغيرة، وحب الانتقام، وثبات يعقوب عليه السلام وصبره، وانتصار الحق في نهاية المطاف. فإذا كان للقميص من دور فعلي في القصة فينبغي أن لا يطغى على دور صاحبه الذي عانى من ظلم إخوته له. أما السكين فكانت مكيدة ما كانت لتتم لولا حسن سيدنا يوسف ووسامته، إذ أدركت زوجة العزيز أن النسوة حين يستعملن السكين ويظهر عليهن يوسف سوف ينبهرن بحسنه وطلعته ويغفلن عن استعمال السكين بشكل صحيح ويجرحن أيديهن. وبدون تلك الوسامة لم يكن للسكين قيمة في تلك القصة سوى تقشير الفاكهة. أما الذئب فلم يكن له وجود حقيقي في القصة. فجاءت الدراسة السيميائية بهذه النتائج المتواضعة؛ لأنه ليس بمقدور هذا العلم أو المنهج أن يأتي بشيء أفضل مما جاء آنفاً، لاسيما حينما يطبق في محيط خارج المجال الذي ولد فيه.

وبعد هذا النقد للتحليل السيميائي يقول الباحث: «لذلك يعتقد الباحث أننا نضيع جوهر القصة ومغزاها حين نلتفت إلى تلك الوحدات

والعلامات السيميائية؛ فالسورة حافلة بمشاهد تتجلى فيها انفعالات الغيرة، والحزن، والغضب، والخوف، والسرور، وبحوادث ابتلاء يوسف - عليه السلام - ابتلاء بغيرة إخوته، وابتلاء بالفتنة، وابتلاء بالسجن، وابتلاء بالملك والقوة، وفي السورة أيضاً ابتلاء يعقوب - عليه السلام - بفقدان ابنه، وفقدان بصره، وماعانى من صبر طويل، مع عدم تسرب اليأس إلى نفسه وعدم فقدان الأمل. فمهما طال الابتلاء لا يعني اليأس من روح الله. كذلك مغزى تعلم يوسف لتأويل الأحاديث وكيف تحققت رؤى صاحبي يوسف»<sup>(55)</sup>.

فأي إضافة أضافها هذه الدراسة للدراسات البلاغية ، فهي لم تقدم جديدا ، ولكنها اتخذت من التفاسير وكتب البلاغة العربية مراجعا لها ، وكنا ننتظر أن تقدم إضافة تُضاف لما جاء بهذه المراجع.

### الخاتمة:

المصطلحات الحداثية يمكن أن تُستثمر إن وجدت باحثين يستطيعون الإلمام التام بفلسفتها وسياقاتها التي ولدت وترعرعت خلالها، ولكنها في الغالب تُشكل قطيعة معرفية متعددة الاتجاهات:

- قطيعة مع التراث؛ بحيث استعصنا بها عن المصطلح التراثي.  
- قطيعة مع الآخر؛ لأننا ظننا أننا نمارس الحداثة ونحن نعيش في وهم الحداثة ، فلقد اكتسبت المصطلحات الحداثية معاني غير التي كانت لها في بيئتها.

- قطيعة مع الذات ؛ بحيث أصبح الباحثون في وطن واحد يتناولون المصطلح الواحد بأكثر من طريقة.

وهي أيضا أصبحت عاملا من عوامل الاستهلاك السلبي للمعرفة ، لأنها تتناول القضايا التي سبق تناولها بمصطلحات توحى بأنها جديدة حديثة، لكن طريقة تناول لم تختلف عن المناهج التقليدية.

ولذا فإن الباحث في البلاغة العربية لابد وأن يكون ذا دراية باللغة الأصلية للمصطلحات وأن يُلم بفلسفتها وسياقاتها ، وألا يعتمد على الدلالات الوسيطة ، لأن الذي نقل هذه الدلالات ربما أعطاها من ثقافته ووجهة نظره.

## الهوامش

- (1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (مادة صلح)، مكتبة الشروق، مصر، ط 4، 1425هـ، 2004م، ص 383.
- (2) محمد الديداوي، إشكالية المصطلح المتخصص وتوحيده، توصيل وتفهمه وحوشيته، موسوعة شرطيوه، مكتب الأمم المتحدة في جنيف، ص 17.
- (3) أحمد مطلوب: معجم مصطلحات النقد العربي القديم (عربي - عربي)، ط 1، مكتبة لبنان ناشرون، 2001م، ص 1.
- (4) الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 2003م، ص 34.
- (5) د. أحمد مطلوب: في المصطلح النقدي: مطبعة المجمع العلمي، بغداد، 1423هـ، 2002م، ص 24، 25.
- (6) د. عبدالسلام المسدي: اختلاف المصطلح بين المشرق والمغرب، كتاب العربي، الكويت، أكتوبر 2006م.
- (7) د. غازي مختار طليمات: على محك لغة النقد، جريدة البيان الإماراتية، الخميس 13 مايو 2002م، ص 5.
- (8) د. عمار ساسي: المصطلح في اللسان العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2009م، ص 94.
- (9) د. عبدالسلام المسدي: اختلاف المصطلح بين المشرق والمغرب، مرجع سابق، ص 24-28.
- (10) د. عيد بليغ: خداع المرآيا: ما قبل النظرية، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة: الأولى 2002م، ص 79.
- (11) د. حامد أبو أحمد: نقد الحداثة، الرياض، 1994م، ص 73-74.

- (12) د. عيد بليغ: خداع المرايا، ص 82.
- (13) د. يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط 1، 1429هـ - 2008م، ص 204.
- (14) نفسه 140.
- (15) نفسه 142.
- (16) شوقي جلال: الترجمة في العالم العربي الواقع والتحدي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999م، ص 94.
- (17) د. فاضل ثامر: إشكالية المصطلح النقدي في الخطاب العربي الحديث، ص 7، 8.
- (18) د. سعد مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة، لجنة التأليف والنشر والتعريب، الكويت، ط 1، 2003م، ص 253، محمد العبد: حيك النص من منظورات التراث العربي، مجلة فصول، العدد 59، ص 55، صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992م، ص 264، محمد خطابي: لسانيات النص «مدخل إلى انسجام الخطاب»، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1991م، ص 5، سعيد حسن بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للطباعة والنشر، لونغمان، ط 1، 1997م، ص 141.
- (19) د. محمد العبد: حيك النص من منظور التراث العربي، ص 55.
- (20) د. مجدى وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، ص 77 - مكتبة لبنان - بيروت، لبنان - الطبعة الثانية (منقحة ومزودة) 1984م.
- (21) د. عيد بليغ: التداولية البعد الثالث فى سميوطيقا موريس من اللسانيات إلى النقد الأدبى والبلاغة ص 24 وما بعدها - بلنسية للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى 2009م.
- (22) د. عيد بليغ: التداولية البعد الثالث فى سميوطيقا موريس، مرجع سابق، ص 26.
- (23) د. عيد بليغ: التداولية البعد الثالث فى سميوطيقا موريس، مرجع سابق، ص 27.
- (24) د. محمد العمري: البلاغة العربية، أصولها، وامتداداتها، أفريقيا الشرق المغرب سنة 1999م، ص 214.
- (25) د. عبدالقادر عبدالجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار الصفاء، ط 1 سنة 2002م، ص 43.
- (26) د. محمد كريم الكواز البلاغة والنقد، الانتشار العربي، بيروت ط 1 سنة 2006م، ص 16.
- (27) د. عبدالعزيز حمودة: المرايا المقعرة، ص 198.

- (28) د. عيد بليغ: خداع المرايا، ص 87.
- (29) د. عبدالسلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2006م، ص 122.
- (30) نفسه 124.
- (31) نفسه والصحيفة نفسها.
- (32) نفسه 129.
- (33) د. مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بدون تاريخ، ص 68.
- (34) د. عبدالله الحراسي: دراسات في الاستعارة المفهومية، مؤسسة عمان للصحافة، 2002م، ص 16.
- (35) د. محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، دار التنوير والدار البيضاء، بيروت، 1985م، ص 83.
- (36) نفسه، ص 84.
- (37) أيمن أبو مصطفى: الحجاج في القرآن الكريم رؤية جديدة، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد 40 لسنة 2015م.
- (38) حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، ص 110.
- (39) أمنية بلعلي: الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي - مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب - دمشق العدد 89 - السنة الثالثة والعشرون - آذار «مارس» 2003م - محرم 1424هـ.
- (40) إيمان دروني: الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء نموذجاً، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة لحاج لخضر، باتنة، ص 5.
- (41) حياة دحمان: تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجاً، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب جامعة لحاج لخضر، الجزائر، 2013م، ص 96.
- (42) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 1996م، ص 80.
- (43) أحمد محمد ويس: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، ص 40.
- (44) أحمد غالب النوري: أسلوبية الانزياح في النص القرآني، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة مؤتة، 2008م، ص 5.
- (45) أحمد محمد ويس: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، مؤسسة الإمامة الصحفية، الرياض، ط 1، 2003م، ص 8.
- (46) أحمد غالب النوري: أسلوبية الانزياح في النص القرآني، ص 32.
- (47) نفسه، ص 32.

(48) نفسه، 33.

(49) نفسه، 34.

(50) مجموعة من الباحثين «مرتضى قائمي، إسماعيلي يوسف، وجواد محمد زاده: «أسلوبية الانزياح في سورة الحديد المباركة، مجلة إضاءات نقدية (فصلية محكمة)، إيران، السنة السادسة، العدد الرابع والعشرون، شتاء 1395 ش كانون الأول 2016م/من ص 39، ص 73.

(51) د. أحمد غالب نوري الخرشه: الانزياح في النص القرآني، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة مؤتة، 2008م.

(52) نفسه، ص 3.

(53) فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني ط 1، 1987م، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص 87.

(54) د. دفة بلقاسم: بنية الخطاب السرد في سورة يوسف/ منشور بالكتاب الرابع من كتاب محاضرات الملتقى الوطني الرابع «السيمياء والنص الأدبي» بجامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، 28-29 نوفمبر 2016م.

(55) د. إياد عبدالله وآخرون: الدراسات السيميائية للقرآن الكريم، بحث منشور بمجلة قرآنك، مجلة عالمية لبحوث القرآن، المجلد الثامن العدد الأول، يوليو 2016م.

(56) نفسه ص 102.



## المصطلحات التراثية بين إمكانيات الاستثمار وعوائق الاستعمال

عصام فاروق إمام(\*)

### مقدمة:

خطت العلوم الطبيعية والإنسانية في العقود الأخيرة خطوات واسعة، سخر فيها العلماء كل السبل المنهجية والمعرفية والمعملية المتاحة؛ للوصول إلى عالم معرفي على قدر كبير من التقدم.

ولا شك أن تقدم العلوم وتطورها يزامنه تطور في مصطلحات تلك العلوم، وإذا كان الغربيون قد قدر لهم في هذا الطرف الزمني أن يحملوا مشاعل هذا التقدم الإنساني، فإن ذلك يلقي علينا - نحن أمة الضاد - مسؤوليات كبيرة، في مقدمتها كيفية ملاحقة هذا السيل المصطلحي في شتى العلوم.

وقد تنبه علماء العربية منذ بدء النهضة العلمية الحديثة في بلاد العرب إلى إشكاليات المصطلح المتعددة، وبذلت جهوداً حثيثة في محاولة حلها أو تقويضها، آتت بعض ثمارها فيما تقوم به الجامعات اللغوية المتعددة من وضع معاجم مصطلحية، تحاول اللحاق بركب التقدم المصطلحي العالمي.

(\*) أستاذ أصول اللغة المساعد بكلية البنات الأزهرية بالعاشر من رمضان - جامعة الأزهر - مصر.

وكان مما شغل - ويشغل - أذهان الباحثين الأسس التي تُوضع من خلالها المصطلحات، ومدى أهميتها بعضها وقياسيته... إلخ.

وكان مما اقترح الاستعانة بالمصطلحات التراثية؛ لما يمثله ذلك من مد الجسور بين الفكر اللغوي العربي القديم، وما توصل إليه الدرس اللغوي المعاصر، كما أن الاعتماد على هذا النوع من المصطلحات قد يغنينا في كثير من الأحيان عن تعريب المصطلحات أو استعمالها كما هي في لغتها الأصلية، ولكن هذا الاتجاه إلى التراث لاستثمار ما فيه من مصطلحات، ليس الاتجاه الوحيد لدى المتخصصين والمهتمين بالمجال المصطلحي، فهناك اتجاه آخر يرى في المصطلحات التراثية ما لا يعبرُ تعبيراً صادقاً عن المفاهيم العلمية الجديدة، أو أنه قد يحدث لبساً، أو يفرض على القارئ نوعاً من التردد بين المفهومين القديم والجديد المدلول عليهما بمصطلح واحد.

وبين هذين الاتجاهين أتت فكرة هذا البحث الذي أردت من خلاله الإجابة عن سؤالين رئيسيين:

الأول: ما إمكانية استثمار المصطلحات التراثية في التعبير عما يستجد من مفاهيم؟

الثاني: ما العوائق أمام استعمال هذا النوع من المصطلحات؟ وهل هناك من سبل للتغلب عليها؟

ومن الأمانة أن أقول إن موضوع الدعوة إلى استعمال المصطلح التراثي، أو العناية به ليس جديداً في بابهِ، وإنما تناولته العديد من الندوات، وصدرت في حقه قرارات وتوصيات، منها ما أثير بشأن هذا الموضوع في ندوة: (توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة)، التي عقدت في الرباط عام 1981م، وكذلك ندوة: (المصطلح التراثي بين الأعمال والإهمال)، التي نظمتها مجلة (المناظرة)،

بالتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط والخزانة العامة للكتب والوثائق بالرباط يومي 29-30 مايو 1991م، ونُشرت مشاركتها في العدد السادس من المجلة نفسها، وعناوين المشاركات التي جعلت محوراً أساسياً المصطلحات التراثية كالتالي:

- حفريات في المصطلح التراثي: مقاربات أولية. د. محمد عابد الجابري.

- المصطلحات الفلاحية في كتب الفلاحة الأندلسية. د. محمد بن شريفة.

- لماذا أهمل المصطلح التراثي؟ د. علي القاسمي.

- التضخم والتضارب في المصطلح البلاغي. د. أحمد أبو زيد.

- استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة: اللسانيات الوظيفية نموذجاً. د. أحمد المتوكل.

- التعامل مع المصطلح التراثي بين المنهجية والاعتباط. د. عبد السلام ابن ميس.

- في فقه المصطلح الفلسفي العربي. د. طه عبد الرحمن.

- ملاحظات حول توظيف المصطلح التراثي في الفكر العربي المعاصر. د. عبد المجيد الصغير.

- مصطلح الحديث في القرون المتأخرة. د. فاروق حمادة.

- إشكالية التراثي والمعاصر في المصطلح السيكلوجي. د. مبارك ربيع.

وإن اتفق بحثي مع هذه المشاركات في الفكرة نفسها - القائمة على أهمية توظيف المصطلحات التراثية، ورصد عوائق استعمالها، وسبل التغلب عليها - لكنه اختلف عنها من أوجه، منها ما يلي:

جعلتُ بعضُ هذه المشاركات مصطلحاتٍ مجالٍ معينٍ كالزراعة، والفلسفة، والبلاغة، واللسانيات، والسيكولوجيا (علم النفس) إطاراً لها، في حين أنني أتحدثُ عن المصطلحات التراثية بوجه عام، دون تخصيصها بمجال معين.

ينفرد هذا البحث عنها بأنه قائمٌ على جمعِ الرؤى السابقة والاتجاهاتِ المختلفةِ التي بحثتُ هذه القضية - ومنها هذه المشاركات - لعلنا نخرج بصورة أوضح لمدى الإفادة من توظيف هذا النوع من المصطلحات، وكيفية التغلب على المعوقات التي تقف في سبيل هذه الإفادة.

وما دعاني إلى فتح هذا الموضوع القديم من جديد - أيضاً - أمورٌ منها:

أولاً - أن الإصرار على فكرة استثمار هذا النوع من المصطلحات ما زال مستمراً، ويجب «الوعي بأن هذا الموضوع من أصعب المواضيع التي رافقتُ تقدم البحث العلمي في البلدان العربية، ويكفي دليلاً على ذلك كوننا لا نزال في حاجة ماسة إلى عقدِ جلساتٍ لمناقشته والكتابةِ حوله»<sup>(1)</sup>.

ثانياً - أن كثيراً من الدعوات السابقة لم تجد صدًى واسعاً يلبي مادعتُ إليه؛ مما يزيد من أهمية هذا الإصرار وذاك الإلحاح، في كثيرٍ من اللقاءات العلمية والفعاليات الأكاديمية، على مستوى فردي أو مؤسسي، لعلها تجد صدًى في مُقبلِ الأيام.

ثالثاً - زيادةُ التراث العربي المنقول من حالته المخطوطة إلى حالته المطبوعة، وهو ما تمدُّنا به الرسائل العلمية في الجامعات العربية على وجه الخصوص التي تُوجَّه جانباً من رسائل باحثيها إلى مجال تحقيق المخطوطات، أو ما تمدُّنا به المكتبات ذات الاهتمام

التحقيقي والتراثي.

واقترضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، وتمهيد، ومطلبين، وخاتمة:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، ومنهجه، وخطته..

التمهيد: مفهوم المصطلحات التراثية، وحدودها، ومنزلتها، ومصادرها.

المطلب الأول: مسوغات استعمال المصطلحات التراثية ودواعيه.

المطلب الثاني: عوائق استعمال المصطلحات التراثية، وسبل التغلب عليها

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

### التمهيد:

#### مفهوم المصطلحات التراثية،

#### وحودها، ومنزلتها، ومصادرها

أولاً - مفهوم المصطلحات التراثية، وحدودها، ومنزلتها:

يعرّف د. عز الدين البوشيخي المصطلح التراثي بأنه «كلُّ مصطلح ينتمي إلى أي مجال من مجالات المعرفة والعلوم والثقافة وأوجه النشاط الإنساني، مكتوب، وموثق، ومسجل، فيما تركه علماءنا الأقدمون، في كتبهم المطبوعة والمخطوطة وغيرها مما وصل إلينا»<sup>(1)</sup>. ووَصَفَ هذا التعريفَ بالشامل، إذ إن المصطلح بهذا التعريف معناه كل ما توافر لدينا من مادة مصطلحية، في أي مجال من مجالات النشاط الإنساني، خاض فيه علماءنا الأقدمون، قابع في مؤلفاتهم التراثية، وممثل لحضارتنا الماضية.

لكنّ هذا التعريف فيه نوعٌ من الغموض، خصوصاً في قوله: (علمائنا الأقدمون) فمن يقصد بهم، وبالحدود الزمنية لوجودهم؟ وهو ما يفرض سؤالاً آخر مفاده، ما حدودُ المصطلح التراثي؟

يبدو أنّ كثيراً من الباحثين يرون أنّ المصطلحات التراثية تُطلق على ما وُجد منها قبل النهضة العربية الحديثة؛ في القرن التاسع عشر الميلادي، مما جعل العلماء العرب في مرحلة نشأة هذه النهضة وتطورها ينظرون إلى هذه المصطلحات كمصدرٍ من مصادرٍ محاولة مساهمة التقدم الحضاري والثقافي الآتي من بلاد الغرب، وقد جعل بعضهم النهضة العربية الحديثة معياراً لتقسيم حياة المصطلح في الثقافة العربية إلى حيتين: «الأولى بدأت مع عصر التدوين، عصر البناء العام للثقافة العربية، وتمتد إلى ما اصطلح الفكر العربي الحديث على تسميته بـ (عصر الانحطاط)، عصر الجمود على التقليد، ويمتد عملها من ابن خلدون إلى الطهطاوي، من القرن الخامس عشر الميلادي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر. أما الثانية، فتتعلق من بداية اليقظة العربية الحديثة، التي يمكن الرجوع بها إلى أوائل القرن الماضي، ولا زالت منطلقة، تزداد زخماً وحيوية»<sup>(3)</sup>. ويقول د. محمود فهمي حجازي: «لا يقتصر البحث في المصطلحات في التراث العربي على قطاعات معرفية محدودة، بل يتناول بالضرورة كل فروع المعرفة المدونة باللغة العربية على مدى عدة قرون، منذ بداية الحركة العلمية في إطار الإسلام، وحتى بداية الاتصال الحديث بالحضارة الغربية»<sup>(4)</sup>.

إذاً هذا هو الحد الزمني الذي يمكن اعتماده للمصطلح التراثي، وهناك حدٌ آخرٌ مهمٌ يمكن بيانه في هذا السياق هو حدُّ هذا النوع من المصطلحات من حيث المستوى اللغوي. فمن الواضح أن مفهوم

(المصطلحات التراثية) متسعٌ، يتعدى المصطلحات العربية القديمة منها إلى نظيرتها المعربة الموصوفة بالقدم أيضاً، ويتجلى ذلك واضحاً في قرار من قرارات ندوة الرباط 1981م، ونصّه: العمل على "استقراء وإحياء التراث العربي، وخاصة ما استعمل منه، أو ما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث، وما ورد فيه من ألفاظ معربة" (5).

وأجد في هذا الاتساع فهماً لأهمية هذا النوع من الألفاظ أو المصطلحات المعربة القديمة التي انصهرت ضمن منظومة الألفاظ والمصطلحات العربية، وتم قبولها وتداولها بين أوساط المتخصصين والعلماء، مما أثبت لها صفة الشيوخ، بغض النظر عن أصلها.

وحينما نبحث عن بدايات عناية العلماء العرب بهذا النوع من المصطلحات، ونعود إلى الفترة المحصورة بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، لنفحص منهجيات وضع المصطلحات في هذه الفترة، فسوف نجد «أن التراث لم يكن عنصراً من عناصر منهجيات وضع المصطلحات، وأن المصطلحات التراثية لم تشكل سوى نسبة ضئيلة من مجمل المصطلحات التي تم وضعها وتوليدها... ولم يعتمد (التراث) مصدرًا من مصادر المصطلحات الجديدة إلا في وقت متأخر، وظهر النص عليه في ندوة: (توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي) التي عقدت في مكتب تنسيق التعريب بالرباط 1981م» (6).

والحقيقة أن اعتماد المصطلحات التراثية كمنهجية لوضع المصطلحات سبق النص عليه في قرارات بعض المجامع اللغوية، كما سنوضح بعد قليل. لكن يجب التنبيه إلى أن المقصود بالاعتماد - هنا - كونه منهجاً في الشأن المصطلحي أو كونه عملاً مؤسسياً. أما الالتفات

إليه والاعتماد عليه على المستوى الفردي ففيه جهودٌ سابقة، لكن لا تتعدي كونها اجتهادات فردية، فظلت الإفادة من التراث محدودة، حيث «لم يفد منها عملياً إلا قلة من الرواد الذين تسنى لهم، إضافة إلى سعة الاطلاع اللغوي، سعة اطلاع في مادة التراث التي لها تعلق باختصاصاتهم»<sup>(7)</sup>.

والمطلع على قرارات المجامع اللغوية والمؤتمرات والندوات الخاصة بالشأن المصطلحي يجد أن هناك شبه إجماع<sup>(8)</sup> على تفضيل المصطلحات العربية المأخوذة من التراث على غيرها، المعتمد في صياغتها ووضعها على أسس أخرى - كالاشتقاق والنحت والتركيب - ما دامت قادرة على الدالة على المفهوم الجديد للمصطلح أو قريبة منه، وفي هذا الشأن نجد أن من القواعد التي سارت عليها لجنة وضع المصطلحات الهندسية في المجمع العلمي العراقي: «إحياء المصطلح العربي القديم إذا كان مؤدياً للمعنى العلمي الصحيح»<sup>(9)</sup>.

وفي هذا الشأن - أيضاً - نجد عدة قرارات<sup>(10)</sup> لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، منها:

قرارٌ في شأن استخراج المصطلحات من الكتب العربية القديمة، نصه: «يُنظرُ المجمعُ في اختيار مختصين بشئون العلوم العربية؛ لإخراج المصطلحات العلمية القديمة من الكتب العربية، وعرض كل فرع على اللجنة المختصة، وإذا لم تكن لجنة مختصة تُشكل لجنة جديدة».

وله قرارٌ آخر في وضع معاجم للمصطلحات المستخرجة من الكتب العربية القديمة، نصه: «تدرس كتب العرب القديمة المتصلة بالمصطلحات العلمية، ويعمل لكل كتاب منها معجم بالمصطلحات التي وردت فيه، بحيث تكون هذه المعاجم في متناول الأيدي عند التعريب».

وله قرارٌ في تفضيل المصطلح العربي القديم على الجديد، نصه: «تفضّل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة، إلا إذا شاعت».

كما اعتبرت ندوة (توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي) - المنعقدة بالرباط عام 1981م، والتي تعد من أحد أهم المرجعيات العربية في وضع المصطلحات وتوحيدها - التراث الوسيلة الأولى لوضع المصطلحات، وذلك في المبدأ الذي نصّه: «استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقاً للترتيب التالي: التراث - فالتوليد (بما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت)»<sup>(11)</sup>.

ولكنّ على الرغم من كل تلك القرارات التي أصدرتها المجالس اللغوية وأوصت بها الندوات العلمية المختصة، بشأن أسبقية المصطلح التراثي «وعلى الرغم من الدفاع عن نشره، ومحاولة العمل وفقه إلا أن ما تقوم به المجالس ذاتها، وما يقوم به الباحثون والمهتمون في مجال الصناعة المصطلحية بعيدٌ عن تطبيق هذا القرار، فظل دائماً المصطلح التراثي على الهامش، ومهملاً في أغلب الأحيان»<sup>(12)</sup>.

وبالنسبة لمنزلة المصطلحات التراثية بين وسائل صياغة المصطلحات، فكما رأينا فإن كثيراً من القرارات المصطلحية وضعتها في مقدمة وسائلها، لكن لا بد أن نتنبه إلى أنها ليست الوسيلة المثلى في كل الحالات، فقد يمنعنا التقيد بهذه المصطلحات «من البحث في اللغة بحرية واختيار أو اشتقاق المصطلح الذي يقبله الذوق والاستعمال، واللغة قبل كل شيء ذوق واستعمال، وأرقى ما في كلماتها وأساليبها هو (السهل الممتنع)»<sup>(13)</sup> ولذا فإن المصطلحات التراثية في صدارة وسائل وضع المصطلحات، بشرط تلافي العوائق التي سيعمل البحث على بيانها.

ثانياً - مصادر المصطلحات التراثية، واختلاف مجالاتها المعرفية: إن استقاء المصطلحات التراثية من مصادرها لا يتم بطريقة واحدة، ولا يتوقع أن يكون بنسبة واحدة؛ نظراً لاختلاف المجالات المعرفية التي تتضمنها، وقد ذكر د. ممدوح خسارة أن الترجمة - على سبيل المثال - «تحتل المقام الأول عندما تتعلق المصطلحات المعالجة بعلوم قديمة كان العرب قد عرفوها يوماً، فإنَّ نسبة المفردات المترجمة هي الطاغية في علوم كالجغرافية والفلسفة، فمن أصل (268) مصطلحاً جغرافياً أقرها مجمع القاهرة، نجد (151) مصطلحاً مترجماً. لكن هذه النسبة تتضاءل كلما كانت المصطلحات تنتمي إلى علم عصري... على أن المصطلحات المترجمة [يقصد التراثية منها] لم تخف حتى في أحدث العلوم العصرية كالفيزياء النووية، إذ استعملت مصطلحات عربية قديمة»<sup>(14)</sup>.

وبسبب الاختلافات بين العلوم من جانب، وإسهام العرب في بعضها من جانب آخر، فيمكن تقسيم العلوم التي سنستقي منها المصطلحات إلى مجموعات، وبناء عليه توضع المعايير والإستراتيجيات المناسبة لكل مجال أو صنف من هذه المجالات.

فالمجالات العلمية - كما أراها - يمكن جعلها في ثلاثة أنواع، لكل منها طبيعتها، وطريقتها في أن تمتح من المصطلحات التراثية بقدر قد يختلف عن مثيلتها الأخرى، وهذه الأنواع، هي:

(أ) - مجالات للعرب فيها إسهام كبير، ومن ذلك: العلوم اللغوية، والجيولوجيا، القانون..

(ب) - مجالات للعرب فيها إسهام، ومن ذلك: الطب، والكيمياء..

(ج) - مجالات لا إسهام كبيراً للعرب فيها، ومن ذلك: الحاسبات، الفيزياء النووية..

وبالتالي فمن غير المتوقع أن نستخرج مصطلحات من المؤلفات التراثية التابعة للنوع الثاني بالقدر الذي للأول، ولا أن نتوقع كثير مصطلحات في النوع الثالث، وهكذا..

أمّا عند حديثنا عن المصادر التي يمكن من خلال استقاء المادة المصطلحية التراثية، فنجد أنها متعددة: ما بين مصادر عامة، وخاصة، ونعني بالمصادر العامة: تلك التي لا تختص بمجال معين، بل صنفها مؤلفوها جامعة أنواعاً متعددة من العلوم، ومن ذلك: «رسالة في حدود الأشياء، للكندي - وإحصاء العلوم، للفارابي - ومفاتيح العلوم، للخوارزمي - والمخصص لابن سيده - وكشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي - نهاية الأرب في فنون الأدب - كتاب التعريفات، للجرجاني - السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي - عجائب الآثار في التراجم والأخبار، للجبرتي - أبجد العلوم، لصديق حسن خان - مفيد العلوم، للحشاء (وينسب لأبي بكر الخوارزمي) - مقالات العلوم، للمناوي»<sup>(15)</sup>.

كما أنه «علاوة على المصطلحات الموجودة في بطون الكتب والموسوعات الطبية العربية القديمة، هناك من المصطلحات ما يمكن استخراجها من المعاجم اللغوية القديمة وكتب اللغة، مثل: مقاييس اللغة لابن فارس، والمخصص لابن سيده»<sup>(16)</sup>.

بل وسّع البعض دائرة هذه المصادر حتى ذكّر منها ألفاظ اللهجة العامية، وهناك اتجاه قوي لا يرى بأساً في هذه الطريقة، وممن ذهبوا إلى ذلك: علي الجارم، الكواكبي، وعبد القادر المغربي، والأمير الشهابي، وإبراهيم مدكور، وكرد علي<sup>(17)</sup>، ومنهم أيضاً د. حسن فهمي، حيث يقول: «يجب أن تكون اللغة العامية مصدرًا من مصادر التعريب الهامة، ولا يصح إغفالها بتاتاً»<sup>(18)</sup>.

ويقول في موضع آخر: «وَجَرى كثيرٌ من الكتاب والمؤلفين على إهمال الألفاظ الدارجة كلها، مع أنَّها عربيةٌ صحيحةٌ، وذلك خشية أن تكون دخيلةً أو محرفةً، وبذلك حرموا أنفسهم استعمالها، مع جودتها وصلاحياتها التامة»<sup>(19)</sup>.

كما يذهب إلى ذلك - أيضاً - د. أحمد شفيق الخطيب، قائلاً: «...ولا أريد أن أتجاوز مرجعية التراث كمصدر مصطلحي دون أن أشير إلى ضرورة ترقية الألفاظ العامية، المعبرّة، السليمة سليقةً وذوقاً، واعتبارها قسماً مهماً من التراث اللغوي في هذا المجال. فهي بالفعل كان لها دورٌ في سد كثير من الثغرات في مجابهة الفيض المصطلحي في هذا المجال - في مثل: بائكة، وبريمة، وجُمْلون، وحُوش، وخابور، ودَبَش....»<sup>(20)</sup>.

لكن مما ينبغي الإشارة إليه إلى أن لهذا الاتجاه رؤيةً محددةً للعامي الذي يمكن الاعتماد عليه، وتختلف هذه الرؤية عما قد يتبادر إلى ذهن الكثيرين من المقصود بالعامي عند إطلاقه.

فروية هذا الاتجاه للعامي المدعو إلى اعتماده تقوم على منطلقات، ومحددات معينة، فأما المنطلقات فهي:

(1) قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي نصّه: «تُدْرَس كلُّ كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس، على أن يُراعى في هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة، ولم يُعرف لها مرادفٌ عربيٌّ سابقٌ صالحٌ للاستعمال»<sup>(21)</sup>.

(2) أن الألفاظ العامية - بالمحددات التالية توضيحها - أولى من اللجوء إلى الألفاظ المعرّبة، يقول د. إبراهيم مدكور: «وفي العامية قدرٌ غيرٌ قليل يرجع إلى أصل فصيح، وفي وسع العالم أن يفيد منه لوضع مصطلحه، وبذا يردُّ إلى الفصحى ما أخذ عنها، فإن لم تسد العامية ولا

الفصحى حاجته، فله أن يلجأ إلى التعريب»<sup>(22)</sup>. وإلى مثل هذا الرأي يذهب محمد كرد علي<sup>(23)</sup>.

وأما المحدّدات التي تم وضعها لهذا النوع من المصطلحات والألفاظ، فتتضح من كلامهم على النحو التالي:

- (2) أن يكون لها أصلٌ عربيٌّ.
- (2) أن لا يكون هناك مرادفٌ عربيٌّ صالحٌ للاستعمال.
- (3) دراسة كل كلمة على حدة.
- (4) أن تكون الكلمة مستساغةً، منسجمةً مع العربية، من حيث أصواتها وبنيتها.

(5) أن تُقرّها هيئةٌ متخصصةٌ كمجمع اللغة العربية بالقاهرة، أو نظائره. أما المصادر الخاصة التي يمكن من خلال استقاء المادة المصطلحية التراثية، فنعني بها: ما كُتب في مجال معين، يستطيع المتخصص من خلال الاطلاع عليه وجرّد ما فيه الوصول إلى كثير من المصطلحات، التي يمكن استثمارها، وإعادة إحيائها، أو جعلها ملائمة لأن تستقبل حمولات مضمونية جديدة.

وقد قدّمت بعض التجارب الفردية، التي أثبتت غنى المصنّفات التراثية - سواء أكانت عامة أم خاصة - بالكثير من المصطلحات الصالحة للاستثمار، وإعادة التوظيف، ومن ذلك:

- تجربة محمد شرف في معجمه (معجم العلوم الطبية والطبيعية)، حيث قال: «وأخذتُ بُغيّتي مما عُرّب وأُلف في علوم الطب والطبيعات قديماً وحديثاً»<sup>(24)</sup>.

- اعتماد الأمير الشهابي في مصطلحاته الزراعية على «الأمهات من كتب اللغة، ولاسيما (المخصص) لابن سيده... ومخطوط

كتاب (الفلاحة) لابن وحشية، و(الفلاحة الأندلسية) لابن العوام الإشبيلي، ومخطوط كتاب (فضل الخيل) لشرف الدين الدمياطي، و(علم الفلاحة) لعبد الغني النابلسي، و(القانون) لابن سينا، ومخطوط (الجامع لصفات أشجار النبات) للإدريسي، ورسائل الأصمعي في الخيل، والكتب التي ألفت في عصر النهضة في مصر والشام»<sup>(25)</sup>.

- محاولة د. عبدالصبور شاهين في كتابه (العربية لغة العلوم والتقنية) التي قدم فيها معجماً لأمراض العين، مستخرجاً من كتاب (القانون) لابن سينا، رتبّه بحسب الألفبائية العربية، مضافاً إليه ثبت المصطلحات التي وردت لدى محمد بن قسوم الغافقي في كتابه المطبوع (المرشد في الكحل).

ومن المصطلحات التي أوردها: (ابيضاض العنبيه، بثور خفية في القرنية، تحديق، ثقل الأجفان، جفن تيني متقرح، حرف الجفن، خروق القرنية، درور العروق، ذبائية، رطوبة مائية، زوال العين إلى فوق أو أسفل، سدبة، شبكية، صدع في القرنية، ضيق الحدقة، طرف الجفن، ظهور العنبيه الفلكي، علقوم، غلط الجفن، فضلة مائية، قروح الجفن، كلال، لقط، ماسكة، نقص جرم الحدقة، هباءات، وسخ القروح، يبوسة العين)<sup>(26)</sup>.

ومن كتاب القانون نفسه قدّم د. محمد بوحمدى بعض مصطلحات فرع واحد من فروع الطب، وهو الكحالة (طب العيون)<sup>(27)</sup>.

ومن المصطلحات التي أوردها: (الأخدعان، الجفن، استعصاف المجاري، خراج، الدق، الرمد، السدبة، السلاق، الشرناق، العشاء، التكر، التكميد، الماق، الانتثار، نزول الماء..)<sup>(28)</sup>.

- وكذلك في علم الأحياء قدّم د. محمد نذير سنكري طائفة كبيرة من المصطلحات التراثية في هذا المجال، ثم أشفعها بالقول: «وما

هذا الذي عرضتُ في هذين البحثين إلا عبارة عن مطالعات عجلَى في حقلَي البيئة النباتية والصحراوية والتقسيم النباتي عند العرب تحتاج في المستقبل القريب إلى كثير من التفصيل والإغناء، وذلك من أجل بعث هذا التراث النباتي العربي التليد، والذي أغفلته جمهرة الباحثين العرب حتى اليوم»<sup>(29)</sup>.

لكننا على يقين من أنَّ الوصول إلى هذه المصطلحات من بطون مصنّفات التراث ليس أمرًا يسيرًا، نظرًا لأحوال التراث العربي، وعدم تكشُّف حدوده بعدُ، وقد صنَّف أحدُ المعاصرين تراثنا العربي على أنَّه تراثان:

- «1 - تراث معدُّ علميًا - وقليلٌ ما هو - فهو موثَّق، محقَّق، كشف، وهذا نحمد الله - عز وجل - أنَّ مَنْ به علينا، ونسأله المزيد.
- 2 - تراث غير معدُّ، وهو أيضًا تراثان:

أ - تراث مطبوع، وهو حسب تقديرات عدد من الخبراء في التراث أقلُّ الموجود، وكله - أو يكاد - محتاج إلى تكشيف، وأغلبه - وإن كُتِبَ أنَّه محقق - يحتاج إلى تحقيق، وقليله الذي ينقصه - علاوة على ما تقدم - التوثيق.

ب - تراث مخطوط، وهو حسب تقديرات الخبراء - أكثر الموجود، وكله محتاج إلى طبع ونشر، ومراكز وجوده في العالم غير محصورة، والمعلوم منها عدد منه غير مفهرس المحتوى، والمفهرس منها عدد منه غير دقيق المعلومات»<sup>(30)</sup>.

وبالطبع لا يمكن الحديث عن الإفادة الكاملة من المخزون التراثي من المصطلحات دون الإشارة إلى أن القيام ببحوث «في المصطلحات الواردة في هذه الكتب العربية والمعرّبة يتطلب وجود طبعا محققة يمكن الاعتماد عليها.. ولكي تلبى هذه الطبعا المحققة متطلبات

البحث في المصطلحات، فإنه من الضروري أن تزود هذه التحقيقات بكشافات كاملة تُضمّن كل المصطلحات الواردة في النص المنشور مع الإشارة إلى مواضع ورودها فيه»<sup>(31)</sup>.

وللاقترب من محاولة رؤية ضخامة التراث العربي وأحوال مصنفاته ساقف عند مجال واحد من المجالات التي يمكن استقاء مادتها المصطلحية من التراث، وهو المجال الفقهي، الذي من الممكن الإفادة منه في مجال القانون بفروعه المتعددة.

فبحسب بعض المختصين والمعنيين بمجال التراث الفقهي - ممن ناقشتهم في هذا الأمر - فإن حوالي 10 ٪ على وجه التقريب من التراث الفقهي مطبوع، والبقية منه مخطوط، لما يظهر إلى النور بعد.

ويمكن تصور هذا التراث الفقهي الضخم في حالته المخطوطة من خلال ما جاء في مقدمة (الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط - الفقه وأصوله) من القول بأن «هذا الفهرس الذي بين أيدينا يشمل الفقه وما يتصل به من: أصول وأحكام وفرائض ونوازل وشروط وفتاوى. ويُعدّ أكبر الفهارس التي صدرت حتى الآن وأكثرها مادة، وقد اقتصر بصفحاته الثمانمئة على حرف الهمزة (الألف) وحده، ونقدّر أن يجيء فهرس الفقه وأصوله في نحو عشرة أجزاء»<sup>(32)</sup>. وبالفعل صدر الجزء الثاني عشر وهو الأخير عام 2004م متضمناً مستدركات على الأجزاء الأحد عشر السابقة، وكشافات متعددة للمؤلفين والمكتبات والمراجع.

ولعل في هذا الإنجاز خطوة مبدئية ومُقدّمة - ولو مؤقتة - للاقتراحات التي قدمت في هذا الشأن، حيث يرى البعض أنه يمكن أن يُجعل على رأس المستعجلات - للإفادة من التراث في وضع المصطلحات - إعداد غير المعدّ علمياً من كتب التراث.. ولإعداده إعداداً علمياً شاملاً تُتّرح المنهجية التالية:

المرحلة الأولى: الفهرسة: بإعداد معجم مفهرس للمطبوع من المخطوطات العربية في العالم قابل للتحديث، ومعجم مفهرس لمراكز المخطوطات العربية في العالم، يليه معجم مفهرس للمخطوطات المحفوظة بتلك المراكز. والتصوير، والتخزين، والتصنيف، والتوثيق، والتحقيق، والتكشيف، والنشر<sup>(33)</sup>.

هذا بالنسبة للمخطوط من هذا التراث، فأما ما كان منه مطبوعاً (معدّ علمياً) فيمكن تصنيفه إلى:

(كتب الفقه وأصوله - الموسوعات الفقهية - معاجم المصطلحات الفقهية).

(أ) - الكتب الفقهية: يعد هذا النوع من المصادر غير المباشرة لاستقاء المصطلحات الفقهية؛ لأنها تحتاج إلى خطوات إعدادية لاستخراج تلك المصطلحات منها، ويمكن البدء في هذه الكتب من حيث التكشيف واستخراج المصطلحات بطريقة مباشرة منها، حيث إنها تجاوزت المراحل السابق الإشارة إليها، من فهرسة وتوثيق... إلخ.

(ب) - الموسوعات الفقهية: ومن أشهر الموسوعات الفقهية المعاصرة:

1 - الموسوعة الفقهية التي أصدرتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت 1980م في 45 مجلداً، وبدأت فكرتها في عام 1386هـ/1967م، وذكروا في مقدمة الموسوعة أن الهدف من هذا المشروع الفقهي الكبير - إجمالاً - أنه «يوفر على الراغبين في معرفة أحكام دينهم الوقت والجهد، ويجمع شتات الذخائر الإسلامية بهذا العلم الذي لا يستغني عنه مسلم»<sup>(34)</sup>.

وترتيب الموسوعة ألفبائياً، لسهولة هذا الترتيب على غير المتخصصين، ممن لا يعرفون الأنساق المفاهيمية بين أبواب الفقه

المختلفة، وقُسمت مصطلحات الموسوعة «تبعاً لمقدار بيانها وارتكاز بعضها على بعض، فهي ثلاثة أنواع: مصطلحات أصلية، ومصطلحات إحالة، ومصطلحات دلالة»<sup>(35)</sup>.

موسوعة الفقه الإسلامي (يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، منذ عام 1961م) رُتبت فيها المصطلحات الفقهية ألفبائياً، تصدر على أجزاء منفصلة. وصدر منها إلى (أكتوبر 2016م) خمسة وأربعون مجلداً.

(ج) - معاجم المصطلحات الفقهية: بالإمكان تمييز ثلاثة اتجاهات أساسية حكمت مسارات التصنيف في معاجم المصطلحات الفقهية هي كما يلي:

(1) معاجم فقهية خاصة بباب فقهي معين، ومنها: قاموس الحج والعمرة من حجة النبي وعمره، لأحمد عبد الغفور عطار (طبعة دار العلم للملايين - بيروت 1399هـ/ 1979م)، وقاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، للدكتور محمد عمارة (طبعة دار الشروق - القاهرة، بيروت، سنة 1413هـ/ 1993م).

(2) معاجم فقهية خاصة بمصطلحات مذهب أو مسلك فقهي مفرد، ومنه معجم فقه ابن حزم الظاهري (من إصدار لجنة موسوعة الفقه الإسلامي، بكلية الشريعة، بجامعة دمشق، دمشق، 1966م)، دليل السالك للمصطلحات والأسماء في فقه الإمام مالك، للدكتور/ حمدي عبد المنعم شلبي (طبعة مكتبة ابن سينا، بالقاهرة، 1990م).

(3) معاجم فقهية جمعت المصطلحات الفقهية كلها ومن دون تقييد بمذهب أو مسلك فقهي بعينه، أو بمجال فقهي معين، ومنه: التعريفات الفقهية، للمفتي محمد السيد عميم الإحسان المجددي

البركتي (طبعة مدينة دكه وكراتشي، بباكستان الشرقية، سنة 1379هـ/1960م)، ومعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، للدكتور/ محمد عبدالرحمن عبد المنعم، (دار الفضيلة، بالقاهرة، سنة 1419هـ/ 1999م)<sup>(36)</sup>.

ثم تأتي المرحلة الثانية، وهي الإعداد العلمي الشامل للمصطلح الفقهي، ولهذا الإعداد يمكن على الاعتماد على الاقتراح الذي قدمه د. الشاهد البوشيخي عند حديثه عن المصطلح التراثي بوجه عام، ويتمثل اقتراحه، ومنهجيته فيما يلي:

1 - الفهرسة: بإنجاز معجم مفهرس للمصطلحات الفقهية، ولا يكون ذلك إلا بفهرسة مصطلحات كل كتاب منشور من الكتب الفقهية أولاً، كما لا تكون تلك الفهرسة إلا من متخصصين فيه، وبالإحصاء والاستقراء التام.

2 - التصنيف: تصنيف المصطلحات إلى: معرفة، فتفرّد مع تعاريفها، موثقة، وإلى غير معرفة، فترشّح للتعريف، ثم تصنيفها مفهوماً تبعاً للنسق الأصلي لها في الاتجاهات التراثية والمعاصرة.

3 - التعريف: تعريف المصطلحات غير المعرفة، ويتضمن المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي.

4 - التخزين: تخزين كل المصطلحات، بأحدث الوسائل.

5 - النشر: نشر ما خزن، بكل الوسائل الحديثة، على مراكز البحث المعنية بالمصطلح، من مجامع وجامعات، ولجان ومنظمات.. تيسيراً للانتفاع به في الوضع المصطلحي وغير الوضع<sup>(37)</sup>.

## المطلب الأول:

### مسوغات استعمال المصطلحات التراثية ودواعيه

لقضية استثمار المصطلحات التراثية صلة وثيقة بقضية أكبر هي قضية إمكانية اللغة العربية الوفاء بمتطلبات البحث العلمي والتقدم التكنولوجي، وهي قضية أخذت حيزاً كبيراً من مناقشات العلماء، يمكن أن نستخلص منها ثلاثة اتجاهات رئيسة - لكل منها أدلته - هي:

**الأول:** يتعصب للعربية، ويرى أنها قادرة على الوفاء باحتياجاتنا في جميع الحقول على مر العصور، كيف لا؟ وهي وسعت كتاب الله لفظاً وغاية، ولديها من الخصائص ما يجعلها طيبة ومرنة للتعايش في كل زمان ومكان...

**الثاني:** على النقيض من الأول، فدعاة هذا الرأي يرون أن العربية لغة جميلة، ولكنها لا تفي باحتياجات العصر العلمية، وقصروا دورها على الأمور الدينية والاجتماعية، وما إلى ذلك...

**والرأي الثالث** يمثل الاعتدال - لا إفراط ولا تفريط - ويرى أن اللغة لو أتيحت لها الفرصة، وحسن التنظيم، والتخطيط لوفت بمتطلبات العصر (38).

ولهذه الاتجاهات الثلاثة امتداداتها في مناقشة قضية المصطلحات التراثية، فنجد اتجاهاً أول يؤكد توظيف هذا النوع من المصطلحات اعتماداً على مسوغات معينة، واتجاهاً ثانياً يُظهر العوائق التي تعترض استعمالها والمشكلات الناجمة عن ذلك، ومن ثم يدعو إلى البعد عنها، واستبدالها بغيرها، واتجاهاً ثالثاً يرى أن من المصطلحات التراثية ما يمكن إحياءه بشروط معينة، ومنه ما لا حاجة لنا إلى استدعائه لما لذلك من مخاطر.

وفي الحقيقة، ما يعني في هذه السطور ليس رصد هذه الاتجاهات والقائلين بها، بقدر عنايتي رصد مسوغات التوظيف، ثم عوائق الاستعمال - وهو ما سأدرسه في المطلب التالي - وما يمكن اعتباره قواعد سليمة، تعمل على استغلال إمكانيات التوظيف وتلافي عوائق الاستعمال.

أقول: عند البحث عن مسوغات توظيف المصطلحات التراثية نجد أنها متشعبة المنابع، فمنها ما هو متعلق بتوظيف التراث العربي بوجه عام، ومنها ما يتعلق بأهمية توظيف هذا النوع من المصطلحات، ومنها ما قد يخص مصطلحات مجالات بعينها:

أ - مسوغات توظيف التراث العربي بوجه عام، ينطلق البعض - في نظرته إلى هذا التراث - من وجهة إنسانية، ترى في «التراث العلمي العربي جزءاً من التاريخ الإنساني؛ لأنه جسر بين الحضارات القديمة: اليونانية، واللاتينية، والهندية، والفارسية، وبين الحضارة المعاصرة التي ظهرت معالمها في عصر النهضة الأوروبية، وهو بالتالي جزء من تاريخنا، جدير بنا أن نعتني به إخراجاً ودراسة وتأملًا»<sup>(39)</sup>. وتزداد قيمة هذه الحلقة من التاريخ الإنساني قيمة إذا أضيفت إليها حقيقة أن كتب المسلمين بقيت «المرجع الأساس للجامعات والمعاهد في البلاد الغربية إلى عهد قريب، من ذلك كتاب القانون لابن سينا، إذ اعتمد عليه في تدريس الطب بإيطاليا مثلاً إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي»<sup>(40)</sup>.

ولم يكن غريباً أن يعترف المنصفون من الغربيين بهذه الحقيقة في دراساتهم، ومن ذلك ما أورده يوهان فك من أن «المستشرق الألماني (سكاليجيه) قال لتلميذه (كيرستن): إن الطبيب الحقيقي لا يمكن أن يصير كذلك دون معرفة اللاتينية والعربية واليونانية أيضاً. وتلقى (كيرستن) من أساتذته وجهة النظر القائلة بأن الطبيب الذي يرغب

في أن يصير ممارساً جيداً يجب أن يكون في مهارة ابن سينا»<sup>(41)</sup>. وغيرها من الشهادات التي تظهر مدى تقدير الغرب للدور العلمي العربي الذي أدى إلى نهضتهم مرةً أخرى بعد العصور الوسطى التي عانوا فيها الجهل والتخلف.

ويضيف البعض إلى هذه المسوغات استمرارية اللغة العربية أربعة عشر قرناً استمرارية لا مثيل لها، فالعرب «لم يتعلموا العلوم العقلية بلغاتها الأجنبية الأصيلة، بل تعلموها مترجمةً، فبقوا في دائرتهم اللغوية في انسجام يتناولون العلوم جميعها عقلية ونقلية... إن استمرار اللغة العربية طوال أكثر من أربعة عشر قرناً أمرٌ لا مثيل له في التاريخ، وهذه الظاهرة هي أساس قوة الحضارة العربية هويةً، وفكرًا، وقيماً، ووجوداً على الساحة العالمية، وهذا هو سر قدرتنا على تصور التراث العلمي العربي شيئاً قريب المنال»<sup>(42)</sup>.

وفي ذلك يقول د. عبد الكريم خليفة: «وغني عن البيان أن اللغة العربية تتميز بهذه الصفة التي لا تكاد تشاركها فيها لغةٌ من اللغات، من حيث المواصلة والقدرة على التفاهم بين الحاضر والماضي، ولا شك أن هذه الثروة اللغوية الضخمة الممثلة بتراث أمتنا، ترفد لغة الحاضر في محاولتها لاستيعاب المعاني الحضارية والعلمية الجديدة، وتحديد مصطلحات لها»<sup>(43)</sup>.

بينما ينظر البعض إلى مسألة الاهتمام بالمصطلحات التراثية من منظور حضاري، ويجعل موجب هذا الاهتمام حضارياً في المقام الأول، فالتحدي «الحضاري الحالي للأمة، يهددها تهديداً حقيقياً بالفناء، وإن التصدي الحضاري المكافئ له لن يكون بغير إعادة بناء الذات، ولا سبيل إلى إعادة بناء الذات بغير الانطلاق من التراث، ولا سبيل إلى التراث بغير مفتاحه الذي هو المصطلحات»<sup>(44)</sup>.

كما أنَّ هناك نظرةً ذاتيةً لهذا التراث تجعله مدعاةً للفخر به، لتوافره على جوانبٍ كمية وكيفية مهمة، تتمثل في ضخامته، وقوته، وعمقه، وأهميته، وإمكان استثماره<sup>(45)</sup>.

ب - مسوغات توظيف المصطلحات التراثية نفسها: يحكم بعض العلماء على «أولوية التراث كوسيلة لتوليد المصطلحات الجديدة بتحري لفظ منه يؤدي معنى اللفظ الأجنبي أو يقاربه، بأنه أمرٌ منطقيٌّ وبديهيٌّ، بخاصة في لغة كالعربية غنيةً بتراثها الفكري والعلمي وتجاربها الحضارية، مما أتاح لها تراثاً وحصيلةً لغويةً قلما تأتت لغيرها من اللغات»<sup>(46)</sup>. فحركة الترجمة والتعريب في عصر المأمون - على سبيل المثال - أمدتنا بكثير من المصطلحات الصالحة للاستعمال، يقول د. صبحي الصالح: «..أما العلوم الدخيلة فقد اتسعت العربية - أيضاً - لترجمتها وتعريب مصطلحاتها، وبلغت حركة الترجمة في عصر المأمون أوجهاً، حين عربت ألفاظ الطب، والطبيعة، والكيمياء، والفلك، والرياضيات، والفلسفة، ولا يزال كثيرٌ من هذه الألفاظ صالحاً للتعبير عن هذه العلوم إلى يومنا هذا»<sup>(47)</sup>.

في حين يرى البعض أنَّ هناك فروقاً لا بد من مراعاتها والتنبه إليها عند القياس على النهضة الحضارية في صدر الإسلام وما تلاه من عصور، يقول د. عبد القادر المهيري عن عصور النهضة الإسلامية «..ثم أنهم وجدوا تراثاً كانت الأمم التي أنتجت في حالة ضعف سياسيٍّ وتقهر اجتماعيٍّ، فتوقف إنتاجها الفكري والثقافي وانطفأت منها شعلة الابتكار والخلق، فكان ما أقبلوا عليه رصيذاً محدداً المعالم لا تتسع آفاقه باستمرار.. زيادةً على كل ذلك فقد كانت اللغات الناقلة لهذا التراث قد ماتت أو في طور الاحتضار تنتظر أن تحل محلها اللغات المتولدة عنها، فلم تكن للعربية منافسة ولا قادرة على أن تقدم للعلماء العرب

بديلاً عن لغتهم يجدون فيها أداة طيعةً ملائمةً لمتطلبات الفكر العلمي كفيلةً بترويج إنتاجهم على أوسع نطاق، فنهض هؤلاء بلغتهم إلى أن أصبحت ينقل منها لا إليها وأصبحت لغة العلم بمختلف أفئاته. أما اليوم فالوضع منافي تماماً للأوضاع التي نشأت فيها الحضارة العربية الإسلامية وازدهرت وبلغت إلى أعلى القمم.. ويكفي أن نقول إنَّ الوطن العربي وجد نفسه كالأجنبي عن الحضارة الحديثة، لا يشارك في صنعها ولا يعتبر طرفاً من الأطراف المساهمة فيها»<sup>(48)</sup>.

لكن ممارسة علماء النهضة العربية في القرن التاسع عشر أثبتت أنهم تجاوزوا هذه العقبة، متسلحين في ذلك بوسائل متعددة أتى الاعتماد على المصطلحات التراثية في صدارتها، فقد «كانوا يرجعون في تحري المصطلحات العربية إلى كتبنا العلمية القديمة، ويستخرجون منها ما يرون استعماله من ألفاظ صحيحة، وقد استطاعوا الانتفاع بجملتها صالحة منها، في مختلف العلوم التي عالجوها بالترجمة أو بالتأليف»<sup>(49)</sup>. ومن ذلك يظهر أنه ليس كل القديم يصلح لنقله ومقابلة المصطلحات الجديدة به، وهذا ما لم يقل به أحد.

ونظرة إلى كيفية ترجمة رواد هذه النهضة مصطلحات مجال مهم كالطب - كان للعرب فيه إسهام وافر - تنبؤنا بما لهذا النوع من المصطلحات من إمكانيات لا يمكن تغافلها، بل كان تغافلها مادة خصبة للنقد وجّهت - على سبيل المثال - إلى علماء مجال آخر هو الرياضيات، فقد «استعان رواد النهضة الذين ترجموا الطب في عصر محمد علي باشا الكبير بالمصطلحات الطبية القديمة»<sup>(50)</sup> وأفلحوا في ذلك، أما الذين ترجموا الرياضيات فلم يعرفوا المصطلحات العربية فترجموا المصطلحات الأوروبية، على حين أنَّ في العربية مصطلحات قديمة كافية»<sup>(51)</sup>.

ويذكر البعض أنَّ من طرق هؤلاء الرواد في إيجاد نظير للمصطلح الطبي، أنهم حينما وجدوا أنفسهم في حاجة إلى إيجاد ألفاظ ومصطلحات لهذا المجال «سلكوا في سبيلها ما يأخذ به المشتغلون باستغراب الطب اليوم: أحيوا من مصطلح الطب العربي الإسلامي ما رأوه وافيًا بالغرض، واجتهدوا في وضع مقابل بالعربية لما جدَّ من مصطلحات، وأمَّا ما لم يهتدوا فيه إلى لفظٍ عربيٍّ مناسبٍ فلجؤوا فيه إلى التعريب»<sup>(52)</sup>.

ومن المسوغات المهمة -أيضًا- لتوظيف هذا النوع من المصطلحات أن علماء الغرب - الذي هو النموذج العالي لبعض الباحثين المشدوهين بحضارته وتقدمه - لم يستكفوا أن يعتمدوا عليه، فعلى سبيل المثال لم يتورع اللسانيون المحدثون في الغرب «من توظيف مصطلحات قديمة بعد أن أعادوا تعريفها، حسب ما يتلاءم والنظرية التي يشتغلون في إطارها. من أشهر هذه المصطلحات المنقولة من الدلالة على مفهوم قديم إلى الدلالة على مفهوم حديث (بل على مفاهيم حديثة متباينة) مصطلحات<sup>(53)</sup> (Phrase)، (Objet)، (Sujet).

بل إنَّ بعض المستشرقين حرصوا عند الكتابة في العربية وعلومها على التزود من التراث العربي القديم، ترسيخًا لفكرة أنَّ التراث العربي مليءٌ بما يمكن استثماره، والبناء عليه، واستغلال طاقاته، خصوصًا المصطلحيَّة في الدرس الحديث، ومن هذه المحاولات، ما قام به هنري فليش، يقول د. عبد الصبور شاهين عنه: «لم يشأ أن يلقي بتهمة التقصير جزافًا بحق القدماء، بل شرع ينقّب في ثقافتهم عن مقابل هذه المصطلحات، واقتضاه ذلك أن يبذل جهدًا جهيدًا في التعرف على مفاهيمهم، مستهدفًا أن يثبت للمحدثين أنَّ علماء العربية لم يغفلوا عن معالجة قضاياهم، بل واجهوها مواجهةً علميةً، ووضعوا لها ألقابها الصالحة للمفاهيم الحديثة أيضًا»<sup>(54)</sup>.

ولذلك فإذا «كان المستشرقون يبذلون هذه الجهود في سبيل لغة غير لغتهم، فمن الأجدر أن تتوجه جهود الباحثين إلى متابعة ما قدمه السلف من علمائنا، والالتكاء عليه في توفير ما يمكن أن يعيننا على حل هذا المشكل»<sup>(55)</sup>.

وبالفعل انتهج كثيرٌ من اللسانيين العرب المعاصرين هذا النهج «إذ استخدموا مصطلحات نحوية قديمة للدلالة على مفاهيمٍ حديثة كالفاعل والفاعل والمفعول والحال والجملة وغير ذلك. فمصطلح (الفاعل) مثلاً، نُقل من الدلالة على مفهومه النحوي القديم للدلالة على مفاهيم جديدة مختلفة الأطر النظرية التي تنتمي إليها الكتابات اللسانية العربية المعاصرة، كالفاعل في النحو التوليدي التحويلي، والفاعل في النحو العلاقي، والفاعل في النحو الوظيفي...»<sup>(56)</sup>.

وكذلك اعتمدت عليه كثيرٌ من الهيئات كأداة مهمة من أدوات مقابلة السيلِ المصطلحيِّ المستمر، فقد لجأت إليه اللجانُ المتعددة التي شكلها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في إخراج المعاجم المتخصصة، فعلى سبيل المثال ذكرت اللجنة التي أصدرت (المعجم الفلسفي) أن من ضمن مبادئهم في اختيار مصطلحات المعجم «قصد إحياء المصطلح العربي القديم ما أمكن، إلا إن طغى عليه استعمال حديث، أو أصبح لا يلائم المدلول الفلسفي المعاصر...»<sup>(57)</sup> كما أشارت اللجنة التي أخرجت (معجم المصطلحات الطبية) إلى ذلك، بقولهم: «وكان مرجع اللجنة المعاجم الطبية والكتب الحديثة، ودعمتها بما جاء في كتب الطب القديم حتى تعبر تعبيراً دقيقاً عن المعنى المطلوب»<sup>(58)</sup>.

ومن مسوغات استخدام المصطلح التراثي - أيضاً - أنه يمد الجسور بين الماضي المشرق للعلوم العربية وحاضرها، فالمصطلح اللغوي التراثي - كنموذج - يساعد «على مد الجسور بين الفكر اللغوي العربي القديم والفكر اللساني العربي الحديث على مستوى الكتابة على

الأقل. فهو قمينٌ، مع تضافر عوامل أخرى، بالتمكين من تلافي القطيعة التي نلاحظها بين التراث اللغوي ونتاج اللسانيين العرب المعاصرين، والتي تشكل مظهرًا من أبرز مظاهرها ما يقوم بين التأليفين من اختلاف مصطلحي»<sup>(59)</sup>.

فلا شك أن استعمال المصطلحات التراثية يسهم بشكل كبير في تحقيق قضية التوحيد المصطلحي، لأنه يحيل العلماء إلى مرجعية يرتضيها قطاع كبير من المتخصصين؛ لما للتراث العربي عند معظم العلماء العرب من مكانة عالية ومنزلة رفيعة<sup>(60)</sup>.

ويمكن الاسترشاد في ذلك بقضية المصطلح القانوني، فمن خلال اعتماد المصطلحات القانونية والفقهية القديمة يمكن الوصول إلى لغة قانونية ذات مصطلحات شبه موحدة في الدول العربية، وقد سبق لعدد من البلاد العربية أن «تأثرت مشرعوها بالتقنيات المصرية فيما أصدره من تقنيات جديدة استعانوا في وضعها ببعض الفقهاء المصريين، وبخاصة الأستاذ الدكتور عبد الرازق السنهوري...»<sup>(61)</sup> مما يعد بادرة جيدة لإرادة التوحيد في التشريعات وتبعا لها المصطلحات.

ومن المسوغات وجود مناسبة بين كثير من المصطلحات التراثية والمفاهيم الجديد التي يراد التعبير عنها بها، فأولى طرائق وضع المصطلحات العلمية - كما يراها البعض - تتمثل في «البحث في المصادر التي ذكرناها والمعاجم المتخصصة لتثبيت اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته، بشرط أن يكون اللفظ الذي استعمله القدماء يناسب المعنى الجديد»<sup>(62)</sup>.

وتتأتى هذه المناسبة من دقة الدلالة على المفهوم الجديد، فقد نصّ البعض على أن «الاستعانة ببعض المصطلحات التي وردت عند القدماء في اللغة والنحو والعلوم والرياضيات والفنون المختلفة لها

فأدتها في نقل المصطلحات الأجنبية إلى العربية، ولكن بشرط أن يكون المصطلح العربي القديم معبراً بدقة تامة عن المفهوم الذي يحمله المصطلح الأجنبي... وقد استعان المحدثون من المشتغلين بدراسات علم اللغة ببعض تلك المصطلحات حين نقل المصطلحات الأجنبية إلى العربية، والذي أباح ذلك مناسبة تلك المصطلحات للظواهر اللغوية التي تعبر عنها المصطلحات الأجنبية، واطرادها في التقابل معها»<sup>(63)</sup>.

وعند عدم توافر هذه الدقة أو تلك المناسبة فإن ذلك يشكل مبرراً للابتعاد عن هذه المصطلحات، على نحو ما أظهره المتخوفون من استعمال المصطلحات التراثية، لعل عدم دقة بعضها، على ما سيأتي بيانه.

على أن «بعض المصطلحات التي تضمها المعجمات المتخصصة خالفت لسبب أو لآخر ما عرفه التراث اللغوي العربي من مصطلحات. وأغلب الظن أن تجنب المصطلحات التراثية في كثير من الحالات لم يقيم على أساس علمي»<sup>(64)</sup>.

وإنما قد يكون تركه للغربة أو قلة الاستعمال، يقول د. محمد يوسف حسن عن إعداد مجمع اللغة العربية لمعجم الجيولوجيا واضحاً في اعتباره المصطلحات التراثية: «وَرُبَّ قَائِلٍ يَقُولُ: هَذَا نَبَشٌ عَنِ الْخَبَاءِ فِي أَحْدَاثِ الْأَفَافِ الْبَائِدَةِ، وَاسْتِحَاةٍ لِمَا ضَاعَ مِنْهَا فِي رِغَامِ الْمَعَاجِمِ الْقَدِيمَةِ. لَكِنَّ هَذَا الْقَوْلَ مُرَدُّدٌ فَمَا نَقْدِمُهُ هُنَا مِنْ أَلْفَاظٍ تَكَلَّمْتُ بِهَا الْعَرَبُ، وَهِيَ مَدُونَةٌ فِي مَعَاجِمِهِمُ الْآنَ، وَغَرَابَةُ الْكَلَامِ تَنْشَأُ مِنْ عَدَمِ اسْتِعْمَالِهَا، وَمَا زَالَتْ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ حَيَّةً - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - بَلْ لَهَا مَكَانَةٌ فِي الصَّدَارَةِ بَيْنَ اللُّغَاتِ الْعَالَمِيَّةِ»<sup>(65)</sup>.

وفي الحقيقة فإن واقع الصناعة المعجمية الحديثة لا يؤيد تلك المخاوف ولا هذا الاستغراب، فعلى سبيل المثال وضَّح صاحبُ (معجم

المصطلحات اللغوية ) أن خطة اعتماد المصطلحات في معجمه قامت على «تفضيل المصطلح العربي القديم على ما عداه شرط انطباقه على المفهوم المراد تعيينه. ولذلك فضلنا استخدام (الصائت المستعلي) في high vowel بدلاً من (العالي) أو (الضيق)، واستخدام (المطابقة) في agreement بدلاً من (التلازم) أو (التناسب) أو (التوافق)»<sup>(66)</sup>.

بل إنه استغنى عن مبدأ من مبادئ توحيد المصطلحات المترجمة في مقابل الإبقاء على مصطلح تراثي، حيث يقول: «من ذلك هذا أننا جعلنا (التبادلي) مقابلاً لـ reciprocal كما في المماثلة التبادلية reciprocal assimilation ..... غير أننا جعلنا (فعل المشاركة) مقابلاً لـ reciprocal verb لأنه مصطلح نحوي قديم يفضل عندنا (الفعل التبادلي)»<sup>(67)</sup>.

ولم يقف الأمر عنده إلى هذا الحد بل دعا إلى استلهاج روح المصطلح التراثي أو ما يمكن تسميته بالقياس على المصطلح التراثي، وذلك في قوله: «وربما استوحينا من المصطلحات القديمة روحها في مواضع بعينها، كما في (علم اللغة الأكبر) macrolinguistics و(علم اللغة الأصغر) microlinguistics على مثال (الاشتقاق الأكبر) و(الاشتقاق الأصغر) عند لغويينا القدماء»<sup>(68)</sup>.

ويرى البعض أنه مع الإقرار بوجود عوائق لإعادة استعمال المصطلح التراثي «لكن إعمال الرصيد اللغوي القديم يوفر على المصطلحي مشقات جمة قد تجلبها له لا محالة وسائل أخرى مثل: الاشتقاق، والتعريب، والنحت. فكونها مفردات عربية فصيحة يضمن توفرها على الكثير من الشروط المطلوبة في المصطلح عامة، وتشكل هذه الشروط معيار جودة المصطلح، إذ على قيد استيفائه لهذه الشروط نبشر له بطول التداول أو نندّر بسرعة زواله»<sup>(69)</sup>.

## المطلب الثاني:

### عوائق استعمال المصطلحات التراثية، وسبل التغلب عليها

لاشك أن عملية استحياء المصطلحات التراثية القديمة، واستثمارها في الدلالة على مفاهيم جديدة ليست بالأمر اليسير، لما يعترض هذه العملية من عوائق، نبّه عليها البعض، إمّا لتجنبها أو جعلها مبرراً لعدم اللجوء إلى هذا النوع من المصطلحات، والاتجاه إلى وسيلة أخرى لوضع مصطلحات جديدة، أو نقلها عن طريق التعريب، للدرجة التي دعت د. محمد كامل حسين أن يقول: «أما البحث في بطون الكتب القديمة فقد انتهى عهده، وفيه عيوب علمية كثيرة جداً؛ لأن مصطلحات القدماء تقوم على تصورات قُضِيَّ عليها من قديم. وإذا أردنا إحياءها من جديد كان الخلط واللبس، والطبيب المعاصر يستحيل عليه أن يتقمّص روح الطبيب القديم فيفهم علمه، ولو فهمه لفسد عليه تفكيره»<sup>(70)</sup>.

أو للدرجة التي يقول فيها د. أحمد المتوكل إن «.. عملية توظيف المصطلح التراثي هذه ليست بالعملية الميسورة على الإطلاق، وأنّ ما يمكن أن يُتوخى منها نظرياً من فوائد غالباً ما ينقلب، في خضم التطبيق الفعلي، إلى مخاطر يمكن أن تصبح باعثاً وجيهاً على تجنب استخدام المصطلح القديم في عملية الترجمة، تجنباً يكاد يكون كلياً»<sup>(71)</sup>.

ومن هذه العوائق ما يتعلق بالعلاقة بين الحمولة المفاهيمية القديمة والجديدة للمصطلح التراثي أو العلاقة بينهما، كعدم مراعاة دقة المصطلح القديم في الدلالة على مفهوم جديد مختلف عن مفهومه القديم، مما يؤدي إلى اللبس أحياناً، «ويجعل القارئ يتردد في فهم المصطلح بين الدلالة القديمة والدلالة الجديدة، وقد يؤدي هذا اللبس إلى سوء فهم، تتضح هذه المشكلة مثلاً - عندما نستخدم كلمة الإدغام تارة بالمعنى القديم، وهو إحداث تغير يؤدي إلى التضعيف،

وتارةً بالمحتوى الدلالي لمصطلح Assimilation ويعني إحداث تغيير يؤدي إلى تشابه أو إلى تماثل بين صوتين»<sup>(72)</sup>. ويرى البعض في هذه الحالة أن الصواب ترك «المصطلح التراثي للمعنى المعروف قديماً، ويوضع مقابل جديد (المماثلة)<sup>(73)</sup> لـ Assimilation» لما يمثله ذلك من عدم التفريق «بين الممارسة اللسانية القديمة والحديثة، وما تتطلبه من دقة وضبط في التصور والرؤية المنهجية على حد سواء. إننا لسنا ضد اختيار هذه المصطلحات، وإنما المطلوب هو وضوحها، وعدم التباسها باعتبار ذلك من مقومات العمل الاصطلاحي نفسه. إن المصطلح هو لغة العلم ولا علم بدون مصطلح دقيق وواضح ومتميز عن غيره»<sup>(74)</sup>.

ولعل الحديث عن عدم دقة بعض المصطلحات التراثية في التعبير عن المفاهيم الجديدة كان سبباً في بعض ما أخذ على مصطلحات د. إبراهيم أنيس التي ناظر بها بعض المصطلحات الصوتية الأجنبية، حينما قيل: إن «غموض المصطلحات التي استعملها في دراسته [الصوتية] - في نظرنا - لاعتماده على مصطلحات تراثية لا تتوافق مع المصطلح الأجنبي، مثل استعماله مصطلحات الساكن (consones)، المتحرك<sup>(75)</sup> (voweles)....».

وكذلك أخذ على صالح القرمادي في ترجمته كتاب (دروس في علم أصوات العربية) لجان كانتينو المبالغة في الإفادة من المصطلحات التراثية، على نحو يجعل القارئ يخلط بين مفهومين مختلفين، فكلمة (حرف) دالة في التراث على الرمز المكتوب والصوت المنطوق، فجعلها القرمادي ترجمة لكلمة (Consonne) في مقابل الحركة<sup>(76)</sup> (Voyelle).

ويبدو أن عدم وجود مصطلح عربي دقيق يؤدي معنى المصطلح الأجنبي دلالة كاملة يحسم الخلاف المستمر حول ترجمة المصطلحات

- وفي القلب من اختياراتها المصطلحات التراثية - وتعريبها، لصالح التعريب، وقد ورد في مقدمة (معجم الهيدرولوجيا) حديثٌ مهمٌّ عن ترجمة مصطلح (الهيدرولوجيا) أو تعريبه، يقول فيه الدكتور إبراهيم مدكور: «ولأزال أذكر حواراً دار بين المجمعين حول لفظ (الهيدرولوجيا) منذ ربع قرن أو يزيد، فكان من بينهم من يحبذ التعريب أسوة بما صنع القدامى حين عربوا الفيزيكا والميتافيزيكا. ورأى آخرون أن نبحت عن مقابل عربي ولم يوفقوا لذلك المقابل الذي يؤدي دلالة اللفظ الأجنبي أداءً كاملاً. وقدّر للفظ الهيدرولوجيا أن يعيش وأن تدور حول علم الهيدرولوجيا دراساتٌ في معاهدنا وكلياتنا، وأن يُعنى به المجمع عنايةً متصلةً انتهت به إلى إخراج معجم متخصص فيه»<sup>(77)</sup>.

ومتصلٌ بعدم الدقة - أيضاً - وسببٌ من أسبابه حديثُ البعض عن اتساع بعض المفاهيم الجديدة، مما لا يتناسب معه الحمولة المفهومية الضيقة لبعض المصطلحات التراثية، والتي قد يستدعيها ذهن القارئ عند استعمال المصطلح، لمعرفته تلك الدلالة القديمة معرفة جيدة وارتباطها بهذا المصطلح عنده.

ولذلك الكلام علاقةٌ بمسألة أخرى، هي صعوبة إفراغ المصطلح التراثي من مضمونه القديم قبل شحنه بمفهوم آخر جديد، وعملية الإفراغ هذه تعني «أنَّ المُستعمل للمصطلح أصبح قادراً على أن يفصل فصلاً تاماً بين الحمولة المفهومية القديمة لهذا المصطلح، وبين ما أصبح يرمز إليه في الاستعمال الجديد. ويبدو لي أنه من العسير جداً أن يحدث ذلك في العالم العربي؛ لما للفكر اللغوي العربي من حضور، سواءً على مستوى الكتابة اللسانية أم على مستوى التدريس الجامعي، فالمتلقي عندنا (قارئاً أو طالباً) يستحضر بصفة آلية المفاهيم القديمة لمصطلحات (الفاعل) و(المفعول) و(الجملة) حتى حين ترد

هذه المصطلحات في سياق نظرية لسانية حديثة، وينتج عن ذلك في ذهن المتلقي تضارب بين المفاهيم، تكون الغلبة فيها عامة للمفهوم القديم»<sup>(78)</sup>.

وبالتالي فإذا تساوى المفهومان - القديم والجديد - عد ذلك من الأمور المشجعة على إعادة استثمار المصطلح، واختياراً سهلاً بالنسبة للمترجمين الباحثين عن نظير للمصطلح الأجنبي، على نحو ما ورد في مقدمة (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث)، فقد ذكر مؤلفوه المعايير التي سار المعجم عليها في اعتماد المصطلحات وكان في صدارتها المصطلح التراثي، وذلك كالتالي: «إعطاء الأولوية للمصطلحات العربية المعروفة قديماً وحديثاً، مثلاً: البدل / عطف البيان appositive، الخبر (في النحو) comment، الظرف adverb.. صوغ مصطلحات جديدة عند الضرورة.. تعريب المصطلح الإنجليزي في غياب مقابل عربي دقيق ومناسب له مع شرح موجز لذلك المصطلح، مثال: الأكوستي acoustic (يتعلق بالصوت من حيث موجاته المنتشرة في الهواء)»<sup>(79)</sup>.

كذلك وَضَعَ بعضُ العلماء الدقةَ معياراً للجوئهم إلى المصطلح التراثي أو عدمه، يقول د. أحمد المتوكل: «لجأت إلى الاختيار الأول [الإبقاء على المصطلح القديم] في حالات كان فيها المصطلح القديم في المستوى المطلوب من الدقة والتحديد... واستخدمت في غير هذه الحالات مصطلحات حديثة للدلالة على المفاهيم القديمة المقترضة، خاصة حين بدا لي أنَّ المصطلح القديم لا يرقى إلى ما يتطلبه الضبط المصطلحي من دقة»<sup>(82)</sup>.

لكن في بعض الأحيان يكون الحرص على التراث والتمثل بما ورد فيه معياراً حاكماً، وبالتالي يكون سبباً في عدم الالتفات إلى دقة المصطلح التراثي، يقول د. عبدالسلام المسدي: «وكثيراً ما يتجاذب الميراث

الاصطلاحي ذوي النظر، فينزعون صوب إحياء اللفظ واستخدامه في غير معناه الدقيق، فإذا بالمدلول اللساني يتوارى حيناً خلف المفهوم النحوي، ويتسلل أحياناً أخرى وعليه مسحة من الضباب تعتم صورته الاصطلاحية فتتلبس القضايا ويعسر حسم الجدل بين المختصين: أعلى هوية اللفظ يتحاورون أم على مضمون الدلالة؟ ولكن هذا الجدل في المصطلحات قلما يخلص كلياً لخدمة العلم ونصرة المعرفة، إذ تحرّكه بواعث السبق والريادة وحب الوضع، فتأتي المحاوراة على مقدارٍ وفير من الحماس والخطابة، وترى واضع المصطلح عندئذٍ يتبناه في تفاعلٍ وأنفعالٍ يحولان قطعاً دون مهجة التوحيد...»<sup>(81)</sup>.

وقد تتأتى عدم هذه الدقة من خلال اختلاف مرجعيات المفهومين: (القديم والجديد)، فمما ورد من عوائق استعمال المصطلحات التراثية ما يعود إلى اختلاف مرجعيتها وعلومها التي تنتمي إليها، فالمصطلح لا يدور في الفراغ، وإنما يسير في فلك علم يحدد دلالاته، ومرجعية تنظم وجوده، وقد يكون اختلاف مرجعية المفاهيم القديمة والجديدة مما يحول دون إمكانية استحياء هذه المصطلحات التراثية.

فالمصطلح التراثي «المشدود إلى مرجعية خاصة تختلف تماماً عن مرجعية المعطيات الحضارية الحديثة، قد يفقد هذه المعطيات حداثتها ويفرغها من مضامينها الجديدة ليشدها إلى مضامين مغايرة تماماً. وهذا ما نلمسه بوضوح في خطاب الطهطاوي الذي ترجم المفاهيم الليبرالية التي كانت سائدة في فرنسا القرن التاسع عشر - التي سافر إليها في بعثة دراسية - ترجمة تخرج بها عن حقلها الأيديولوجي الليبرالي وتفرض عليها سلطة المرجعية التراثية الإسلامية. وهكذا نجد فهم (الحرية liberte) على أنها (رخصة) وهي مفهوم فقهي كـرخصة الإفطار في رمضان بالنسبة للمسافر أو المريض مثلاً»<sup>(81)</sup>.

فإذا تجاوزنا الحديث عن المرجعية فإنَّ من العوائق ما يتعلق بالعلوم نفسها التي نرنوإلى استحياء مصطلحاتها أو إعادة استعمالها، فالعلم نفسه قد نجد بوناً شاسعاً بين مبادئه وقضاياه ومعالجاته في القديم والحديث، وقد نبه إلى ذلك الأمير الشهابي، فبعد أن تحدّث عن اتساع العلوم الحديثة، وذكر الكثير من الأمثلة، قال: «... من الواضح أنَّ ما أرمي إليه في هذه الكلمات الموجزة عن اتساع العلوم الحديثة، هو أنَّ التعبير عن هذه العلوم قد حمّل علماء الغرب عبء إيجاد آلاف مؤلّفة من المصطلحات الجديدة، ضمّوها إلى لغاهم أو إلى اللغة العلمية، على حين أنَّ لغتنا هي خلوّ منها، أو من معظمها»<sup>(83)</sup>.

وكذلك قال: إنَّ «العلوم في عصرنا الحاضر قد اتسعت كثيراً، والمصطلحات التي لم ترد في تلك المعاجم أو في تلك الكتب هي آلاف مؤلّفة»<sup>(84)</sup>.

وفي ذلك يقول أحمد شفيق الخطيب: «ما من شك أن إمكانات التراث تظل محدودة على سعتها وأهميتها، لأسباب منها - أيضاً - أن علوم العصر التي تجابهنا بالآلاف المؤلفة، بل بالملايين من المفاهيم والمصطلحات اللازمة لها، هي مفاهيم علمية جديدة يكاد عمر معظمها لا يعود لأكثر من مئة عام»<sup>(85)</sup>.

وهذا يؤكد أنَّ الرصيد التراثي لا يسد العجز المصطلحي، وإنما يساعد في ذلك فقط بمادة قد تكون هي الأصلح ضمن منظومة وسائل نقل المصطلحات الجديدة أو صياغتها.

وكذلك من تلك العوائق ما هو متعلّق بمسألة الاستعمال قلة وكثرة، أو بعبارة أخرى شيوع المصطلح الأجنبي قبل البحث عن بديل له في التراث العربي، وفي المقابل عدم شيوع المصطلح التراثي بعد استحيائه، ولذلك جعل بعض العلماء الشيوع معياراً مهماً للاستعمال،

وأنَّ «العبرة في الاستخدام في شيوع المصطلحات وسيورتها، فبعد أن استخدم الناس ( التلفون ) في كلامهم، جاءت المقترحات: ( المحاور، المقول، الهاتف ) وسرت بعد ذلك كلمة (الهاتف)، ولكن ليس ثمة مسوغ لاستخدام التلفون بعد ذلك ما دام البديل العربي موجوداً، واللغة العلمية لا تحيا إلا بالتداول والاستعمال....»<sup>(86)</sup>.

ولذلك فإنَّ د. منير البعلبكي بعد أن بيَّن أنَّه اعتمد على المصطلحات القديمة - في إعداد (معجم المصطلحات اللغوية) - أو استلهم روحها في مقابلة بعض المصطلحات الجديدة، قال: «... إلا أنَّ من العيب أن نحاول فرض المصطلحات العربية التي لا تتناسب والمفاهيم المراد تعيينها (فبعضهم قد استخدم التورية مقابلاً لـ euphemism مثلاً)، أو فرضها في المواضع التي شاع فيها استخدام المصطلح الأجنبي. مثال ذلك المصطلحات المنتهية بـ -eme، فقد أبقينا معظمها على أصله مستأنسين بشيوع استعماله<sup>(87)</sup>، نحو (الفونيم) phoneme، والمورفيم morpheme، والكرونيم chroneme...».

ولعل من الأوفق أن نقول إنَّ المصطلح الأجنبي الشائع، المعبر، الذي لا يصطدم مع الذوق اللغوي السليم، لا مشكلة في استعماله وإقراره، إنَّ كان المصطلح التراثي لن يشيع شيوع نظيره المعرب، مما قد يخلِّف لنا مشكلة أخرى - إضافة إلى عدم التقيد باستعماله - تتمثل في كثرة المصطلحات المترادفة للمفهوم الواحد.

وقد يُنظر إلى عوائق استعمال المصطلحات التراثية من جانب كميٍّ، يتمثل في قلة هذا النوع من المصطلحات، وقد اتكأ بعضُ العلماء على هذا العائق في معارضتهم تأصيل المصطلحات بالعودة إلى التراث، ويأتي في طليعتهم «الدكتور محمد كامل حسين الذي يرى أن ثمة ضخامة في عدد المصطلحات التي نحتاجها في هذا العصر، وأن لا فائدة من المصطلحات المعروفة لدى العلماء القدماء لقلتها من

جهة، ولأن المصطلحات القديمة مفردة لا تتبع نظاماً خاصاً، كما أن اختلاف المناهج ومذاهب التفكير العلمية تجعل التطابق بين مدلولات المصطلحات القديمة والحديثة محالاً. ولقيت دعوة الدكتور محمد كامل حسين صدق لدى كثيرين حتى إن الدكتور إبراهيم مذكور رأى أن قضية تأصيل المصطلح بالعودة إلى التراث أخذت تتراجع لديه، ودعا المجمع إلى جمع المصطلحات القديمة، وإن كان يرى أنها أصبحت لا تفي بالحاجة، ولا يتردد في أن يعرب كما عرب قديماً<sup>(88)</sup>.

### تعقيب ورأي:

بعد هذا السرد لبعض عوائق استعمال المصطلحات التراثية كما رآها البعض، أرى أن بعضها تم تعميمه، مع أن ما ذُكر هو عبارة عن حالات محددة، كما يمكن الرد على كثير من هذه العوائق وردها، وذلك في هذه النقاط التالية:

أولاً - أرى أن بعض هذه العوائق كعدم مراعاة دقة المصطلح القديم في الدلالة على المفهوم الجديد، أو اختلاف مرجعيات المفهومين القديم والحديث، يعود بشكل كبير إلى متخير تلك المصطلحات التراثية ليس إليها نفسها، بمعنى أن ذلك قد يكون عائداً إلى عدم الدقة في الاختيار من بين المصطلحات التراثية ما يعبر عن المفهوم الجديد.

ثانياً - فيما يتعلق بالحديث عن عدم دقة بعض المصطلحات التراثية - أيضاً - في الدلالة على المفاهيم الحديثة. يمكن الرد بأن كثيراً من المصطلحات الحديثة في مجالات متعددة، تعاني هي الأخرى من عدم الدقة والغموض وعدم التوحيد، وغيرها من العوائق التي ذكرها البعض فيما يخص المصطلحات التراثية وإمكانات استثمارها، فإذا كان هذا حال كثير من المصطلحات الجديدة، فذلك أحقر ألا

نضع تلك العوائق أمام وسيلة من وسائل مد الجسور بين التراث العربي قديمه وحديثه بالمعايير والأليات التي نصَّ عليها كثيرٌ ممن دعوا إلى استثمار هذا النوع من المصطلحات.

ثالثاً - أرى أن تلك العوائق المذكورة وإن كنتُ مقتنعاً ببعضها في حدود النماذج والأمثلة التي ذكرها العلماء تطبيقاً على كلامهم - كاختيار المصطلحات الصوتية عند د. إبراهيم أنيس - تبقى محددة بحالات معينة لا يمكن تعميمها على المصطلح التراثي بوجه عام، فالواقع العملي أثبت رجوع كثير من علماء النهضة العربية الحديثة في القرن التاسع عشر إلى هذا النوع من المصطلحات، مما أثبت جدوى الاعتماد عليها، حتى وإن كانت هناك بعض السلبات التي اعترت عملهم.

رابعاً - بالنسبة للحديث عن أن من العوائق ما يتعلق بالعلوم نفسها، من حيث اتساع العلوم الحديثة، في مقابل محدودية الإفادة من التراث في بعض العلوم، يمكن الرد بأن: مَنْ قال إنَّ الاعتماد على المصطلحات التراثية سيكون في العلوم كلها على قدر واحد من الأهمية، وبالتالي فإنَّ وجود هذا النوع من العلوم - مما أشاروا إليه - لا ينفي أنَّ هناك علوماً أخرى يمكن الاعتماد على مصطلحاتها التراثية بشكل كبير؟ كما أنَّه لم يقل أحدٌ بضرورة الاعتماد على المصطلحات التراثية فقط دون النظر إلى الوسائل الأخرى لتكوين المصطلحات العلمية كالاشتقاق والتركيب... إلخ.

خامساً - من الواضح أنَّ القولَ بقلة المصطلحات التراثية التي يمكن استحيائها في مقابل العدد الكبير من المصطلحات الحديثة الوافدة، سببه عدم تكشف حدود التراث العربي ووضوحه وضوحاً كاملاً، فأقل القليل منه ما هو محققٌ ومكشَّفٌ ومعدٌّ لرصد مصطلحاته ووضعها في منظومات مفاهيمية، وحقول دلالية تسهل على الباحثين

الرجوع إليها، استذكّاراً أو استثماراً، مما يمكن التغلب عليه بالعمل على تحقيق الكثير من المخطوطات العربية في شتى المجالات، والكشف عنها وإعدادها الإعداد الجديد الذي يضع بين أيدينا رصيذاً يكون زاداً في عملية الاستحياء المرجوة.

سادساً - على الرغم من العوائق التي ذكرها العلماء أمام استعمال المصطلحات التراثية، فأراني مائلاً إلى الرأي القائل بأنه يجب «أن ينطلق موقفنا من اعتبارات موضوعية فيصبح المصطلح التراثي مهماً لكونه يتسبب في خلق بلبلة أو لأنه غير شائع أو لأن المعنى الذي يحمله لم يعد يتناسب والعصر. وقد يصبح المصطلح التراثي مستعملاً لكونه قادراً على تأدية مهمة مصطلح دخيل دون أن يخلق بلبلة ودون أن يكون غريباً» (89).

سابعاً - أرى - أيضاً - أنه يمكن أن نعتمد في استعمال المصطلح التراثي على طريقتين:

الأولى: أن نستخدم المصطلح التراثي كما هو دون تعديل، لكونه دقيقاً في التعبير عن المفهوم الجديد، ويؤمن اللبس بين مفهوميه: القديم والجديد.

الثانية: إدخال بعض التعديلات أو الإجراءات المكملّة والمعينة على أداء وظيفته الاصطلاحية، ومن ذلك الاعتماد على «التعديل للإعمال، وهذا التعديل هو ما يسمى إفراغ المصطلح من مفهومه القديم، وملؤه بمفهوم جديد، هو المطلوب حالاً» (90).

وكذلك يُستعان على ذلك بوضع تعريف جديد، يقوم بدور المحدّد للمفهوم الجديد الذي تحمّله المصطلح، كما يوضح فيه المجال الذي ينتمي إليه، والمرجعية التي تُتَّظَم وجوده، ويكون هذا التعريف، في الوقت نفسه، بمثابة حسمٍ للخلاف بين اختلاف المفهومين القديم

والجديد للمصطلح الواحد، «فإذا أردت أن تحسم خلافاً بين الناس، وتحقق التفاهم بين أصحاب المذاهب المتشابهة، فابدأ أولاً بتحديد هذه المعاني تحديداً علمياً واضحاً. إن هذا التحديد يقرب الآراء بعضها من بعض، ويوفر على الناس كثيراً من الجهد والوقت»<sup>(91)</sup>.

وقد جرت العادة «أن الباحثين يستخدمون المصطلحات مشفوعة بالشروح والتعليقات، التي تحدد المقصود إن كان ثمة اختلاف عما استقر عليه في الاستعمال»<sup>(92)</sup>.

لعل هذه الطرق - وغيرها من الإجراءات التي لابد أن يتعامل بها مع المصطلحات القديمة عند إرادة استحيائها - تكون سبيلاً صالحاً لاغتنام ما في تراثنا العربي من كنوز مصطلحية مطمورة، ودرّباً من دروب ملاحقة الثورة المصطلحية التي وُجّهت بها أمتنا في العصر الحديث، وما زالت تتعاضم بتعاضم التقدم التكنولوجي والعلمي المشهود في وقتنا الحاضر.

### الخاتمة:

سعى البحث إلى الوقوف أمام الفرص المتاحة لاستثمار المصطلحات التراثية وعوائق استعمالها، وكيفية التغلب على تلك العوائق، وتوصل إلى النتائج التالية:

1 - هناك شبه إجماع على تفضيل المصطلحات العربية المأخوذة من التراث على غيرها، المعتمد في صياغتها ووضعها على أسس أخرى - كالاشتقاق والنحت والتركيب - ما دامت قادرة على الدلالة على المفهوم الجديد للمصطلح أو قريبة منه.

2 - إن استقاء المصطلحات التراثية من مصادرها لا يتم بطريقة واحدة، ولا يتوقع أن يكون بنسبة واحدة؛ نظراً لاختلاف المجالات المعرفية التي تتضمنها، ويمكن تقسيم المجالات العلمية إلى

ثلاثة أنواع: أولاً- مجالات للعرب فيها إسهام كبير. ثانياً- مجالات للعرب فيها إسهام. ثالثاً- مجالات لا إسهام كبيراً للعرب فيها. ومن ثم تزداد نسبة هذا الاستثمار كلما كان هناك إسهام للعرب في المجال.

3 - تتنوع المصادر التي يمكن استقاء المادة المصطلحية منها إلى: مصادر عامة، وخاصة، علاوة على ما يمكن استخراجه من المعاجم اللغوية القديمة وكتب اللغة، وكذلك ألفاظ اللهجة العامية بشروط وقيود معينة.

4 - رَصَدَ البَحْثُ ثلاثة اتجاهات فيما يخص استعمال المصطلحات التراثية: اتجاه يؤيد توظيف هذا النوع من المصطلحات، اعتماداً على مسوغات معينة، واتجاه ثانٍ يُظهر العوائق التي تعترض استعمالها والمشكلات الناجمة عن ذلك، ومن ثم يدعو إلى البعد عنها، واستبدالها بغيرها، واتجاه ثالث يرى أنَّ من المصطلحات التراثية ما يمكن إحيائه بشروط معينة، ومنه ما لا حاجة لنا إلى استدعائه لما لذلك الاستدعاء من مخاطر.

5 - من مسوغات توظيف المصطلحات التراثية ما يخص التراث العربي بوجه عام، ومن هذا النوع: كون التراث العلمي العربي جزءاً من التاريخ الإنساني، استمرارية اللغة العربية أربعة عشر قرناً استمرارية لا مثيل لها، وتوافر هذا التراث على جوانب كمية وكيفية مهمة، تتمثل في ضخامته، وقوته، وعمقه، وأهميته، وإمكان استثماره.

6 - ومن مسوغات التوظيف ما يخص المصطلحات التراثية نفسها، ومن هذا النوع:

- اتساع العربية لترجمة المصطلحات الوافدة في عصر النهضة الإسلامية وتعريبها، وكذلك استعانة رواد النهضة العربية الحديثة بهذا النوع من المصطلحات.

- عدم استنكاف الغرب خصوصاً اللسانيين أن يعتمدوا على مصطلحاتهم التراثية.
- حرص بعض المستشرقين عند الكتابة في العربية على التزود من التراث العربي القديم، ترسيخاً لفكرة أن التراث العربي مليء بما يمكن استثماره والبناء عليه واستغلال طاقاته.
- ومن المسوغات - أيضاً - أن المصطلح التراثي يمد الجسور بين الماضي المشرق للعلوم العربية وحاضرها.
- أن استعمال المصطلحات التراثية يسهم بشكل كبير في تحقيق قضية التوحيد المصطلحي.
- وكذلك وجود مناسبة بين كثير من المصطلحات التراثية والمفاهيم الجديدة التي يراد التعبير عنها بها.
- 7 - ليست عملية استحياء المصطلحات التراثية القديمة، واستثمارها في الدلالة على مفاهيم جديدة بالأمر اليسير، لما يفترض هذه العملية من عوائق، نبّه عليها البعض.
- 8 - من هذه العوائق ما يتعلق بالعلاقة بين الحمولة المفاهيمية القديمة أو الجديدة للمصطلح التراثي أو العلاقة بينهما، ومن هذا النوع:
  - عدم مراعاة دقة المصطلح القديم في الدلالة على مفهوم جديد مختلف عن مفهومه القديم، مما يؤدي إلى اللبس أحياناً.
  - صعوبة إفراغ المصطلح التراثي من مضمونه القديم قبل شحنه بمفهوم آخر جديد، وقد تتأتى عدم هذه الدقة من خلال اختلاف مرجعيّات المفهومين (القديم والجديد).
- 9 - ومن عوائق استعمال المصطلحات التراثية ما يعود إلى اختلاف مرجعيتها وعلومها التي تنتمي إليها.
- 10 - وكذلك من تلك العوائق ما هو متعلق بمسألة الاستعمال قلة وكثرة، أو بعبارة أخرى شيوع المصطلح الأجنبي قبل البحث عن بديل له

في التراث العربي، وفي المقابل عدم شيوع المصطلح التراثي بعد استحيائه، ولذلك جعل بعض العلماء الشيوع معياراً مهماً للاستعمال.

11 - وقد يُنظر إلى عوائق استعمال المصطلحات التراثية من جانب كمي، يتمثل في قلة هذا النوع من المصطلحات، ويرى البحث إن القول بقلة هذه المصطلحات سببه عدم تكشف حدود التراث العربي ووضوحه وضوحاً كاملاً، فأقل القليل منه ما هو محققٌ ومكشوفٌ ومعد لرصد مصطلحاته.

12 - كثير من المصطلحات الجديدة في مجالات متعددة، تعاني هي الأخرى من عدم الدقة والغموض وعدم التوحيد وغيرها من العوائق أمام المصطلحات التراثية التي يتخوف منها الكثيرون ممن يقللون من فرص استثمارها.

13 - يمكن أن نعتمد في استعمال المصطلح التراث على طريقتين: الأولى: أن نستخدم المصطلح التراثي كما هو دون تعديل، لكونه دقيقاً في التعبير عن المفهوم الجديد، ويؤمن اللبس بين مفهوميه: (القديم والجديد).

والثانية: إدخال بعض التعديلات أو الإجراءات المكملة والمعينة على أداء وظيفته الاصطلاحية، ومن ذلك: إفراغ المصطلح من مفهومه القديم، وملؤه بمفهوم جديد، وكذلك إعادة تعريفه بحسب الوضع الجديد.

14 - يؤكد البحث أن الرصيد التراثي وحده لا يسد العجز المصطلحي، وإنما يساعد في ذلك فقط بمادة قد تكون هي الأصلح ضمن منظومة وسائل نقل المصطلحات الجديدة أو صياغتها.

## الهوامش

- (1) التعامل مع المصطلح التراثي بين المنهجية والاعتباط (63) د. عبدالسلام ميس، بحث منشور بمجلة المناظرة، العدد السادس، لسنة 1993م.
- (2) محاضرة توظيف المصطلح التراثي وشروطه ( دقيقة 2:33 وما بعدها، من المحاضرة المصورة ) د. عز الدين البوشيخي، ضمن الدورة التأهيلية الثانية في (المدخل إلى الدراسات المصطلحية ) بعنوان: مفاتيح العلوم، عام 2011م. وهذا رابط المحاضرة: [HYPERLINK "https://www.youtube.com/watch?v=TQxmWXOsWq4"](https://www.youtube.com/watch?v=TQxmWXOsWq4)  
.<https://www.youtube.com/watch?v=TQxmWXOsWq4>
- (3) حفريات في المصطلح- مقاربات أولية، (10) د. محمد عابد الجابري، بحث منشور بمجلة المناظرة، السنة الرابعة، العدد (6)، 1414هـ/1993م. وينظر: تعريب علوم الطب (650)، د. حسني سبح، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد (60)، الجزء (4)، أكتوبر 1985م.
- (4) الأسس اللغوية لعلم المصطلح (28)، د. محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب، دون بيان لطبعة أو تاريخها.
- (5) ينظر: الأسس اللغوية لعلم المصطلح (251)، ومن قضايا اللغة العربية- العربية ومشاكلها في مجال المصطلحات العلمية (مناقشة حال هذه المصطلحات بين التعريب والوضع) د. أحمد شفيق الخطيب، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 87 القسم الأول (ص 219)، 1421هـ/2000م.
- (6) لماذا أهمل المصطلح التراثي؟ (37) د. علي القاسمي، بحث منشور بمجلة المناظرة، السنة الرابعة، العدد السادس، 1414هـ/1993م.
- (7) منهجية بناء المصطلحات وتطبيقاتها (509)، د. أحمد شفيق الخطيب، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 75 الجزء 3، سنة 1421هـ/2000م.
- (8) يقول د. أحمد شفيق الخطيب: «هناك شبه إجماع على تفضيل المصطلحات العربية المتحررة من التراث التي تؤدي مدلول اللفظ الأجنبي أو تقاربه، مثل: أبهر مقابل Aorta.. وكثافة مقابل Density» من قضايا اللغة العربية ص (212).
- (9) مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاما (232) محمد شوقي أمين- إبراهيم الترزي، مجمع اللغة العربية، 1984م.
- (10) ينظر السابق على الترتيب: (232، 233، 235).

- (11) ينظر: الأسس اللغوية لعلم المصطلح (251)، ومن قضايا اللغة العربية- العربية ومشاكلها في مجال المصطلحات العلمية، ص (219).
- (12) محاضرة توظيف المصطلح التراثي وشروطه (دقيقة 14:00 وما بعدها، من المحاضرة المصورة).
- (13) حفريات في المصطلح- مقاربات أولية (23).
- (14) علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية (25) د. ممدوح محمد خسارة، دار الفكر، دمشق، ط أولى، 1429هـ/2008م.
- (15) منهجية بناء المصطلحات (510، 511).
- (16) من خلال بحث المصطلح الطبي من خلال القانون لابن سينا (ت 428هـ) مصطلحات الكحالة (طب العيون) نموذجاً، مجلة اللسان العربي، العدد 43، سنة 1997م.
- (17) أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة (270 وما بعدها).
- (18) المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية (36).
- (19) السابق (223).
- (20) منهجية بناء المصطلحات (512).
- (21) مجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً (11).
- (22) لغة العلم، د. إبراهيم مدكور، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العربي، المجلد الأربعون، الجزء الأول، سنة 1965م، ص (21).
- (23) ينظر: أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة (282).
- (24) مقدمة معجم العلوم الطبية والطبيعية (8) د. محمد شرف، ط ثانية.
- (25) معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية (905)، إعداد أحمد شفيق الخطيب، ط 2 مكتبة لبنان - بيروت، 1982م.
- (26) ينظر: العربية لغة العلوم والتقنية (413 وما بعدها) د. عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام- القاهرة، ط ثانية 1406هـ/1986م.
- (27) الاصطلاح الطبي من التراث الى المعاصرة ص (135).
- (28) السابق (125 وما بعدها).
- (29) إحياء التراث العربي في تعابير علم الإحياء، مجلة اللسان العربي عدد 14 (ج 1)، ص (168).

- (30) دراسات مصطلحية (65، 66) د. الشاهد البوشيخي، ط. دار السلام، ثانية، 1433هـ/2012م.
- (31) الأسس اللغوية (28).
- (32) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط - الفقه وأصوله (صفحة ب) المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) - عمان، 1420هـ/1999م.
- (33) دراسات مصطلحية (66، 67).
- (34) الموسوعة الفقهية (6) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط ثانية 1404هـ/1983م.
- (35) السابق (65). وبينوا في المقدمة المراد بالأنواع الثلاثة ف (المصطلحات الأصلية) تلك التي يستوفي بيانها بالتفصيل بمجرد أن تذكر، وذلك لكون اللفظ هو المظنة الوحيدة - أو الغالبة - لاستخراج بيانات الموضوع حيث لا يندرج تحت غيره كجزء تابع لا يحسن إفراده عنه. ويقصد ب (مصطلحات الإحالة)، تلك التي أجمل بيانها في صورة (عجالات) تتضمن: التعريف بالمصطلح لغة وشرعا وتمييزه عن الألفاظ ذات الصلة به، ثم بيان الحكم الإجمالي له، وقد يتضمن الإشارة إلى القاعدة العامة التي يتبعها دون التوسع في الأدلة أو المراجع، وأخيرا الإرشاد إلى مواطن البحث التفصيلي له. بينما يقصد ب (مصطلحات الدلالة) تلك التي جيء بها لمجرد الإرشاد إلى الموطن الذي اختير لبحث الموضوع، فهي بدائل عن أحد الألفاظ الأصلية أو المحالة، من قبيل المرادفات.
- (36) معاجم المصطلحات الفقهية المعاصرة في العربية، (20) بتصرف يسير.
- (37) ينظر: دراسات مصطلحية (69).
- (38) ينظر: تعريب العلوم ووضع المصطلحات، د. خضر بن عليان القرشي، بحث منشور بمجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، العدد (22)، ص (141، 142).
- (39) التراث العلمي العربي الإسلامي كيف نفهمه ونستفيد منه؟ الطب نموذجاً (111) بتصرف يسير) د. أحمد رمزي، بحث منشور بمجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، العدد 43، 1997م.
- (40) الاصطلاح الطبي من التراث إلى المعاصرة، ص (151).
- (41) الدراسات العربية في أوروبا حتى مطلع القرن العشرين (144) يوهان فك، ترجمة: د. سعيد بحيري، د. محسن الدمرداش، ط زهراء الشرق، أولى، 2006م.

- (42) التراث العلمي العربي والإسلامي كيف نفهمه ونستفيد منه؟ الطب نموذجاً. ص(111).
- (43) اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث (245، 246)، د. عبد الكريم خليفة، دار الفرقان، ط خامسة، 1997م.
- (44) دراسات مصطلحية (18).
- (45) محاضرة توظيف المصطلح التراثي وشروطه (دقيقة 14:00 وما بعدها، من المحاضرة المصورة).
- (46) منهجية بناء المصطلحات (508، 509) بتصرف يسير.
- (47) دراسات في فقه اللغة (230)، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين- بيروت، ط السادسة عشرة، 2004م.
- (48) نظرات في التراث اللغوي العربي (148 بتصرف يسير) د. عبد القادر المهيري، دار الغرب الإسلامي، ط أولى 1993م.
- (49) المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث (45)، الأمير مصطفى الشهابي، دار صادر- بيروت، ثالثة 1416هـ/1995م.
- (50) ومن ذلك «الاستعانة بالقاموس المحيط في ترجمة (قاموس القواميس الطبية) لفابر، في كلية الطب في القاهرة التي بدأت تدريس الطب بالعربية عام 1826م، وحمل هذا القاموس اسم (الشدور الذهبية في الألفاظ الطبية)» منهجية بناء المصطلحات ص (500).
- (51) طرق نقل مصطلحات علم اللغة إلى العربية (144) د. محمود سليمان ياقوت، بحث منشور بكتاب المؤتمر الدولي الرابع لقسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، بعنوان: (علم اللغة التطبيقي وقضايا العربية المعاصرة) 2012م، بكلية دار العلوم جامعة القاهرة. وينظر: محاضر جلسات المجمع العدد (4)، ص (242).
- (52) تعريب علوم الطب (650).
- (53) استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة- اللسانيات الوظيفية نموذجاً (51) د. أحمد المتوكل، بحث منشور بمجلة المناظرة، السنة الرابعة، العدد 6، 1414هـ/1993م.
- (54) مقدمة مترجم العربية الفصحى- دراسة في البناء اللغوي (18) هنري فليش، تعريب وتحقيق وتقديم د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، 1997م.
- (55) من قضايا المصطلح اللغوي العربي (131/1)، مصطفى طاهر الحيادة، عالم الكتب الحديث، 2003م.
- (56) السابق (52).
- (57) مقدمة المعجم الفلسفي (د)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1403هـ/1983م.

(58) مقدمة معجم المصطلحات الطبية (3/ ب)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1419هـ/1999م.

(59) السابق (52).

(60) ينظر: السابق (52)، والمصطلحات الصوتية والنحوية عند البصريين في القرنين الثاني والثالث الهجريين (55) زهيرة قروي، رسالة دكتوراة بكلية الآداب واللغات بجامعة منتوري- قسنطينة 2007/200م.

(61) لغة القانون في مصر (115) د. عز الدين عبد الله، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 53، سنة 1404هـ/1984م.

(62) المصطلح العلمي العربي قديما وحديثا، د. مناف مهدي محمد، مجلة اللسان العربي، العدد (30)، سنة 1988م، ص (151).

(63) طرق نقل مصطلحات علم اللغة إلى العربية (144، 145).

(64) الأسس اللغوية (224).

(65) ثراء اللغة العربية بأصول المصطلحات الجيولوجية، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 33، سنة 1974م ص (98).

(66) معجم المصطلحات اللغوية (13)، د. منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط أولى، 1990م.

(67) السابق (11).

(68) معجم المصطلحات اللغوية (13).

(69) قراءة تحليلية في بعض مصطلحات علم الأحياء، حفيظة المسعودي، مجلة اللسان العربي، العدد (50) سنة 2000م، ص (151، 152).

(70) اللغة والعلوم، بحث منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد (12) ص (27، 28).

(71) استثمار المصطلح التراثي (52).

(72) الأسس اللغوية (228).

(73) علم اللغة التطبيقي وطرق الترجمة في نقل المصطلحات اللسانية (161) د. نادية رمضان النجار، بحث منشور بكتاب المؤتمر الدولي الرابع لقسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، بعنوان: (علم اللغة التطبيقي وقضايا العربية المعاصرة) 2012م، بكلية دار العلوم جامعة القاهرة.

(74) المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، أي مصطلح لأي لسانيات؟ د. مصطفى غلفان، بحث منشور بمجلة اللسان العربي، العدد (46) ص (152، 153).

(75) الكتابة اللسانية العربية من الرؤية الغربية إلى التأصيل الإسلامي للمنهج قراءة وصفية في صور التلقي ونماذج الصياغة (4) نعمان عبد الحميد بوقرة، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد الأول، 2009م.

(76) ينظر: من قضايا المصطلح اللغوي العربي (123/1) مصطفى طاهر الحيادة، واستثمار التراث العربي في ترجمة المصطلح اللساني- دراسة تطبيقية على المصطلح التداولي، د. مختار درقاوي، بحث منشور بمجلة اللسانيات العربية، العدد الثاني، سبتمبر 2015م، ص (65).

(77) مقدمة معجم الهيدرولوجيا (ج)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1404هـ/1984م.

(78) استثمار المصطلح التراثي (55).

(79) المقدمة (ل)

(80) استثمار المصطلح التراثي (51).

(81) قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح (55، 56) د. عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، دون تاريخ.

(82) حضريات في المصطلح- مقاربات أولية، (22)

(83) المصطلحات العلمية في اللغة العربية (32).

(84) السابق (52).

(85) منهجية بناء المصطلحات وتطبيقاتها (511).

(86) في قضايا التعريب (138) د. محمود أحمد السيد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 2010م.

(87) معجم المصطلحات اللغوية (13).

(88) في قضايا التعريب (128، 129).

(89) التعامل مع المصطلح التراثي (68).

(90) محاضرة توظيف المصطلح التراثي وشروطه (دقيقة 14:00 وما بعدها، من المحاضرة المصورة).

(91) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية (1/10)، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة، بيروت - لبنان، 1982م.

وينظر: صناعة المعجم العلمي المختص من منظور اللسانيات الحديثة د. جورج المصري، مجلة اللسان العربي، العدد (50) سنة 2000م، ص 85.

(92) مبادئ اللسانيات (50) د. أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط الثالثة، 2008م.



## فضاءات الغربة والحنين في ديوان الحجازيات لـ «أبي فهد محمود محمد شاكر»

حمد فهد محمد جنبان القحطاني (\*)

### المقدمة:

تعد الغربة من أهم الدوافع التي تؤثر على الإنسان من ناحية المستوى الإبداعي؛ حيث ترصد أهم الظواهر الفكرية والعقلية من خلال تجربة عميقة مفادها الواقع الاجتماعي والبيئي، فتنتج روحاً إبداعية لدى الأدباء والمفكرين، وآثاراً عكسية - ربما - لدى الآخرين، ولكنها تحقق نتائج على الفرد سواء أكان مبدعاً أو غير ذلك، وربما لاتظهر النتائج في المدة ذاتها، لكن حقائقها تدرك مع مرور الزمن.

فالغربة معاناة مؤقتة تنتج عنها فوائد وتجارب عميقة، ولعلها من أهم المدارس التي تُخرِّج العلماء والقادة والأبطال.

وقد كان ديوان «الحجازيات» لمحمود محمد شاكر<sup>(1)</sup> من هذه التجارب التي نتجت عن آلام الغربة لدى عَلمَ ربما كانت الغربة أحد أبرز الأسباب في شهرته، وتفوقه العلمي والإبداعي. كانت غربته أقل من عام واحد، لكنها كشفت عن قوته وتمحُّور التجارب، والحكم لديه؛ حيث كانت حاضرة في الديوان بشكل كبير مع صغر عمره آنذاك، فأنتج إبداعاً شعرياً قام على صور خيالية نادرة.

(\*) الأستاذ المشارك بقسم اللغة العربية - جامعة الطائف - فرع تربة.

ولعل أحد أسباب اختياري هذا الموضوع الذي تفرّد به هذا الديوان - هو حداثة نشره؛ حيث مضى على كتابته قرابة خمسة وثمانين عاماً، فقد توفي كاتبه ومبدعه، وهو لا زال مسودّة، ونشر ابنه ديواناً بعنوان «اعصفي يا رياح» بعد وفاة والده بأربعة أعوام، ولكن هذا الديوان لم ينشر إلا بعد قرابة العقدين من وفاة مؤلفه، وكان لأحد تلاميذ الشاعر «الدكتور عبد الله عسيلان» الفضل في نشر وإخراج هذا العمل إلى النور.

### التعريف بالديوان:

قام بنشر ديوان «الحجازيات» لأبي فھر «محمود شاكر» الدكتور «عبدالله عسيلان»، وذلك بعد ثمانية عشر عاماً من تاريخ وفاة الشاعر، وقد تحدث عنه في قرابة أربع وعشرين صفحة، شملت مقدمة في صفحتين تناول فيها أهمية الديوان ومكانة الشاعر، وطريقة نشره لهذا الديوان، والحصول عليه، حين أوضح ذلك بقوله: «وحيثما ترامى إلى سمعي خبر هذا الديوان، اتصلت بابنه الدكتور فھر، وأبدت له رغبتى في العمل على نشره، فاستجاب لهذه الرغبة مشكوراً، وسلّمني مسودة الديوان في زيارتي للقاهرة»<sup>(2)</sup>.

كما تحدث فيها عن دراسته الموجزة للديوان، حيث قال: «وهي دراسة موجزة، لم أكن أقصد منها إلى الدراسة الأدبية والفنية الموسعة؛ على أن قصائد هذا الديوان تتراوح بين الوجدانيات، والإخوانيات، والحنين إلى الوطن»<sup>(3)</sup>.

والأهم من ذلك حديثه عن مكان هذا الديوان الذي كان في «الحجاز» وخاصة «جدة». ووقته الذي حدده بعشرة أشهر بين الفترة التي امتدت من (19) ربيع الأول عام 1347هـ، (3) سبتمبر عام 1928م إلى (27) من ذي الحجة عام 1347هـ، (6) يونيه عام 1929م<sup>(4)</sup>.

فجميع هذه القصائد والمقطوعات قيلت في فترة غربه الشاعر، وهو بـ «الحجاز»؛ لذا يظهر سبب تسميته «الحجازيات»، وكان ذلك في بداية عمره؛ حيث كان عمره في تلك الفترة تسعة عشر عاماً.

ثم تحدث «عسيلان» عن مكانة «محمود شاعر» الشعرية في ثمانين صفحات؛ حيث أبرز قوة لغته ومعالم شعره وموهبته، وبداياته الشعرية، وديوانه المنشور، والنقاد الذين تحدثوا عنه.

ثم تناول الدراسة عن الديوان بعنوان «نظرات في الحجازيات»، وذلك في سبع صفحات أوحى فيها إلى إشارات عابرة عن أهم الظواهر التي نهجها «محمود شاعر» في هذا الديوان، وكان العنوان الأخير من تقديم «عسيلان» تحت عنوان «الحجازيات» تحدث عن قيمة الديوان في سبع صفحات، وكيف أكد على فترته، وعلاقة القصائد بالغربة داعماً رأيه بتواريخ القصائد، وعددها، حيث ضم الديوان ستاً وأربعين قصيدة ومقطوعة<sup>(5)</sup>. وبيّن بعض العناوين وطول القصائد، كما تناول البحور الشعرية التي نظم عليها الشاعر قصائده، وعلاقة القوافي بها، وإدراجه بعض الموشحات، وما ترتب على هذه الغربة من فقد الحبيبة، وهموم الليل، وتناول «عسيلان» استعمال الشاعر بعض الظواهر اللغوية المغرقة في التراث اللغوي.

فتح «عسيلان» أمام الباحثين آفاق الدراسة من خلال ضبطه الأبيات، والتعليق عليها، وشرح بعض ألفاظها، كما أشارت المقدمة المطولة - التي قامت على دراسة مختصرة - على الظواهر العامة في هذا الديوان، والسمات البارزة، من دون سبر أغوار المعاني والألفاظ، وإبراز أهمية الصور التي ظهرت في دلالات متعددة كانت الغربة نتاجها والمعاناة مفادها.

وقد تناولنا أهمية هذه المقدمة التي أبرز فيها «عسيلان» صورة كلية لحياة الشاعر في هذا الديوان الذي شكل منعطفاً في حياته،

فصقل موهبته، وأثّرَى به تراثنا، ويعود الفضل للعالم الجليل والابن البار «عبدالله عسيلان» الذي أهدى هذا النتاج والإبداع الثمين إلى المكتبة العربية، والتراث العربي؛ حيث قام بنشر هذا الديوان بعد ثمانية عشر عاماً، وإضافة مفاتيح في دراسة هذا الديوان كانت محط أنظار، ووقفة تعلم، سواء في الغربة أو في الإبداع والشعر.

وربما نجد أن هناك سبباً منع الشاعر من نشر هذا الديوان، وقد يكون هناك سبب اجتماعي في كشف ضعف الشاعر، وعدم تحمله في الغربة لأعدائه، وقد يكون هناك سبب فني في كونه لم يعد شعره في هذه الفترة ناضجاً من وجهة نظره، وقد لاحظنا في الديوان بعض الهنات الموسيقية من زيادة تفعيلة، ووجود أكثر من كسر في الأبيات - سنذكرها في موضعها - وربما يكون ذلك من الشاعر، فسبب تأخيرها كي يرجع ويصلح ما كان فيه من خلل موسيقي، فهو شاعر عظيم، شهد له في «القوس العذراء»، وقد نستغرب على «عسيلان» عدم الإشارة إلى هذه الأخطاء واستدراكها في موضعها، أو الإشارة لها في المقدمة على الأقل، وربما تكون أخطاء طباعية.

### الغربة:

الغربة: الاغتراب، تقول منه: تَغَرَّبَ، واغترَبَ، بمعنى، فهو غريب وُغِرِبَ أيضاً بضم الغين والراء<sup>(6)</sup>. والتغريب النفي عن البلد<sup>(7)</sup>، وُغِرِبَ أي بُعِدَ، يقال: اغرَبَ عني، أي تباعد<sup>(8)</sup>، وُغِرِبَ وُغِرِبَ عليه: تركه بُعْداً<sup>(9)</sup>، والغربة، والغرب: النوى والبعد<sup>(10)</sup>. ونَوَى غَرْبَةً، أي: بعيدة. وُغِرِبَ النوى: بُعِدها<sup>(11)</sup>. والنوى: المكان الذي تنوي أن تأتيه في سفرك<sup>(12)</sup>. والغرب: الذهاب والتَّحَيُّ عن الناس. وقد غرب عنا يَغْرِبُ غرباً، وُغِرِبَ، وأغرب. وُغِرِبَ، وأغربه: نحاه<sup>(13)</sup>. والغربة، والغرب: النزوح عن الوطن<sup>(14)</sup>، ورجل غُرِبَ، وُغِرِبَ: بعيد عن وطنه<sup>(15)</sup>.

ومن خلال عرض معنى الغربة في المعاجم يظهر أن لها معنى ظاهراً وآخر باطناً، فالمعنى الظاهر هو أن الغربة يقصد بها المكانية، وهي البعد عن الأهل والوطن والمجتمع الذي نشأ فيه وترعرع وألفه، إلى مجتمع آخر، حتى وإن ألفة يبقى الشوق والحنين للأرض والوطن والمكان الذي ألفة وأحبه، سواء أكان هذا البعد محبباً أو مكرهاً.

وهذا ما سيكون في محور دراستنا في إطار الغربة المكانية، وما نتج عنها من شوق وحنين وذكريات، وجزء من الاغتراب الذي أنتجته الغربة المكانية لأسباب غيرها. ويظهر هذا المعنى في (النفي، والبعد، والتباعد، والنوى، والذهاب، والتتحي، والنزوح، والبعد عن الوطن).

وأما المعنى الباطن فهو الاغتراب «فقد يكون الإنسان في بلده غريباً، وفي وسط مجتمعه غريباً، وبين أفراد أسرته غريباً»<sup>(16)</sup>، وهذا المعنى الثاني، فليس كل اغتراب ينتج عن غربة؛ وليس كل غربة تنتج عن اغتراب، وهناك فرق واضح، فالغربة مكانية، والاغتراب معنوي، ربما يكون زمانياً أو روحياً أو اجتماعياً، وغير ذلك، ف«اليسر في الغربة وطن، والعسر في الوطن غربة»<sup>(17)</sup>، و«أغرب الغرباء من صار غريباً في وطنه»<sup>(18)</sup>.

فالاغتراب - في تعريفه العام - يعني الانفصال وعدم الانتماء، ويعرف أيضاً بأنه وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته، والبيئة المحيطة به، وبصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق<sup>(19)</sup>.

وبما أن دلالة الغربة تعني النزوح، فالاغتراب نزوح كذلك، لكنه نزوح نفسي داخل مواطن نفس الفرد، كونه الرفض والتمرد، وربما العجز، لكنه نزوح لا يتحدد بوقت أو مكان<sup>(20)</sup>.

وبطبيعة الحال فإن الاغتراب الشعري والحياتي للشاعر يعود إلى عوامل ذاتية وموضوعية، وعوامل روحية ومادية متداخلة، كما أن قهر

الاغتراب، كإمكانية، يرتبط - أيضاً - بسلسلة من العوامل الذاتية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية<sup>(21)</sup>.

وقد تناول بعض الباحثين معنى الغربة - التي يقصد بها المكانية - وذلك بعد عرض معناها في المعاجم، وسنتناول ما يدور حول محور موضوعنا الغربة المكانية من دون عرض الآراء الأخرى؛ لأن الحديث فيها يطول...

فيقول عبد الرزاق الخشروم: «الغريب: هو من كان بعيداً عن وطنه وأهله، ومن كان في غير قومه وأرضه»<sup>(22)</sup>.

ويقول يحيى الجبوري: «أما الكلمة العربية (غربة) فهي تدل - كما في لسان العرب - على معنى النوى والبعد، فالغريب هو البعيد عن وطنه»<sup>(23)</sup>، وهنا يوافق «الخشروم» في المعنى نفسه، ثم يؤكد على ذلك بقوله: «فالكلمة تدل على معنيين: الأول الغربة المكانية، والثاني يدل على الغربة الاجتماعية»<sup>(24)</sup>، وهذا ما قال به كثير من الباحثين<sup>(25)</sup>.

والذي يعنينا في هذه الدراسة الغربة المكانية، وهي «النزوح عن الوطن، والابتعاد عن الأهل والديار، بمعنى: أن يشعر المرء بابتعاده عن مكان نشأته، وفراقه لذويه الذين يرتبط معهم نفسياً وعاطفياً واجتماعياً»<sup>(26)</sup>، وهذا المعنى يرتبط ارتباطاً قوياً بالمعنى الاجتماعي الذي يوضح - من خلاله - أن هذا الانفصال لا يمكن أن يتم من دون مشاعر نفسية، كالخوف أو القلق أو الحنين تسببه أو تصاحبه أو تنتج عنه<sup>(27)</sup>، وهكذا نرى الإنسان العربي يحس إحساساً عميقاً بغربته لاضطراره - جرياً وراء رزقه ومعيشته - إلى مغادرة موطنه الذي نشأ فيه؛ مما يدفعه دفعاً إلى البكاء<sup>(28)</sup>، والشوق والحنين.

والعربي ينظر إلى الغربة كمصدر للكرب والمذلة<sup>(29)</sup>، وقيل: الغربة ذلة وكربة<sup>(30)</sup>؛ لذا ينتج عنها الشوق والحنين والذكريات إلى داره الأصل وموطنه الحقيقي.

ولابد - لنا في هذا الموضوع- من أن نعرف معنى الحنين الذي له علاقة كبيرة بالغربة، فـ «الْحَنِينُ: الشَّوْقُ وَتَوَقُّانُ النَّفْسِ. تقول منه: حَنَّ إليه يَحْنُ حَنِينًا فهو حَانٌ»<sup>(31)</sup>، والْحَانَةُ: النَّاقَةُ، وقد حَنَّتْ إذا نَزَعَتْ إلى أوطانها، أو أولادها، والناقَةُ تحنُّ في إثر ولدها حنينًا تطرَّبُ مع صوت، وقيل: حنينها: نراعها بصوت، وبغير صوت، والأكثرُ أنَّ الحنينَ بالصَّوتِ، وقال الليثُ: حنينُ الناقةِ على معنيين، حنينها: صَوْتُها إذا اشتاقتْ إلى ولدها، وحنينها: نراعها إلى ولدها من غير صوت<sup>(32)</sup>.

فعاطفة الشوق ملهبة، تدفع الإنسان إلى التنفس عنها، سواء أكان ذلك بالأنين أم بالنفثات النثرية والشعرية، فكثيراً ما يفرِّج الإنسان عن نفسه بيت ذاتها كلاماً منشوراً أو شعراً منظوماً، يعبر فيه عن هذه العاطفة الملتهبة<sup>(33)</sup>.

وقد عبر «محمود شاکر» بالشعر عن لوعته في الغربة واشتياقه بالحنين لوطنه وداره «مصر»، فأصبح الشعر الأنيس عندما يشتاقي ويحن، فنجد البكائيات ولوعة الفراق تبرز في صور خياله من خلال عاطفة صادقة صنعتها الغربة في «الحجاز» التي لم تدم طويلاً، فقد أضاف «محمود شاکر» إلى المكتبة العربية ديواناً شعرياً كله يتحدث عن الغربة والحنين في وقت قليل قضاه بغربته، وهو بـ «جدة»، حيث لم يقيم بها إلا تسعة أشهر، فما بالك لو جلس أكثر من ذلك إذا لأمدنا بمجلدات تطرق هذا الفن، الذي تولد عنده إبداع شعري من رحم معاناة ذاتية عاصرها، وكان الشعر منفساً له.

فبعض المبدعين كالذهب يزيدون بريقاً عند صهرهم في أتون الغربة، وتكشف لديهم قدراتهم أكثر من ذي قبل، ويتعرفون على مواطن القوة والضعف في نفوسهم... فتري أكثر المبدعين عمقاً، وأصالَةً هم الذين أوغلوا في الغربة، بمختلف ألوانها<sup>(34)</sup>، فالشاعر الجيد هو الذي

يستطيع أن يستفيد من تجارب اغترابه، فيكون هذا الاغتراب بمثابة الجمرة التي تزيد شعره قوة<sup>(35)</sup>، وهذا ما لمسناه عند «محمود شاكر» في شعره.

### المبحث الأول: الغربة والوطن:

إن للوطن أهمية بالغة لدى الإنسان، فهو الحياة والسكن والأمان والمكان الذي أحبه وألفه، وما بالك إذا ولد ونشأ وترعرع فيه، فحينئذ يزيد حبه وشوقه وولاءه، والعربي الأصيل هو الوفي لوطنه المحب المخلص، وفي ذلك «قال أبو عمرو بن العلاء: مما يدل على حرية الرجل وكرم غريزته؛ حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى متقدم إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه»<sup>(36)</sup>.

والوطن عند الجاهلي الأهل والديار، وكل منزل ينزله ويحن إليه، ولما استقرت القبائل في القرى والمدن صار مفهوم الوطن واضحاً هو الأرض والبلد بحدوده وأهله ومغانيه، وصار الشعر يردد أسماء المدن ويتغنى بجمالها ويحن إلى مراعيها، وكثر بعد ذلك الانتساب إلى المدن والاعتزاز بها، والمدن أوطان<sup>(37)</sup>، والحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وحب وحنين وشوق<sup>(38)</sup>.

وهذا ما لمسناه في ديوان «الحجازيات» عند «محمود شاكر» حيث كان للوطن القيمة والهم والإحساس والولاء والوفاء من خلال البوح في شعره عند غربته في «الحجاز»، حيث كان وطنه همه في نومه وفي قلبه وعلى لسانه، وقد صرح مرة أو مرتين، لكنه عاش معه طيلة غربته فكان هو المحبوبة، والصديق، والذكريات، وكل شيء في حياته، كما في قوله:

لَسْتُ أَبْكِيكَ بِالْذُّمِّ وَالْهَوَامِي      بَلْ بَدَمَعِ الْهُمُومِ وَالْأَشْوَاقِ  
مَا تَرَاهَا تَجْرِي عَلَى الْخَدِّ... لَكِنْ      جَرِيهَا فِي الْفُؤَادِ وَالْأَمَاقِ  
هَلْ دَرَى الْبَيِّنُ أَنَّ قَلْبِي مُعْنَى      وَأَسِيرٌ بِمِصْرَ فِي أَطْوَاقِ<sup>(39)</sup>

فيؤكد الشاعر أن هذا البكاء ليس مجرد دموع تنزل وتذرف على الخدود لأمر عابر، أو مجرد نزعة مؤلمة، وإنما بدمع الهموم والأشواق في حب الوطن العميق الذي أحسّ ببعده وفراقه عند غربته، فهي لا ترى بالعين كعادة البكاء وجريان الدموع، وقد أكد على جريانها وعدم توقف هذا الحزن والبكاء بقوله: (جَرِيْهَا فِي الْفُؤَادِ وَالْأَمَاقِ)، وهنا دلالة على صدق البكاء وشدة الحزن وعمقه المكين؛ حيث يظهر من هذا المعنى ثلاث دلالات، الأولى: الجريان والدوام في الاستمرار على الحزن والبكاء، والثاني: عمق هذا الحزن وشدة أثره على النفس بظهوره في الفؤاد، وقد دل على كتمه عدم الجريان، وقوة تحمل الشاعر، وعدم الإفصاح عن ذلك، حيث كانت الدلالة الثالثة: تظهر في علامة العبارة، أي: الدمعة التي تبرز (الآماق).

وهنا دلالة على وجود أثر الحزن والكتم على استمراريته، وهو أشد أنواع البكاء والحزن، وربما قصد الشاعر (بالآماق) أن لكثرة البكاء أصبح الدمع يُحير في الآماق، ولا يخرج من كثرة فيضانه واستمراريته، وهنا الدلالة على دوام الحزن وملازمته طيلة فترة غربته، وقد علق على ذلك «عبد الله عسيلان» بقوله: «وفي هذه الأبيات إبداع واضح في تصوير البكاء، وانسكاب الدمع، فليست العين هي التي تهمني الدموع، وإنما هي الهموم والأشواق، ودموعها تجري منسابة في الفؤاد والآماق من شدة ما تلاقي متجاوزة حدود الخدود»<sup>(40)</sup>.

وقد أكد الشاعر بهذه البكائية على صعوبة الغربة، والبعد عن الوطن بخطاب البين متسائلاً: هل لديه دراية بمعاناة قلبه وأسره بحب «مصر»، الذي أصبح مطوقاً ذهنه وقلبه وجسمه حتى وإن بُعد، وهنا تقريب البعيد بالصور الخيالية التي شبهها بالطوق - وهي الدائرة التي تحيط - فكأن حب مصر وشوقه إليها والحنين لها يشبه هذه الدائرة التي تحيط به.

وعلى شاكلة ذلك ما أشار إليه «عسيلان» أيضاً في حب الوطن والشوق إليه عند «محمود شاكر» بقوله:

هذه الألفاظُ شاردةٌ      من أخي شَجْوِ إلى سكنه  
رُوحه في مصرَ موثقةٌ      والنُّوى قد حلَّ في بدنه  
ليس من يبكي حُشاشتهُ      مثل من يبكي على وطنه<sup>(41)</sup>

يختم الشاعر قصيدته التي تكونت من ستة وثلاثين بيتاً تنوعت بين معاني الغربة والتفكير والتأمل بتجارب الحياة، وقد أنتجت هذه المقطوعة التي اختتم بها هذه المعاني؛ مشيراً إلى أن هذه الألفاظ فريدة شاردة ناتجة عن الهم والغم والحزن الذي لازمه في حبه إلى سكنه ووطنه، فروحه في «مصر» موثقة ومرتبطة، خلاف بدنه الذي قد عاش في الغربة والبعد عن وطنه، مؤكداً بأن البكاء على الحشاشة والروح ليس مثل من يبكي على وطنه، وهنا صراع برز في (ليس) النافية التي بمعنى (لا)، وقد تكرر هذا المعنى في المقطع الذي سبق هذا المثال، وذلك في قوله:

لَسْتُ أَبْكِيكَ بِالْذُّمُّوعِ الْهَوَامِي      بَلْ بَدَمْعِ الْهُمُومِ وَالْأَشْوَاقِ<sup>(42)</sup>

نلاحظ أن الشاعر قد استند على (ليس) كثيراً في طرح معاني الغربة والحنين، وذلك للتأكيد والنفي والثبوت وما إلى غير ذلك<sup>(43)</sup>.

وقد تردد ذكر «مصر» عند الشاعر، وهو في موطن الغربة، وذلك دلالة على الشوق والحنين وملازمة هذا الوطن لروح الشاعر؛ حيث يقول:

يا ساكني مصرَ حَيَّتْكُمْ مواصلةٌ      من الرِّسائلِ مثلُ الرُّوضِ رِيَّاناً  
تَحُثُّهَا محدثاتُ البين طائفةٌ      ليستُ بفاترة حتى ترى البانا  
بشاطئِ النيلِ ريعاناً، وممثلةً      عن الكمامِ مَفْتَرّاً، ومزداناً<sup>(44)</sup>

يخاطب الشاعر ساكني مصر، والخطاب - هنا في ظاهره - عام، ولكنه لأقربائه وأصدقائه خاصة؛ حيث أخذ التعميم على وجه الخصوص، دليل ذلك على الرسائل التي قام ببعثها أثناء غربته، مشبهاً

إياها بالروض في ريحها وعطائها الجمالي، جاعلاً المصاعب وآلام البعد والغربة تحت هذه الرسائل بسرعتها واستمراريتها المتوالية؛ حتى ترى الجمال من الأقارب والأصدقاء والمحبوبة خاصة، والتي رمز لها (بالبان)، كما نجد تأكيد الوطن في تأكيد وصول هذه الرسائل إلى المحبوبة وهي بشاطئ النيل.

### لوعة الفراق:

لعل وصف يوم الرحيل هو الغصة الأولى التي يتلقاها «محمود شاعر» من غصص البين وقد شبهها بغصة المقتول في المذاق لمرارتها، وشدة ألمها مبتدئاً ذلك بالبكاء من الطرفين (المودّع والمودّع)، ولم يكتف الشاعر ببكاء العيون، ولكن ربط ذلك بالآلام القلب الذي أنتج هذا البكاء؛ حيث وصفه بالخفقان وعدم الثبوت في لحظة الفراق والسفر، ولم يخص المودّع، حيث وصفه بالأصدقاء والرفاق والمحبين، ويشمل ذلك الجنسين الرجال والنساء؛ فجعلها في صورة رائدة؛ حيث إن المودّع تمنى أنه مسافر مع المودّع، وذلك لشوقهم وحبهام له، وهنا التأكيد على صدق العاطفة بتصوير هذه اللحظة، وذلك في قوله:

كُلُّ عَيْنٍ تَبْكِي وَكُلُّ فُؤَادٍ خَافِقٌ إِثْرَ رُفْقَةٍ وَخَلِيلٍ  
وَدَّعَاوَا وَالرَّحِيلُ دَاعٍ إِلَى الْبَيْدِ نَحْنُ فَوْدُوا أَنْ يَظْفَرُوا بِالرَّحِيلِ  
رَغَبُوا إِذْ أَذَاقَهُمْ غُصَصَ الْبَيْدِ نَحْنُ أَذَاقُوهُ غُصَّةَ الْمَقْتُولِ (45)

وفي موضع آخر نجد الشاعر يذكر لوعة الفراق لصديقه وقريبه «عبد السلام هارون» في قوله:

أَلَسْتُ تَرَانِي وَالْفِرَاقُ مُضَاجِعِي يَجْدُ فَيَكْسُونِي الدُّمُوعَ الْبَوَالِيَا...  
وَيُوقِظُ مِنِّي الشُّوقَ بَعْدَ رُقَادِهِ وَيُحْيِي جَوِيَّ يَبْعِي الطَّبِيبَ الْمَدَاوِيَا؟ (46)

يشخص «محمود شاعر» الفراق لصاحبه، وكأنه إنسان يضاجعه عند نومه، ثم يجود عليه حتى يكسوه بالدموع البالية من كثرة ما تذرف

وتسيح، وهنا تجسيد للدموع، وتسكين لصورة المتحرك السائل فتصبح كأنها كساء، وذلك دلالة على غزارتها وكثرتها، ثم يوقظ الشوق الحنين الذي تسلى عنه وقت صباحه وعمله فيعيده، وكأنه إنسان صحا من بعد نومه، والذي يحيي الحرقه والحزن وشدة الوجد الذي يَتَغَبُّ وَيَصْعَبُّ على الطبيب إذا حاول مداواته، وهنا تشخيص أيضاً، حيث أطلق على الحزن والحرقه صفة الحياة التي رمز على هدوئها بالموت الذي لم يصرح به إلا عبر الحياة التي أطلقها عليه، وهنا رسم الشاعر صورة خيالية متداخلة في إطار صورة يدور محورها حول تصوير حاله لصاحبه عند الفراق، فنجد يشخص الفراق بالمضاجعة، والشوق بالإيقاظ والرقاد، والحزن والحرقه بالحياة، ويجسد الدموع بالكساء، وكل هذه الصور للكشف عن آلام الفراق وشدة الغربة والشوق والحنين لبلاده وأصحابه. ونجده في موضع آخر يُنْثِي على أيام الفراق بالخير، معقّباً ذلك بتشبيه يصور مرارتها وآلامها في قوله:

جزى الله أيامَ الفراق فإنَّها      تدبُّ إلى أغيالنا فتصول...  
دبيبَ الأفاعي ما تُحسُّ دبيبها      وما هي إلا زارة، فغلول<sup>(47)</sup>

يصور الشاعر هذه الأيام، وهي تتحرك في أشجارنا الملتفة المتشابكة طيلة فترة الفراق والغربة، ودلالة ذلك لفظة (تدب) المضارعة، وقد شبه هذا الدبيب بدبيب الأفعى، الذي يدل على ألم الحرقه وشدة الموقف، وعكس هذا المشهد التصويري خيالاً رمزياً عن الغيل بالدموع، ودبيب الغيل استمراره ببطء غير منقطع، وقد شبه ديبه بدبيب الأفاعي، ولعل وجه الشبه الملامسة في الدبيب، وحرقه الألم وحرارة لسعة الشوق بلسعة سم الأفعى.

ونجد الشاعر يختم ديوانه في نهاية غربته بألم الفراق على صاحبه «حسين نصيف» الذي صادقه في الغربة، ولكن شتان بين فراق الوطن والأهل والمحبوبة - الذي دام واستمر فترة غربته - وألم الفراق

والشوق لصاحبه الذي ودعه في نهاية غربته، فكان يصحبها فرح العودة للوطن وترك الغربة، وذلك في قوله:

غير أنَّ الشَّتَاتِ يَأْبَى ضِياعاً      فتراهُ ما بينَ جذبٍ ولمسٍ  
 إنْ نأتُ دارنا (حسينُ) فقدْ كا      نالتداني بالأمس شيمَةً أُمسٍ<sup>(48)</sup>  
 هكذا عبّر «محمود شاكِر» عن أحزان الغربة وألم الفراق في ديوان  
 «الحجازيات».

### المبحث الثاني: الغربة الذكريات والأصدقاء:

تنوعت ذكريات الغربة مع الأصدقاء؛ حيث كان لأصدقاء الشاعر دور مشهود في الحنين والشوق في ذكر الوطن والأحبة، ودارت هذه الذكريات في عدة محاور نشأت وتكونت منها في حب الأصدقاء، وهي ذكريات بعض المواقف وصفات الأصدقاء، وذكرى العهود والوفاء، وتقارب الصفات وتوافق القلوب، وذكرى التلاقي، وذكرى الود، ولم تتوقف الذكريات على الأصدقاء، بل كان للديار نصيب من ذلك، وإن كانت ذكريات الأصدقاء تفيد الرمز لذكرى الوطن والديار.

### ذكرى الأصدقاء:

يدور محور الذكريات مع الأصدقاء بالتصريح المباشر بلفظ (الذكرى)، وقد ورد (ذكرتك)<sup>(49)</sup>، فأذكر<sup>(50)</sup>، أتذكر<sup>(51)</sup>، الذكرى<sup>(52)</sup>، ذكراك<sup>(53)</sup>، فأذكرني<sup>(54)</sup>، وتعددت صيغها لكنها تدور في معنى الذكرى والذكريات، ولعل قصيدة «الذكرى بعد البين» تعد القصيدة التي مثلت جانب الذكريات مع الصديق «عبد السلام هارون» إذ يقول:

ذكرتك والذكرى تُهيجُ البواكيا      وأصبحتُ والذكرى دوائي ودائيا  
 بُكائي والأيامُ تعدو وشيكةً      وفي طيها تخفي الهوى والأمانيا  
 يزيدُ ويروي ظامئُ الشوق والهوى      ويتركُ آيات الوداد ضواحيا  
 بها يهتدي السَّارُون في دار غربةٍ      فتجمعنا الأشجانُ، وهي كما هيا<sup>(55)</sup>

يتذكر الشاعر صاحبه مصوراً آلام البعد والبين الذي يتجرعه؛ حيث أصبحت هذه الذكرى تزيد البكاء، وقد اختار لها الهيجان، أي: الطغيان والفوران، فكان هذا البكاء متواصلاً في الغربة، لكنه عند ذكره صاحبه انتابه الفوران والطغيان، مثل: هيجان البحر، وذلك دلالة على الكثرة والغزارة من شدة الحرقه والحزن على بعد صاحبه، بل أطلق على هذه الذكرى متناقض الداء والدواء؛ فهي داء في البعد والفرقة والألم، لكنها دواء في تخفيف بعض المواجه عندما يعيش ويرجع بذاكرته لتلك المواقف الجميلة، فيحس كأنه فيها، وينسى الغربة وآلامها، ولكن الدواء يكون فترة هذا التخيل، وعندما يزول هذا الموقف تبقى آثار تلك الذكرى، فيتعلق الشاعر بغصص الفراق ولواعج الألم من البعد، وقد أكد بذلك في بكائه المستمر وقت غربته ما تخفيه الأيام من الحب والأماني التي تزيد الشوق والعشق، مشبهاً ذلك بري الظامئ، تاركاً الود مكشوفاً كأنه في ضحى النهار، لا يعتريه بُعد ولا ظلام، حيث يهتدي به الساري في ليل الغربة، حتى يجتمع بصاحبه الود والحب كما هو، فيصور الشاعر أن هذه الغربة لا تعد إلا زيادة في الود والحب والصفاء، وهي مرحلة مؤقته توثق أواصر الحب والوفاء، وتزيد الأشواق والولاء بينهما.

ويؤكد الشاعر على أن دجى الليل هو ما يشعل ذكرى صاحبه في قوله:

إذا ما دجا ليلُ الهموم رأيتني      كمُتهم قاضيه ساءَ التقاضيا  
فأذكرُ أياماً خلونَ وقد مضت      شاباً ببذل المَفْرَحَاتِ مُوَاتِيا  
وكُنَّا ضَجِيعِي لَهْوَةٍ وَغَرَارَةٍ      وجدُّ كما شاءَ الزَّمانُ جَوَارِيا<sup>(56)</sup>

صور الشاعر حاله حينما دجا الليل وأظلم بحزن المتهم وحرقة، ووقع المصيبة عليه، وخاصة إذا ما أساء القاضي قضاءه، فكيف سيكون حال هذا المتهم الذي أحاط به الظلم حتى إن القاضي الذي يرمز به

إلى العدل قد أكد هذا الظلم وزاده إساءة، فأين يذهب هذا المتهم؟ وأين يشتكي؟ فليس له إلا الله، وهنا وجه الشبه عميق بين آلام الذكرى وحرقة الحزن وشدة الغربة عندما يظلم الليل ويسدل ظلماته بأفائه، حيث يصبح مثل حالة هذا المتهم، فهو حزين يومه كله، ولكن ظلام الليل زاد هذا الألم وقطع يقينه؛ حيث يتذكر أيامه مع صديقه التي خلت في شبابهما وأفراحهما وأحزانهما، بل - أيضاً - يتذكرها في جدّهما ولهوهما وأنسهما.

ولم تتف الذكري عند هذه المرحلة، بل تعددت الذكريات مع صاحبه؛ حيث يقول:

|                                |                                     |
|--------------------------------|-------------------------------------|
| أتذكر بيتاً ضمناً تحت جناحه    | وصاحبه نُؤليه من الملاهيا           |
| (أبا الفضل) إذ كنا نروم لقاءه  | طوال الليالي، ثم، طبن لياليا..      |
| إذا ما خرجنا كلنا من ديارنا    | نؤلي وجوهاً شطره ومساعيا...         |
| كأن به روح القلوب كمينه        | تُجاذبنا جذب الفراق زاميا           |
| فنعري رياض العلم وهي مريعة     | تزود خير الزاد من كان راعيا         |
| ومن ثم عبد المنعم اقتاد صوته   | وحسن أغانيه النفوس العواصيا         |
| فأيقظ فيها بعض ما كان نائماً   | وأخضع من بعض ما كان آبيا            |
| يُغني ... وأستار الظلام تُجننا | وفي القلب نور قد أنار الدايجا! (57) |

يتذكر الشاعر «محمود شاكر» البيت الذي كانا يلتقي فيه وأصحابه ولقاءاتهم وسهراتهم في الليالي، ثم الفراق الذي كان سببه الغربة في طلب العلم والرزق؛ حيث يستلهم التراث الديني بقوله: (نولي وجوهاً شطره ومساعيا...)، وبقوله: (تزود خير الزاد من كان راعيا)، فقد استمد ذلك من قوله تعالى: ﴿فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ (البقرة: 115)، وقوله: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ (البقرة: 197)، ولعل هذا الاستلham استخدمه الشاعر في التخفيف من ألم الغربة وقسوتها بما

مرّ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة، وتحويل القبلة واشتياقه لمكة وعدم صبره، فأخذ الشاعر ذلك ليواسي نفسه، ويقلل من ألم الحرقه، كما نجد في استلهام التزود في الخير، الأجر العظيم والصبر وكسب العلوم والمعارف، بل والرزق الذي يناله بعمله في أثناء غربته.

ثم يتذكر الشاعر بعض أصحابه، ومنهم «عبد المنعم» الذي كان يشعل ليلة سمرهم بالأغاني المطربة، ثم يختم بالحبس عن بقية الذكريات، ويصرح بذلك في قوله:

بحبسي، فقلبي لا يطيق زيادةً من الذكر الموموقة الذكر ما هيا...  
سأحبس من هذا الممداد بقيةً فهذا دم أرخصته كان غالياً (58)

وهو يؤكد على حبس بقية هذه الذكريات مشبهاً إياها بدمه الذي يعده غالياً، لكنه أخرج جزءاً منه بذكره، وهنا دلالة على شدة وقع هذه الذكريات والمواقف الذي شبهها بدمه، وفي قصيدة أخرى نجده يشير إلى ذكرياته مع صاحبه (توفيق)؛ حيث يقول:

توفيق! ذكراك الزمان وحسنه وجمال برد شبابه الأوفاف (59)

كما نجد هذه الذكرى تبرز في آخر بيت قاله في الغربة، حين قال في وداع صاحبه «حسين نصيف» الذي عاش معه في غربته:

فادكرني حسين حين مغيبني إن هذي الذكرى لتبلغ حسني (60)

### ذكرى العهود مع الأصدقاء:

تعددت الذكريات عند «محمود شاكر»، فتناولت الأصدقاء بصفة خاصة، ومن تلك ذكريات العهود والوفاء التي بينهم، فنجد مرة يذكر صديقه «أبا الفضل» بتلك العهود التي بينهم في قوله:

أبا الفضل لا تنس العهود وحسنها ولا الدهر يحمي مرةً وينيل  
ولا الصدر مضموماً إلى من يحبه ونجوى قلوب سرهن نبيل

فلا خير من بعد الفراق ويومه إذا أنت لم يذكرك بعد خليل<sup>(61)</sup>  
 يذكرُ الشاعر حُسْنَ هذه الصداقة والصحبة، مؤكداً على ذكرها  
 والوفاء بها، مشدداً على صاحبه «أبي الفضل» بعدم نسيانه؛ لأن الدهر  
 لا يستقيم، فمرة يمنح، وأخرى يرفض القرب بين الأصدقاء، مؤكداً أن  
 الصدور لا تضم بعضها في الحب، وإنما يكون الحب بالشوق واللهفة  
 والتوافق، وليس بالملامسة والتقارب، كارهها بُعدَ الفراق والنوى؛  
 حيث إن الذكرى تعيد هذا البعد، وتقرب هذا الود والروح الأخوية بين  
 الأصحاب.

ونجده في موضع آخر يؤكد على ذكرى العهود مع صاحبه (توفيق)  
 في قوله:

توفيق! ذكراك العهودُ وقد مضتْ إذ نرتدي بُردَ الشَّبابِ الضَّافي<sup>(62)</sup>  
 وفي قوله:

توفيق! ذكراك العهودُ، فربما مضتِ السَّنون، وما يئینُ توافي<sup>(63)</sup>  
 فالذكرى تعيد الود وروح المحبة بين الأصحاب خصوصاً إذا  
 بقيت على روح الإخلاص والوفاء، والشاعر يؤكد عليها في كون السنين  
 لاتؤمن، فربما لا يكون هناك تلاقٍ، فالقلوب تبقى على ودها وروحها في  
 الحب والوفاء.

وقد صور الشاعر تلاقِي الأصدقاء في قوله:

إذا ما تلاقى نائيان بشقةً من الأرض أبصرتَ العيونَ روانيا  
 وفي كلِّ ثغرٍ لفظَةٌ مرَّجِحَةٌ ويحبسها ألا تُصيبَ المراميا<sup>(64)</sup>

الشاعر هنا يتخيل صورة اللقاء مع صاحبه بعد الفراق والغربة  
 التي دامت طويلاً، وكأن هذا المشهد في واقع هو الحقيقة؛ حيث رسم  
 هذه الصورة بدقة في تلاقِي بصر العيون وتعبيرها عن الفرح والشوق  
 والسعادة، بالإضافة إلى تبادل عبارات الفرح التي تتصادم بينهما، وكل

واحد يخاف أن يقع على لفتة تحرك مشاعر صاحبه وتؤلمه في ذاكرته عند البعد.

### ذكر الوداد والحب بين الأصدقاء:

تقوم ذكريات الغربة عند الأصدقاء على خيال الحب والود الذي يدور بينهم، حيث نجد الشاعر «محمود شاكر» يرسم هذا الود مع ذكر كل صديق، ومن ذلك قوله في أثناء حديثه عن ذكرى صديقه «عبد السلام هارون»:

ألا يا شقيقَ النفس هل أنت مُلحدٌ      ودادي؟ وما استودعتُ ودك ناسيا  
وكيف أذودُ الودَ بعد وروده      (فؤادا كريما) لا يخيبُ المناديا؟  
إذا هو عرته من الزاد نوبةً      قرى الطارقيه من دم القلب صافيا (65)  
ثم يختم ببيتين في الود بقوله:

ولا تحسب الود القديم مُضيعةً      فذكرُك يندي من جفاف لسانيا  
وإنِّي لأدري ما بقلبك من هوى      وأنت، شقيقَ النفس، أدري بما بيا (66)

هنا أكد الشاعر على الوفاء للود القديم وحفظه، وأن ذكرى صاحبه تندى من جفاف لسانه؛ وكأن لسانه جف من كثرة ذكر صاحبه، بل إن حبه الذي بقلبه يعلم عنه صاحبه أكثر منه؛ لكونه شقيق النفس، وهنا دلالة على الحب والود.

وفي ذكر صاحبه «حسين» يقول:

يُعَنِّفُنِي فِي حُبِّهِ ذُو ضَغِينَةٍ      عليه وإن طاوَعْتَهُ كُنْتُ أَلَمًا  
وَلَيْسَ جَدِيرًا بِالْوُدَادِ لِصَاحِبٍ      إذا أَحْجَمَ الْقَوْمُ الْمَرَاوُونَ أَقْدَمًا  
سَقَانِي مِنْ مَاءِ الْوُدَادِ بِكَأْسِهِ      وَأَنْهَضَ مِنِّي جَانِبًا مُتَهَدِّمًا  
وَنَعَمْنِي فِي رَوْضَةٍ لَا تَرَى بِهَا      سَوَى النُّورِ وَالْعُودِ الرَّوِّيِّ الْمُقَوِّمًا  
وَجَانِيَةَ شَهْدِ الزُّهُورِ وَمَا جَنَّتْ      مِنَ الشَّهْدِ إِلَّا وَدَّهُ إِذْ تَعَمَّمَا (67)

يَعْنِفُ الشَّاعِرُ فِي حُبِّ صَدِيقِهِ أَصْحَابَ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ، رَافِضًا مَطَاوَعَتَهُمْ، فَاضْحًا أَمْرَهُمْ، مَعْلِنًا حُبَّهُ لَصَاحِبِهِ، وَودَهُ الَّذِي يَبَادِلُهُ

صاحبه إياه عكس بقية الناس في قوله: «إذا أحجمَ القومُ المراءُونَ أقدمًا»، مجسداً هذا الود الذي شبهه بالماء أو الخمر في السقيا بالكأس، فقد عوضه ما تهدم من جوانب الوداد الذي شكاه وابتعد عنه في غربته، فيظهر بأن صديقه «حسين نصيف» هو صديق الغربة الذي عوضه عن آلام الغربة، فخفضها بوداده ومحبته ومصاحبته، مشبهاً مصاحبته بنعيم الروض الأخضر المشع بنور زهوره البيضاء، والأغصان الخضراء الياضعة اللينة، وكأنه لم يَجُنْ ولم يقطف من عسل الزهور إلا عسل وده ومحبته التي تعممت على جميع الفوائد التي حصل عليها في غربته، وكأنه يظهر تأقلمه في نهاية غربته مع الغربة في كسب الفوائد سواء صداقة هذا الصديق أو غيره، فتجد وفاء هذا الصديق عوضه عن جانب الجمال الذي فقده في وطنه؛ حيث نرى ذلك في قوله: «وأنهضَ مني جانباً مُتهدماً»، وفي قوله: (سقاني، نعمني، تعمما)، كما نجد أن الشاعر قصد في المطلع آلام الغربة وحرقتها وشدة حزنه، وكنى عنها بالتعنيف، والضعيفة؛ حيث ظهر هنا عدم التسليم للغربة في نهاية المطاف، عكس بدايتها التي ظهرت في بداية الديوان؛ حيث كانت شديدة الحزن والألم والتشوق لبلاده.

### ذكرى تحاب القلوب وتصافيتها:

تظهر عند الشاعر صورة الحب والتصافي في حديث القلوب لبعضها ومخاطبتها وحوارها، وتظهر أيضاً في تبادل المشاعر عبر صورة الشوق أثناء التصافي في القلوب مع الأصدقاء، وقد أكد ذلك من خلال ذكرياته مع الأصدقاء وهو في الغربة، وفي ذلك إثبات على تأصيل هذا الود والحب ومحاولة الانسجام معه ومعاشيته وإن بعدت الأجساد، وقد ظهر هذا التصافي عند «محمود شاكر» في قصيدة «الذكرى بعد البين»؛ حيث يقول:

فقلْبُكَ في قلبي، ونفسُكَ تنضوي      لنفسي وقد ساء الودادُ الأعاديا  
يقبلُ قلبي قلبٌ من قد هويتهُ      فنسمعُ من بين الضلوعِ المثنانِيا  
ولا تجدُ الأكدارُ بين قلوبنا      طريقاً تزجى فيه ضغناً ووأشيا<sup>(68)</sup>

يرسم الشاعر صورة قلبه وقلب صاحبه «عبدالسلام هارون» في تشخيص فريد. تظهر الصورة الأولى بإدخال الجزء في الكل بقوله: (فقلبك في قلبي)، وكأن قلب صاحبه أصغر من قلبه، وقلبه يحتويه ويحميه، وهنا دلالة على تحمل قلب المغترب؛ لكثرة ما يصيبه من حرقة وحزن وشوق، فيكون قلب صاحبه موسياً له عائشاً معه بتخفيف آلامه، وأنه يمثله في بلاده، مؤكداً على أن نفس صاحبه توافق نفسه، وقد أساء هذا التوافق - الذي قام على المحبة والود - الأعادي، مردفاً هذه الصورة بتشخيص القلبين - وكأنهما إنسان بمفرده - يقبل واحد منهما الآخر، وهذه كناية عن قوة الحب والود بينهما، بصورة خيالية استطاع أن ينسجها الشاعر بتأكيد سماع هذا القلب بين الضلوع المنحنية، فكأن القلبين متعايشان في ضلوع واحدة، وفي جوف واحد، أو كأنهما منقسمان قسمين، فجزء في جوفه، والآخر في جوف صاحبه، ولقربهما وتوادهما لا يستطيع الوأشي والحاسد التأثير عليهما، حتى إن بعدا في الغربة واتسعا بالأجساد.

ويؤكد على حب القلوب ووفائها عند حديثه عن صاحبه (توفيق) بقوله:

كنا - وما ظلمَ الزمانُ - أحبةً      جمعَ القلوبَ لنصرة وعفاف  
حُبُّ كضود الشمس في قسماته      لمعُ الوفا، وتناصفُ، وتصافُ  
قلبٌ يناصرُ قلبَ نضوٍ موجعٍ      هجرَ البلادَ لهجرةِ الإنصافِ<sup>(69)</sup>

يذكر الشاعر اجتماع القلوب في النصرة والعفاف والتناصف والإنصاف، وذلك في الحب الذي شبهه بضوء الشمس في الوفاء والود والتعاون؛ حيث كان قلب صاحبه مناصراً لقلبه المهزوم الموجع، فقد

ترك البلاد واغترب لعدم وجود الإنصاف في قول الحق، وفي الحقيقة إن هذا المعنى خلفه موضوع شائك يظهر في موقف الشاعر «محمود شاكر» مع الحق في قضية، ربما تكون أدبية أو غير ذلك، وهنا يظهر أن خلف هذه الغربة اغتراباً اجتماعياً، وقد كان صاحبه هذا من الذين وقفوا معه في هذا الموضوع.

ونختم الحديث عن تصافي القلوب وتحابها عند «محمود شاكر» في غربته وذكرياته مع أصدقائه بحديثه لصديقه في الغربة (حسين نصيف) قبل عودته من غربته، حيث يقول:

كَانَ قُرْبُ الْقُلُوبِ لَا عَنْ تَرَاوُحٍ مِنْ زَمَانِي بَلْ كَانَ نُهْبَةً خَلَسَ  
كَانَ حُبُّ الْقُلُوبِ كَنْزًا، وَلَكِنْ بَدَدَتْهُ الْأَيَّامُ تَبْدِيدَ نَفْسِي (70)

نجد الشاعر يشير إلى قصة هذا الحب والود الذي رمز له بقلبه وقلب صاحبه، وإنه لم يكن عن رضا من الزمان في بادئ الأمر، حيث كان يعيش الشاعر ألم الغربة، وهمّ الحزن، وشدة الحنين لبلاده؛ لكنه اختطف هو وصديقه قلبيهما خلصةً من دون أن يشعر الواقع بهما، ثم يشبه حب صاحبه الذي دار بين قلوبهما ومشاعرهما بالكنز الذي لا يبور ولا ينتهي، فقد كان له مواسياً وخديناً حتى بددته الأيام وفرقتها، وهنا تأكيد الشاعر على عدم تفريق القلوب، وذلك في الحديث عن الود والحب، وإن بعدت الأجساد، فالوداد والمحبة تكون في القلوب، وقد زرعها القرب والتلاقي بالمشاعر في روح الغربة، التي يظهر تحولها في نهاية الأمر إلى ودٍّ وحُبٍّ، وظهر فيها التصافي والمحبة عكس الاشتياق؛ ولكن الشاعر لم يصرح بذلك، لكنه ظهر على شعره ومحبته لصاحبه الذي عوضه الحب والود في غربته، وإن كان الأمر قد انتهى - في آخر المطاف - بتبديد الأيام لهذا الكنز حين حكمت بفراقهما.

وقد اشتملت الذكرى على ذكرى الديار في الغربة بالتصريح في قول «محمود شاكر»:

ذكرى الديار تهيجُ الحُبَّ حُبًّا يكونُ لقلبه قلباً  
خفقانٍ يجتمعان في جسدٍ شابت منايه وما شَبًّا<sup>(71)</sup>  
وهنا علاقة قوية في تصويره حب هذه الديار بصورة القلب، فقد  
جعل الحب قلباً لقلبه.

### المبحث الثالث: الغربة والحبوبة:

لا تخلو غربة من ألم الفراق، ومعاناة البعد مما ينتج عنها ذكرى  
المحوبة<sup>(72)</sup>، والحنين للأهل والأصدقاء، كما سبق الحديث عن  
ذلك، وفي هذا المبحث نتناول ما ألم «محمود شاكر» من لواعج الغربة  
تجاه المحبوبة؛ إذ إنه قد تغرّب في بداية حياته أيام الشباب والغرام؛  
حيث كان لبعد المحبوبة أثرٌ كبيرٌ على غربته، فقد تنوعت آثار الغرام  
العاطفي عند الشاعر بين الحب والشوق، وبين الأمل في الوصل والوفاء  
والإخلاص والخوف من الجفاء، الذي ربما أصبحت الغربة أحد أسبابه.

### الحب والشوق:

نجد الشوق يلتهب في الحب حتى في قرب الحبيبين، فما بالك إذا  
كان هناك بُعدٌ وغربة؟ فعند ذلك يزيد الحب ويتراكم الشوق، شوق  
الديار والوطن، شوق الذكريات والأصدقاء، شوق المحبوبة، وربما  
يوازي الشوق إلى المحبوبة شوق الوطن والأصدقاء، وهذا ما لاحظناه  
عند «محمود شاكر» في قوله:

يَلْتَهَبُ الْحُبُّ أَوْ يَلِينُ... فَمَا أَنْعَمُ إِلَّا بِهِ وَأَنْشَرُحُ  
إِنْ كَانَ شَوْقِي يَلْجُ مُعْتَسِفًا يُضْنِي، قَلْبِي لَذَاكَ يَنْفَسُ<sup>(73)</sup>

الشاعر يؤكد على عدم نعيمه وانشراحه إلا بالحب، سواء اشتد  
الشوق في الحب والتعب أم لان وهداً، معللاً ذلك بأن شوقه إذا دخل  
متعسفاً يتعب، فإن قلبه في هذا الأمر يفسح ويخفف الوطء، وهنا دلالة  
بين اشتداد الحب والشوق في حين، وهدوئه في حينٍ آخر، وإلا لما

تحمل صاحبنا الغربة ولرجع إلى وطنه ومحبوبته، وقابل ذلك الشوق الحار القوي بهدوء قلبه ولينه.

وقد عاوده الحب والشوق عند الشاعر<sup>(74)</sup>، ومن ذلك قوله:

أَلَا تُبْصِرُ الْعَيْنُ طَيْفَ الْحَبِيبِ؟      أَلَا تَسْمَعُ الْأَذْنَ حَتَّى الصَّدَى؟  
أَلَا مَدَّ مَنْ كَفَّهُ رَاحَةً      عَلَى الْبَيْنِ أَلْقَى إِلَيْهَا يَدَا؟  
أَلَا، مَا أَلَا؟ أَمَا، مَا أَمَا؟<sup>(74)</sup>      رَضِيتُ السُّهَادَ رَضِيتُ الرَّدَى<sup>(75)</sup>

لقد تعب الشاعر من تساؤلاته بقوله: أَلَا...، وقوله: أَمَا...، وانتهى به الأمر إلى الرضا بالسهر وبُعد الحبيبة الذي يشبه الموت.

### أمل الوصل عند المحبوب:

يظهر عند الشاعر حوار الذات في النظرة عن المحبوب، وذلك بسبب انقطاع التواصل في أيام الغربة؛ حيث يقول:

رُبَّ خَلٍّ لَكَ إِنْ مَدَّ      سَتَ إِلَى الْمَهْجَرِ تَدَانِي<sup>(76)</sup>

وهنا استخدم أسلوب الحكمة والتأمل، متفائلاً بعدم قطيعة محبوبته ووصلها بعد الهجر الذي حصل منه في غربته، فيخاطبه باعثاً في روحه الأمل بالوصل والوفاء في قوله:

يَا حَبِيبَ النَّفْسِ مَا جَدَّ      بِمَا كَانَ وَكَانَا؟  
هَلْ نَسِيتَ الْعَهْدَ وَالْوُدَّ      وَمَا ضَمَّ عُرَانَا  
لَا تَخُنْ وَدِّيْ كِفَانَا      الدَّهْرُ خَوَانَا كِفَانَا  
لَيْنَ قَلْبِي لَمْ يَذُبْ وَجْدَا      وَلَمْ يَغْنِ حَنَانَا  
حَسْبُهُ مِمَّا لَقِيَ فِي الْـ      وُدِّ ذَلَا وَهَوَانَا<sup>(77)</sup>

فالشاعر يذكر محبوبته بالعهد والود، وما اتفقا عليه من الإخلاص، ناهياً إياه عن الخيانة والقطيعة، متعوذاً من ذلك، متمنياً لقلبه الحب والود الذي ذاب فيه، ويكفيه ما لقيه من معاناة وذل بسبب هذا الود والحب.

### الإخلاص والوفاء للمحبة:

يقوم الإخلاص والوفاء على الوصل وعدم الخيانة بين المحبوبين، وخصوصاً إذا أصبح هناك بُعْدٌ وغربة من طرف واحد، فربما يؤثر البين والنوى في أحد المحبوبين، ويسبب القطيعة والهجر الذي ينتج عن الوشاة من ناحية، وعدم الإخلاص من ناحية أخرى، وفي الإخلاص وتأكيد الوفاء للمحبة يقول «محمود شاكر»:

لا خابَ ياربُّ له مُرتجى وثبَّتَ اللهُ خُطى جَدِّه  
ولا أراهُ السُّوءَ في صاحبٍ قد أَرَضَعَ الإخلاصَ من مَهْدِه  
ولن يَخُونَ العهدَ في ذِمَّةٍ حتَّى يُوارى في ثرى لحدِّه<sup>(78)</sup>  
يدعو الشاعر لمحبيه بتحقيق آماله وثبتت خطاه على الحب والإخلاص، وأن يحمي صاحبه من كل سوء، مثبتاً أن إخلاص صاحبه رضعه منذ صغره، مؤكداً عدم خيانتة، ووفاءه بالعهد حتى الموت، مكرراً ذلك في موضع آخر بقوله:

ومن خانَ في الأرضِ خانَ السَّماءِ وكانتْ له النَّارُ بالمرصد  
ومن كانَ بالعهدِ مُستَمسِكاً أَصابَ غداً جَنَّةَ الموعدِ<sup>(79)</sup>  
يؤكد الشاعر على أن خيانة العهد خيانة لله، ومن خان الله فجزاؤه النار، وأن جزاء الوفاء بالعهد الجنة، مؤكداً -في مطلع هذه القصيدة-

على حبه الوفاء وكرهه الجفاء والخيانة، وعدم سماع الوشاة في قوله:  
أحبُّ الوفاءَ، وأقلى الجفا  
إذا أنا أحببتُ مَنْ راقني بذلتُ له مُهْجَةَ المُفْتَدِي  
فلا أسمعُ القولَ - قولَ الوشاة - ولا سُوءَ يَرْجُوهُ مِنِّي غدي<sup>(80)</sup>

### حفظ الود رغم طول الغربة:

برز عند الشاعر تأكيد الوفاء بالعهد وعدم الخيانة، وإن طالَّت الغربة وانقطع الوصل الذي فرضه الدهر بغير قصد، وإنما طبيعة الحياة وأمورها؛ حيث نجد الشاعر يؤكد عدم النسيان، وإن طال الفراق في قوله:

لَسْتُ أَنْسَى، وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُ      وَمَضَى هَازِلٌ وَأَقْبَلُ جَدُّ  
لَسْتُ أَنْسَى، عَلَى الْبَعَادِ وَإِنْ كَا      نَ النَّوَى يَنْسَخُ الْمَوَاضِي وَيَعْدُو  
مَا لَقِينَا فِيمَا لَقِينَا مِنَ الدَّهْرِ      رِ كَمَثَلِ النَّوَى؛ فَمَا مِنْهُ بُدُّ (81)  
وفي قوله:

بَيْنِي وَبَيْنَ الْحَبِيبِ مِنْ صِلَةٍ      مَا فَكَ مِنْ حَبْلِ عَقْدِهَا الْقَدَمُ (82)  
الصلة بين الشاعر وبين أحبائه لا يقطعها طول الفراق، فهي قديمة  
لا يمكن أن يقطع حبلها البعاد.

### الخوف من الجفاء بسبب الغربة:

ظهر عند الشاعر خوفه من جفاء المحبوبة بسبب طول الغربة  
وانقطاع الوصل، وذلك في غير موضع (83)، ومن ذلك قوله:  
كَمْ حَبِيبٍ أُوْدُهُ، نَلْتُ مِنْهُ      قَسْوَةً مِثْلَ قَسْوَةِ الْمَعْشُوقِ  
صَدٌّ مِنْ بَعْدِ وَضْلِهِ وَتَنَاءَى      بَعْدَ قَرَبٍ عَنْ صَاحِبٍ وَصَدِيقٍ (84)  
ويختم أيضاً بالحديث في هذا الموضوع بقوله:

لَيْتَ قَلْبِي لَمْ يَحْتَمِلْ لَكَ وُدًّا      لَمْ تَكُنْ فِي جَزَائِهِ بِرَفِيقٍ  
غَيْرَ أَنِّي عَلَى وَصَالِكَ وَالْهَجْ      رِ مُطِيقٌ إِنْ كُنْتَ غَيْرَ مُطِيقٍ (85)  
وقد بدافي النموذج الأول تأكيد ذلك بـ «كم» الخبرية التي تفيد  
الكثرة بعدد المحبين الذين سرَّ بودهم، ولكنهم يقابلون هذا الود  
بالجفاء الذي شبهه بجفاء المعشوق والمحبوبة؛ حيث يصد من بعد  
الوصل، ويتباعد بالهجر والقطيعة، ثم يتمنى في النموذج الثاني لقلبه  
عدم تحمله حبه ووده منذ البداية؛ حيث لم يستطع القطيعة، بل سيبقى  
على وصاله وإن هجره المحبوب.

### المبحث الرابع: الغربة والمعاناة:

عرفت الغربة بمظاهر البعد والنزوح مما جعل لها آثاراً سلبية  
تنعكس على المغترب، ولعل من أهمها الحنين والشوق، وألم الفراق

والبعد والحرقة على الأهل والوطن الذي ينتج عنه البكاء والهم وعدم النوم والحزن وغيره من آلام البين.

### البكائيات:

لا تخلو قصيدة أو مقطوعة في ديوان «الحجازيات» - أو تكاد - من البكائيات، وكانت الغربة هي السبب المباشر فيه، ولكن الفرق في هذه الظاهرة أننا نجد في بعضها التلميح والإشارة، وفي أغلبها التصريح الذي يعكس شدة الحزن والمعاناة وعدم تحمل البعد، وفقد الخلان والأهل.

إذ نجده يشبه الدمع بالبحر والماء والكثرة، وهنا يبرز تنوع الصور

في هذه البكائيات، وبصفة خاصة في رسم صورة الدمع في قوله:

|                               |                                       |
|-------------------------------|---------------------------------------|
| ثم مضى الدَّمْعُ على فيضه     | وَأَنْبَتَ الدَّمْعُ على خَدَّه..     |
| نباتٌ همٌّ ليس يذوي ولا       | يَذْبُلُ ما ضُمَّ على وجَدَه          |
| ليس بُكا التَّكَلَّى على هالك | مثل بُكاءِ ثارٍ من ودَّه              |
| وما استثار الدمع في موقف      | مثل فراقٍ خبت في ردَّه                |
| ومدمع العين - على صاحب        | في البين - أشوى منه في فقدَه          |
| لكنَّ للبين يداً عندنا...     | قد أغمدت سيفك في غمده <sup>(86)</sup> |

يفيد الشاعر استمرارية فيض الدمع، الذي يوحي بالكثرة والدوام، فشبهه بالسيل العرمم أو هيجان البحر، ولكن الصورة توحي بالسيل، وذلك لبقائه أثراً للنبات، حيث جعل هذا الدمع المستمر في الفيضان من العين مبقياً نباتاً على خده، واصفاً هذا النبات بالهم الذي شبهه بالحياة في إطلاق صفة (الذوبان والذبول) عند انقطاع الماء عن المرعى، حيث تصيبه هاتان الصفتان، ولكن الشاعر أكد على قوامه واخضراره بسبب رافد الدمع المستمر، داعماً قوله ببعض الأمثلة التي تؤكد استمرارية البكاء ودوامه لدى المغترب، حيث قال: ليس مثل بكاء المرأة على ابنها أو حبيبها، ولا البكاء في موقف ما، وليس في فقد

صاحب بأكثر من بكاء المغترب؛ لأن البكاء في هذه المواقف ليس بعده أمل فلا يدوم ولا يستمر مثل بكاء المغترب.

وفي صورة فريدة نجد الشاعر يطلق صفة المعدود على سيلان الدمع في قوله:

أَعْدُ دُمُوعِي وَهِيَ تَجْرِي حَفِيَّةٌ      قَرَى لُصْيُوفِ الشُّوقِ تَأْتِي تَوَالِيَا<sup>(87)</sup>

يطلق الشاعر العدد على كل سيلة تجري على الخد، فربما تتطلق وتذرف نصف ساعة، حيث يلقي عليها رقم واحد مثلاً وهكذا، وهنا إشارة إلى عدم التواصل في السيلان، وإنما تأكيد الاستمرارية والكثرة، حيث توافق الصورة السابقة بالنبات، فلو كان مستمرًا بغير انقطاع ما أنبت الهم، لكن الشاعر يضيف على صفة التجسيد صفة التشخيص في إطلاق صفة الاحتفاء الخاصة بالإنسان على الدمع؛ حيث قال: «تجري حفية»، ويزيد هذه الصورة جمالاً جعل جريان الدموع مادة يكرم بها ضيوف الشوق الذي تأتي متواليه، فكأن هذه الدموع لا تجري إلا إذا جاءت ضيوف الشوق، فهي تأتي تكريماً لها، وهنا أيضاً شخص الشوق، وجسد الدموع مرة، وشخصها أخرى، وفي هذه الصورة جمالٌ ربما تفرد به «محمود شاكِر» حيث أطلق صورة خيالية عالية المعنى والدلالة.

وثمة صورة أخرى طغت عليها المباشرة، لكنها توحى بالكثرة والاستمرارية في قوله:

رُبَّ بَاكِ فِي ذُرَى فَنَنِ      دَمْعُهُ الْمَذْرُوفُ مِنْ نَغْمِهِ  
تَلَقَّاهُ الْقُلُوبُ كَمَا      يَتَلَقَّى الْوَرْدُ مِنْ دِيمِهِ  
فِي اهْتِزَازٍ دَائِمٍ أَبَدًا      عَمَّ مِنْ فَرْعٍ إِلَى قَدَمِهِ<sup>(88)</sup>

جعل الشاعر ذرفان الدموع نغمة للحزن والغربة، أي: علامة تستقبلها القلوب وترحب بها بكل سهولة بغير رفض، حيث شبهها باستقبال الورد للمطر الذي يهبط عليه من السحاب والغيم فيجعله

يهتز، وهذا الاهتزاز المستمر يعم جميع بدنه وجسمه، فيؤثر على جميع أحاسيسه ومشاعره، وكأن الدمع يجري من عينيه حتى قدميه.

ولعل فقد المؤنس والرفيق في الغربة مما يزيد لواعج الغربة وآلامها في قول الشاعر:

لَسْتُ أَبْكِي مِنَ الْفِرَاقِ وَلَكِنْ      يَسْتَثِيرُ الدَّمُوعَ فَقَدْ الْمُوَاسِي<sup>(89)</sup>  
وفي شدة الدموع التي أنتجتها الغربة والتي تعدّ لهيب النار وحرارتها، يقول:

وَأَعْجَبُ مِنْ دَمْعَةٍ إِنَّهَا      وَقُودُ اللَّهْيَبِ وَعِيدَانُهُ<sup>(90)</sup>  
ويقول:

مِنْ دُمُوعٍ لَيْسَتْ مِنَ الْمَاءِ إِلَّا      فِي اسْمِهَا إِنَّهَا مِنَ النَّيرانِ<sup>(91)</sup>  
هكذا صارت الدموع عند الشاعر «محمود شاكر» نيراناً تحرق فؤاده، فقد انطلقت من مشاعره إلى قلبه، ومن قلبه إلى عينيه؛ لتهبط منها نار نابغة من أحاسيسه في الأساس.

### الحزن وألم البين:

لأزمننا الحديث عن الحزن وألم البين منذُ بداية البحث؛ لكون هذا المعنى جزءاً من عنوان الدراسة الذي تَمَثَّلَ في الغربة، وخصوصاً إذا كانت لعلم شاعر استطاع أن يعبر عنها في شعره وقت حدوثها، إن صدق العاطفة يبرز جماليات الصور التي نبعت من شدة معاناة الغربة، ولعلنا هنا نتناول مثلاً خاصاً، أو مثالين يوضحان هذا الجانب، وذلك في قوله:

لَمْ أَجِدْ فِي الْحَيَاةِ أَقْسَى عَلَى الْقَدِّ      بَ مِنْ الْبَيْنِ أَوْ دِفَاعِ النَّزُوعِ  
إِنْ يَطْعُكَ الْبُكَاءُ فِي الْبَيْنِ وَالْحُدِّ      بَ فَمَا كَانَ حُبُّهُ بِمُطِيعِ  
فَإِذَا لَمْ يَجِدْ طَرِيقاً إِلَى الْعَيْدِ      نَ فَإِنَّ الطَّرِيقَ بَيْنَ الضُّلُوعِ  
وَإِذَا ذَاقَتِ الْعُيُونُ هُجُوعاً      لَمْ يُغَادِ الْقُلُوبَ زُورُ هُجُوعِ<sup>(92)</sup>

يؤكد الشاعر أن الحياة لا يوجد فيها أقسى على القلب من البين والشوق، وإن استطاع أن يسيطر على الدمع والبكاء في الغربة والبعد، فلن يستطيع أن يسيطر على حب الوطن والأهل في الغربة، وهنا يظهر الشاعر الصراع بين العين والقلب، فربما يستطيع أن يكتّم ألم العين ويستتر شوقها أمام الناس، لكن القلب لا يستطيع التحكم به والسيطرة عليه، وهو الذي يكون خلف العين ودموعها، فربما يخفف عليها نهاراً؛ لكنه يوقد حزنها ليلاً، كما رأينا سابقاً، وربما كان ذلك دليلاً على قوة شكيمة الشاعر كي لا يَفْرَحَ أعداؤه ويشمتوا بآلامه وأحزانه، فقوته ظاهرة من خلال احتواء جزء كبير في الديوان على الحكم والأمثال كي يخفف من وطأة الحزن، وَلَا يُشْمِتْ أعداءه، وربما يكون ذلك أحد أسباب عدم نشره الديوان أيام حياته، مع أن غربته كانت بداية حياته، والديوان لم ينشر إلا مرة واحدة بعد مماته بثمانية عشر عاماً.

ومن آلامه التي تحدث عنها في غربته حزن الفؤاد وشوقه على وطنه الذي كان عليه أشد من لهيب جمر الغضا في قوله:

طَوَيْتُ عَلَى مِثْلِ جَمْرِ الْغُضَا شَجِيَّ الْفُؤَادِ وَأَسْوَأَهُ  
غَرِيبٌ عَنِ الدَّارِ ذُو حَنَّةٍ تَبَاعَدَ وَاشْتَتَّ سَلَوَانُهُ<sup>(93)</sup>

فالشاعر يقول إنه ضم قلبه على حنين حارق، مثل: (جمر الغضا)، وقد أحسن الشاعر استخدام هذا التعبير، فإن الغضا - ويقال الغضى - «شجرٌ من الأثل خشبه من أصلب الخشب، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ»<sup>(94)</sup>، فأكد لنا الشاعر بهذا الاستخدام على أن جمر الغربة دائم الحرق في قلبه.

### الليل والطيف:

كان لألم الغربة وهمها هيجان عند ظلام الليل، فتستعر الهموم وتوقد نيرانها، كأنها الحمى التي لا تزور إلا في الظلام، ومن ذلك قول الشاعر:

لَهُمْ شَانُهُمْ وَلَهُ شَانُهُ إِذَا لَبَسَ اللَّيْلَ إِدْجَانُهُ<sup>(95)</sup>

وقوله:

أَحْلَلْ لِكُلِّ جَفْنٍ سُبَاتٌ وَحَرَامٌ كَرَى عَلَى أَجْفَانِهِ<sup>(96)</sup>

يصرح الشاعر بالعذاب والمرارة وشدة الحرقة من الغربة التي تحرمه من النوم والراحة ليلاً، مبرزاً الصراع بين آلامه وحرمان هذه الغربة لعينييه، والنوم خلاف غيره من الناس الذين يتمتعون بنومهم وراحتهم. ويشكو الشاعر في مقطوعة أخرى من آلام الغربة وحرقتها وسخاء الفؤاد بالدماء الحارة، وعدم النوم الذي اشتد بحرارة العين، حيث يرسل الأنين المؤلم في جوف ظلام الليل الذي شبهه بظلام البحر، فلا يكفكف دموعه أو يسليه سوى شدة الظلام، وذلك في قوله:

بَاتَ يَبْكِي بِدَمْعِ عَيْنٍ سَخِينِ وَفُؤَادٍ يَسْخُو بِحَرِّ الدِّمَاءِ  
يُرْسِلُ الْأَنَّةَ الشَّجِيَّةَ فِي جَوْ فِ ظَلَامٍ كَظْلَمَةِ الدَّامَاءِ  
مَا يَرَى مِنْ مُكَفَّكِ دَمْعٍ عَيْنِيْ هِ وَلَا قَلْبِهِ سِوَى الظُّلْمَاءِ<sup>(97)</sup>

ولعل الهم<sup>(98)</sup> هو الدافع الأكبر الذي يوقد هذه الحرقة في ظلام

الليل، كما قال:

يَا مَعِينَ الْهُمُومُ!! هَلَّا تَلَبَّثْتُ لَيْلًا قَلِيلاً حَتَّى يُقْضَى الرُّقَادُ!!  
يَا مَعِينَ الْهُمُومُ!! حَسْبِي فَقَدْ زُدْتُ وَزَادَ الْبُكَاءُ وَالتَّسَاهُدُ<sup>(99)</sup>

هنا تأكيد على البكاء بسبب زيادة الهم؛ حيث تمنى الشاعر منه التريث حتى ينجلي الظلام، ولكن هذا الأمر يخرج من منطلق مقولة: إن الهم أشد خلق الله؛ حيث «كان يقال أشد خلق الله تعالى عشرة: الجبال، والحديد ينحت الجبال، والنار تأكل الحديد، والماء يطفئ النار، والسحاب يحمل الماء، والريح تصرف السحاب، والإنسان يقني الريح لحاجته، والسُّكَّر يصرع الإنسان، والنوم يذهب السُّكَّر، والهم يمنع النوم، فأشد خلق ربكم الهم»<sup>(100)</sup>، وقد انطلق نهر معين دائم من

الهموم جعل عين الشاعر لا تكف عن إطلاق الدموع، وجعلها لا تذوق النوم.

### المبحث الخامس: حديث الغربة:

تجلى حديث الغربة عند الشاعر «محمود شاعر» في العلاقة القوية بين أحاسيس الشاعر وأفكاره من ناحية، وبين حديث الحيوان - مثلاً - في الطيور - والطبيعة من ناحية أخرى، توازرها أحاديث الذات التي تتمثل في حديث الهموم، والنفس، والقلب، والعقل، والعين، والشوق، والشاعر يتوجه بحديثه إلى بعض أنواع الحيوان، وليس بمستغرب أن يختار أرق أنواعه، فيقبل على الطيور؛ لبدأ الحمام الذي عرف عنه النوح على الغائب، و«الحمام جمع، الواحدة حمامة للذكر والأنثى»<sup>(101)</sup>، وللحمامة صوت هو الهديل، و«الهديل: ذكر الحمام، والهديل: صوت الحمام... والهديل: فرخ كان على عهد نوح - عليه الصلاة والسلام - فصاده جرح من الطير، فليس من حمامة إلا وتبكي عليه إلى يوم القيامة»<sup>(102)</sup>، والشعراء هزهم نواح الحمام منذ عرفوا الشعر، فإن في صوت الحمامة شجناً يهز المشاعر، وناحت الحمامة تنوح نوحاً ونواهاً: سَجَعَتْ، فهي نائحة ونواحة<sup>(103)</sup> يبوح هديلها بالحنين للحبيب الغائب، وقد باح الشاعر «محمود شاعر» بحديث الغربة الذي يردده حديث الحمام الباكي، فقال في قصيدة «البعاد والهجر»:

يا حماماً فوق الغصون تغنى  
نحن في النوح دائبان فقل لي:  
أنت تبكي بدمع عين أسير  
أي خلت تبكي بكل طريق؟  
أينا في البكاء أشقى؟ وأي  
وبكائي بدمع عين طليق  
قلبه بالبكاء جد خفوق؟<sup>(104)</sup>

يتحدث الشاعر إلى الحمام الذي وقف فوق غصون الأشجار يتغنى بصوت باح بالهم والحزن واهتاج للذكرى، وبالرغم مما في صوت

الحمام من نوح إلا أنه صوت محبوب لما فيه من شجن يحرك أحاسيس من يسمعه.

ثم يقول الشاعر مناجياً الحمام: أيها الحمام، أنا وأنت ندوم على النوح فقل لي: أي صاحب تبكي في كل مكان تذهب إليه؟

ويضيف الشاعر: أنت يا حمام تبكي بدمع يهمني من عين أسير، بينما بكائي بدمع يهمني من عين طليق حر، بعد أن ابتعدت عن أحبابي وأصحابي، وارتميت في الغربة.

ويتساءل الشاعر: مَنْ الأكثر شقاءً في بكائه أيها الحمام... أنا أم أنت؟ .. وأي واحد منا قلبه يخفق حقاً بالبكاء؟! ويواصل الشاعر «محمود شاكر» حديثه مع الحمام، فيقول في القصيدة ذاتها:

أَنْتَ تَبْكِي بِنَغْمَةٍ تَوْقِظُ النَّاسَ      ثُمَّ مِنْ عَشَقٍ عَاشِقٍ مَوْهُوقٍ  
كَمْ هُمُومٌ أَحْيَيْتَهَا فِي فُؤَادٍ      غَرَقْتُ مِنْهُ فِي مَكَانٍ عَمِيقٍ!!  
وَفُؤَادِي بِالشَّعْرِ لَازِلٌ يَهْتَزُّ      بِأَوْتَارِ شَائِقٍ وَمَشُوقٍ<sup>(105)</sup>

أنت تبكي أيها الحمام، فتوقظ النائم من حب عاشق محبوس، وما أكثر الهموم التي بعثتها وأحييتها في فؤاد! كانت قد غرقت فيه تلك الهموم! أما فؤادي فهو لم يزل يهتز بأوتار تبعث الأنغام ما بين من يشواق، ومن يشواق إليه من الأحبة.

ثم يخاطب الشاعر الحمام، فيقول:

يَا حَمَامَ الْغُصُونِ هِيَ .. فَقَدْ آ      نَ أَوَّانَ التَّغْرِيدِ وَقْتَ الشَّرُوقِ  
قَدْ خَلَعْتَ الْعِذَارَ .. فَاخْلَعْ وَهِيَ      نَتَغَنَّى فِي كُلِّ رَوْضٍ أُنِيقٍ<sup>(106)</sup>

إنه يوجه حديثه إلى الحمام الواقف على غصون الأشجار، فيقول له: قد حان وقت الغناء مع شروق الشمس، وأنت - أيها الحمام - قد انهمكت في الغي حين خلعت العذار<sup>(107)</sup>، فلا بأس.. اخلعه، وهيا بنا معاً نتطلق كي نتغنى في الرياض الأنيقة.

ويستحضر الشاعر نوح الحمام حين يأتي زمان الدموع والنواح،  
فيقول:

أَنْ أَنْ تَذْرِفِي الدَّمْعَ سَجَامًا      وَتَنُوحِينَ مَا يَنُوحُ الْحَمَامُ  
وَتَبْكِينَ لِّلْيَالِي الْمَوَاضِي      وَالبَوَاقِي: خَطُوبُهُنَّ جَسَامُ<sup>(108)</sup>

والشاعر «محمود شاکر» لا يسمع النواح في غناء الحمام وحده،  
وإنما يسمع النواح في تغريد العصافير أيضاً، وربما يظن الخلق أن  
العصفورة طروب، لكنه يرى حقيقة تغريده، فما ذلك التغريد غير  
النواح؛ لأن فيه ما فيها من أحزان البعاد، فيقول «محمود شاکر»:

أَعَصْفُورَةٌ فَوْقَ الْغُصُونِ مُرْنَةً      وَتَبْكِي، كَمَا تَبْكِي الْمُحِبُّ طُلُوءَ  
لَهَا جَسَدٌ نَضُو دَقِيقٌ كَأَنَّهُ      عَلَى الْعُودِ عُودٌ بِالْهَمُومِ قَوْوُلُ  
وَيَحْسِبُهَا غَيْرِي طُرُوبًا، وَمَا دَرَى      وَإِنِّي - إِذَا مَا خَلْتُهَا - لَجُهْلُ  
فَبِي وَبِهَا مِمَّا أَلَمٌ مُشَابَهُ      أَلَا تُكْرِهَا؟.. إِنِّي إِذْنُ لِكَلِيلِ<sup>(109)</sup>

يقول الشاعر: إن عصفورة تُصَوِّتُ وتُصِيحُ فوق الغصون وتبكي،  
كما تبكي الأطلال على المحب الذي فارق دياره، ولهذه العصفورة جسد  
هزيل نحيل كأنها عود وقف على عود الشجرة، لكنها عود يقول بما  
يعتمل في صدره من هموم وأحزان، ويظن غيري من الناس أنها تطرب،  
وإنني أكون جاهلاً لو ظننتُ مثلهم، فأنا وهذه العصفورة يجمع بيننا ألم  
الغربة وحزنها، ولا يمكنني أن أنكر وجه الشبه بيني وبينها، فإن كلاً منا  
في غربة قاسية، ثم يبيِّن الشاعر وجوه الشبه بينه وبين تلك العصفورة،  
ذاكراً أن الناس يرون وجوه الشبه، ولا ينكرونها، وكيف يمكنهم إنكارها  
ولدى كل منها صيحة وعويل؟ وهو نحيل والعصفورة نحيلة أيضاً، غير  
أنها تطير ثم تقف على كل غصن بينما الشاعر مقيم لا يطير، يظلمه  
الفراق والغربة، وفي ذلك يقول:

وَمَا يَنْكُرُ النَّاسُ التَّشَابَهَ بَيْنَنَا      وَكَيْفَ وَهَاتَا : رَنَّةٌ وَعَوِيلُ؟  
كَلَانَا نَحِيلٌ، غَيْرَ أَنْ ظَلَالُهَا      عَلَى كُلِّ عُودٍ طَائِرٌ وَحَلُولُ

وإني نزيلٌ لا أطيّر، يُظِلُّني من البين ظلٌّ دائمٌ.. وظليلٌ<sup>(110)</sup>

ثم يطلب الشاعر إلى العصفورة أن تطيل تغريدها وألحانها، فلعل ألحانها تسعده؛ لأن شعره يجري بحوراً من دموع الغربة، فربما تتلاقى دموعه ودموعها ويتحدث دمهعه ودمعها، وربما يجد في ذلك السلوى؛ حيث يقول «محمود شاكر»:

أعصفورة الوادي.. تَغْنِيْ فَإِنِّي لِلْحَنَكِ مَشْتَاقُ الْفُؤَادِ عَجُولُ  
عَنَائِي طَوِيلٌ، عَلَّ لَحْنِكَ مُسْعِدِي فَلَا تَبْخَلِي إِنِّي إِلَيْكَ بِذُولُ  
إِلَيْكَ.. فَهَذَا مَنْطِقُ الشَّوْقِ فَاسْمَعِي بَكَاءَ الْقَوَافِي؛ إِنَّهَا لَتَكُودُ  
لَهَا عَبْرَةٌ تَجْرِي بِحُورًا حَذَاءَهَا جِدَاوُلٌ مِنْ حُمْرِ الدَّمَاءِ تَسِيلُ  
فِي شَتَايَاكَ الْهَمِّ إِمَّا تَلَاقِيَا وَيَجْرِي حَدِيثُ الدَّمْعِ ثُمَّ يَطُولُ<sup>(111)</sup>

ثم يقول الشاعر للعصفورة بعد ذلك: يا مغنية الأغصان غني وأطربي سامعيك، ولا تبخلي، فإن الفقير يبخل بما عنده، أما أنت فإن عندك من الغناء الكثير الذي يجعلك غنية بما لديك من ألحان وتغريد، وما لحق فقر بثرائك من الغناء، فأطربني بغنائك وابكي في أنغامك، كيفما شئت، فإنني أتحمل بكاءك، ولا تأخذك شفقة فتتوقفي عن البكاء، فإن فؤادي حنون على البكاء، راجياً أن تزول الهموم التي تزوره ليلاً، وإن فؤادي قوي على البكاء، وأطرافه تفهم البكاء، وإن صوتك يحيي ما مات من فؤادي أيتها العصفورة، وكم من قتيل حيا من بعد أن ظن أنه مات، فيقول «محمود شاكر» في ذلك:

فِيَا قَيْنَةَ الْأَغْصَانِ غَنِّي وَطَرَّبِي وَلَا تَبْخَلِي، إِنْ الْفَقِيرَ بِخِيلُ  
وَمَا لَحِقَتْ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - خَلَّةٌ بَوْفُورِكَ، فَابْكِي إِنِّي لِحَمُولُ  
وَلَا تَشْفَقِي!... إِنْ الْفُؤَادَ عَلَى الْبَكَاءِ حُنُونٌ، وَطَرَّاقُ الْهَمُومِ تَزُولُ  
وَلَا تَشْفَقِي!... إِنْ الْفُؤَادَ عَلَى الْبَكَاءِ جَلِيدٌ، وَأَطْرَافُ الْفُؤَادِ عَقُولُ  
وَصَوْتُكَ يُحْيِي مِنْ فُؤَادِي مَوَاتَهُ وَكَمْ حَيٍّ مِنْ بَعْدِ الظُّنُونِ قَتِيلُ<sup>(112)</sup>

ويتوجه الشاعر بعد ذلك بالحديث إلى صديقه أبي الفضل.

## حديث الغربة وحديث الطبيعة:

استخدم الشاعر «محمود شاعر» حديث الطبيعة خلال حديثه عن الغربة، فاستخدم - من مفردات الطبيعة - ما يعينه على إيضاح مشكلات الغربة؛ فجنده يستخدم الريح طالباً منها أن تحمل رسائله إلى أحبابه، وفي ذلك يقول:

يَارِيحُ هَلَّا حَمَلْتَ سَالِمَةً      رَسَائِلِي، فَالْبَنَانُ مُنْحَطَمٌ  
لَا أَمْنُ الْبَرْقِ وَالْبَرِيدِ، وَلَا      أَمْنٌ إِلَّا الرِّيحَ تَقْتَحِمُ<sup>(113)</sup>

فالريح هي المأمونة في حمل رسائل الشاعر من غربته إلى أحبابه في وطنه.

وقد استخدم الشاعر حديث النجوم خلال حديثه عن الطبيعة فقال:

يَا نَجُومَ السَّمَاءِ.. تَحِيَّةٌ مُشْتَا      ق، بَعِيدَ عَنِ خَيْرِ خَلٍّ وَدُودِ  
فَاحْمِلِيهَا إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُوَاسِي      مَوْلَعًا بِالْبُكَاءِ وَالتَّسْهِيدِ<sup>(114)</sup>

النجوم هنا أيضاً من مفردات الطبيعة التي جعلها الشاعر ممن يحمل رسائله إلى أحبابه على البعد، ويؤكد على حمل رسائله المفعمة بالنتهد والسلام، فيقول:

يَا نَجُومَ السَّمَاءِ.. تَنْهَدُ صَدْرُ      أَيُّ صَدْرٍ !! وَأَيُّ قَلْبٍ جَلِيدٍ !!  
فَاحْمِلِيهِ إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يُسَلِّي      مَوْلَعًا بِالْحَنِينِ وَالتَّنْهِيدِ  
يَحْسِبُ اللَّيْلَ سَجْنَهُ بَعْدَمَا كَا      نَ طَرُوبَ الْأَلْحَانِ غَيْرَ بَعِيدِ  
أَحْمِلِيهَا تَنْهَدًا وَسَلَامًا      إِنَّ هَمَّ الْفُؤَادِ كَالْتَّغْرِيدِ<sup>(115)</sup>

ويمتد حديث الشاعر إلى النجوم طويلاً، فهي سقياه، وهي الحنون عليه، وهي التي تسمع شكواه في الليل البهيم، وهو سعيد بالنجوم، بالرغم من أن حظه غير سعيد<sup>(116)</sup>.

وترتبط النجوم - في ظهورها - بمجيء الليل؛ لذلك تحدث الشاعر في غربته إلى الليل، ووجه حديثه إلى هدأة الليل في قوله:

ألا فاسمعي ياهدأة الليلِ قالتي ولا تتركيني بالهمومِ مُسَهَّداً<sup>(117)</sup>  
ولا نترك حديث الطبيعة قبل أن نُعَرِّجَ على ظلال الغصون  
المتشابكة، وهبوب ريح الصَّبَا اللطيفة، والندى يكسو الغصون باللؤلؤ،  
وربما كان - في هذه الغربة - يشبه دموع الغريق، بقوله:

في ظلال الغصون مشتجرات وهبوبُ الصَّبَا بروح رشيق  
والندى قد كسا الغصون بدرُّ كالدراري، أودمع عين غريق<sup>(118)</sup>  
وقد أكثر الشاعر من استخدام لفظ الغصن ومشتقاته من جمع  
وصفة، وغير ذلك.

استخدم الشاعر «محمود شاكر» أيضاً حديث الذات خلال حديثه  
عن الغربة؛ ومن ذلك: (حديث الهموم - حديث الشوق - حديث النفس  
- حديث القلب - حديث العقل - حديث العين).

وسوف نعرض - بإذن الله - نماذج من استخدام الشاعر لهذه  
الأحاديث التي وردت في ديوانه، فيقول في حديث الهموم على سبيل  
المثال:

كلما همَّ بالتسليّ أتته زُمرٌ تعتدي على سُلوّانه  
فهي تُحيي قلباً غريقاً بهمّ وتميتُ الغريقَ من إنسانه<sup>(119)</sup>

يقول: إنه كلما استعد ليبدأ بالنسيان جاءته جماعات من الهموم  
تهاجم محاولته للتسلي والسلوى والنسيان، فتعيد الحياة لقلبه الغريق  
بهمّ يملكه، وتقتل إنسان عينه الذي يغرق في دموعه، ونلاحظ هنا  
الجناس الذي استخدمه الشاعر للمقارنة بين قلبه الغريق في الهمّ  
وعينه. ثم يواصل الشاعر حديثه عن الهموم، لكنه في هذه المرة  
يتحدث إلى الهموم قائلاً:

يا همومي.. ألدّة لك تُقضي في سماع الشجيّ من أحنانه  
تقتضي محنتي وطول سهادي واعتكافي على الأسي ودنائه<sup>(120)</sup>

يناجي الشاعر همومه بحديث كله ألم، فيسألها سؤالاً كله مرارة، قائلاً: هل تتحقق لك لذة ياهمومي حين تنصتين إلى الألحان الحزينة من قلبي؟ تطلب محنتي حقها مني، ويطلب طول سهادي، ويطلب اعتكافي على الحزن، كل هؤلاء يطلبون ما يظنون أنه حقهم عليّ بسبب ما يحاصرني من هموم لا تكف عن ملاحقتي، فهل هذا ما يحقق لك اللذة أيتها الهموم التي لا تفارقتي؟!«

أما حديث الشوق فيقول فيه الشاعر «محمود شاكر»:

يَا مَنْطِقَ الشَّوْقِ بَلِّغْ؛ لَا تَكُنْ وَجَلًا      وَاحْمِلْ هَوَايَ بِالْفَاظِ وَوَجْدَانِ<sup>(121)</sup>  
إِنَّهُ يَطْلُبُ إِلَى حَدِيثِ الشَّوْقِ أَنْ يَفْصَحَ عَمَّا فِي قَلْبِهِ مِنْ عَشْقٍ  
لِلْحَبِيبِ وَلَا يَخْشَى، فَإِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمِلَ الْحُبَّ بِكَلَامٍ وَاضِحٍ وَبِمَشَاعِرٍ  
صَادِقَةٍ، ثُمَّ يَطْلُبُ إِلَى قَلْبِهِ أَوْ حَبِيبِهِ أَنْ يَطِيعَهُ، فَيَمِيلُ مَعَهُ حَيْثُ يَمِيلُ  
الشَّوْقُ؛ لِأَنَّ حَدِيثَ الْبَعِيدِينَ عَنْ أَحْبَابِهِمْ طَوِيلٌ:

تَعَالِ نَمْلٌ وَالشَّوْقُ حَيْثُ يَمِيلُ      فَإِنْ حَدِيثُ النَّازِحِينَ طَوِيلُ<sup>(122)</sup>  
وَيَتَجَلَّى حَدِيثُ الْغُرْبَةِ حِينَ يَتَحَدَّثُ الشَّاعِرُ إِلَى نَفْسِهِ؛ حَيْثُ تَكُونُ  
أَقْسَى حَالَاتِ الْغُرْبَةِ فِي أَوْقَاتِ الْوَحْدَةِ، فَلَا يَجِدُ الْغَرِيبَ مِنْ يَتَحَدَّثُ  
إِلَيْهِ، وَحِينَ ذَاكَ يَكُونُ حَدِيثُ النَّفْسِ هُوَ عَنَاءُ الْغَرِيبِ فِي مُحَاوَلَةِ صَعْبَةِ  
لِمُقَاوَمَةِ الْمَعَانَاةِ فِي قَوْلِ «مَحْمُودِ شَاكِرٍ»:

إِيهَ يَا نَفْسُ!! قَدْ قَضَيْتَ زَمَانًا      فِي الْأَمَانِيِّ؛ إِنَّهَا أَحْلَامُ  
لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأَمَانِيَّ حَدِيثًا      وَالْأَحَادِيثُ خُطْبُهُنَّ لِمَامُ<sup>(123)</sup>

ثم يواصل الشاعر حديث النفس واصفًا حالها؛ حيث كانت عهد  
الشباب، ولا يردها عن مبتغاها ملام أحد، إنما تمضي إلى ما تريد، كما  
يسقط على صيده الأسد القتال، ولا تهتم بما في الحداثق من نضارة،  
ولا تبالي بالليالي ولا بالأيام، بينما توجد قلوب كانت تحيط بنفسي،  
وتبعد عنها كل ما يسوء، فكانت المصائب نائمة نتيجة لذلك، فقد كان  
لديّ أب مشفق، وكانت لي أخت تحيطني بحنانها، وكان لي أخ يسهر

الليل حفاظًا على نفسي، وبدهي أن الشاعر لا يجد أي أحد من هؤلاء في غربته، وهذا يؤكد أن الوحدة من أقسى أعباء الغربة؛ حيث تجعل الشاعر يغرق في حديث النفس، فيقول:

ذاك عهدُ الشَّبَابِ تَسْتَأْثِرُ النَّفْسُ      سُسُ وَمَا إِنْ يَرُدُّ مِنْهَا الْمَلَامُ  
حِينَ تَهْوِي إِلَى الْمَرَادِ كَمَا يَهْوِي      وَيُؤَيِّ إِلَى الصَّيْدِ فَاتَكَ ضَرْعَامُ  
لَا تَبَالِي بِالرَّوْضِ كَانَ نَضِيرًا      وَاللَّيَالِي، وَالْخُدَامُ، وَالْأَيَّامُ  
وَقُلُوبُ تَحْفَها وَتَرُدُّ السُّوءَ      عَنْهَا وَالْحَادِثَاتُ نِيَامُ  
وَالدُّ مُشْفَقٌ وَأَخْتُ حُنُونٌ      وَأَخُ لَيْلُهُ عَلَيْهَا قِيَامُ<sup>(124)</sup>

نلاحظ وجود كسر عروضي في البيت الثالث من المقطوعة السابقة في قوله من بحر الخفيف:

لَا تَبَالِي بِالرَّوْضِ كَانَ نَضِيرًا      وَاللَّيَالِي، وَالْخُدَامُ، وَالْأَيَّامُ  
ونظن أنه يوجد خطأ مطبعي، فالمفترض أن يكون الشطر الثاني:  
(وَاللَّيَالِي، الْخُدَامُ وَالْأَيَّامُ)، ويكون تقطيعه كآتي: (فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن).

لقد نجح الشاعر في حديث النفس خلال تعبيره عن غربته، واستطاع توصيل معاناته عبر حديثه إلى نفسه في زمن غربته في كثير من المواضع<sup>(125)</sup>.

ويتحدث الشاعر أيضًا إلى قلبه، ويعبر عن حديث القلب خلال حديث الذات في الغربة، وهو يطلب إلى قلبه أن يتحدث حيث قال:  
أَهْ! يَا قَلْبِي! لَقَدْ زِدْتَ بَجَنَّبِي خَفَقَانَا  
أَهْ! يَا قَلْبُ! تَحَدَّثْ قَدْ أَقْلُنَا ذَا اللِّسَانَا  
وَأَعْرِضِ الْآمَالَ لَا تَخْشِ وَقَاكَ اللَّهُ شَرًّا وَوَقَانَا<sup>(126)</sup>

نلاحظ أن الشاعر كتب هذه القصيدة على مجزوء بحر الرمل: (فاعلاتن فاعلاتن) في كل شطر، فيكون البيت متكوّنًا من أربع

تفعيلات، وعلى هذا النظام سارت القصيدة، غير أن أحد أبياتها تكوّن من خمس تفعيلات؛ حيث يقول:

وَاعْرِضِ الْآمَالَ لَا تَخْشَ وَقَاكَ اللَّهُ شَرًّا وَوَقَانَا

فالتفعيلات جاءت هكذا:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

ويتحدث الشاعر عن قلبه في الغربية مستخدماً عدداً من الصور البديعة المتتالية، حيث صور اضطراب قلبه مثل اضطراب برق يحاول أن يشتعل باحتكاك الغمام بعضه ببعض مثل من يريد اقتداح النار، ويقول: إنه قَلِقٌ لا يستقر، مثل من شرب الخمر صبغاً، أو كأن الشاعر شرب خمرًا معتقة قديمة، وكأن قلبه هو القدح الذي شرب فيه تلك الخمر بقوله:

يَا قَلْبُ!! مَا لِي أَرَاكَ مُضْطَرِبًا كَبَارِقٍ فِي الْغَمَامِ يَقْتَدِحُ  
لَا يَسْتَقِرُّ الْفُؤَادُ مِنْ قَلِقٍ كَأَنَّهُ بِالْمَدَامِ مُصْطَبِحُ  
أَوْ أَنَّنِي شَارِبٌ مُعْتَقَةٌ وَأَنْتَ، يَا قَلْبُ! فِي يَدِي قَدَحٌ (127)

وباح الشاعر بحديث العقل الذي يلومه على ما هو فيه من قلة الراحة، قائلاً:

دَعِ اللَّوْمَ، لَوْ كَانَ لِي رَاحَةٌ عَلَى اللَّوْمِ - كُنْتُ لَهَا وَارِدًا  
دَعِ اللَّوْمَ، يَا عَقْلُ! حَتَّى مَتَى تَلُومُ وَتَعْنِفُ فِي ذَا الْهَدْيِ  
تَقُولُ: يَغِيبُ، وَيَغْدُو عَلَيْكَ فَهَلَا تَغِيبُ بَعِيدَ الْمَدَى!!  
فَدَعْنِي، وَلَا دَعِ اللَّوْمَ عَنْكَ وَذَكَّرَ بِيَوْمِي وَأَنْسَى الْغَدَا (128)

فالشاعر يؤكد على عقله أن يترك اللوم، وإن كان يريد أن يذكر، فليذكر بما يجري في هذا اليوم، وأن ينسى ما سيكون في الغد.

أما حديث العين فيقول عنه الشاعر:

يَا مُقَلَّةً سَهَرْتُ، وَالْهَمُّ يَمْلُؤُهَا مَهْلًا عَنِ الدَّمْعِ إِذْ يَجْرِي وَيَنْهَمُرُ

إن ساءَكَ الدهرُ يوماً ما عداكَ بلا      عودَ السرورِ فهذا الخطأُ مُغتَفَرُ  
ولذّةُ المرءِ لا تحلو إذا وردتْ      على الفؤادِ عداهُ الهمُّ والضجرُ<sup>(129)</sup>

يتحدث الشاعر في غربته إلى عينه التي ملأها الهم، فيطلب إليها التَّمَهَّلَ عن الدمع الذي يجري منها ويسيل بغزارة، فإذا كانت الأيام قد باعدت الهناء والسرور فلا بأس، فإن لذّة الإنسان تتحقق إذا جاءت بعد أن يذوق الإنسان الهم والضجر، ولا تحلو إلا لمثل هذا الإنسان.

هكذا تناول الشاعر «محمود شاكر» حديث الغربة في ديوانه "الحجازيات"، ذاكرًا حديثَ الحيوانِ متمثلاً في الحمام والعصفور، وحديثَ الطبيعة ناطقاً في الريح والنجوم والليل، كما تناول حديث الذات، فتوسع فيه من خلال أحاديث الهموم، والشوق، والنفس، والقلب، والعقل، والعين، فناجاها، وتحدث إليها، وتحدثت إليه، وباحت بمعاناة الشاعر في أحاديث مؤثرة، تتحرك بها المشاعر، وتسرح فيها الأفكار، ويحلّق معها الخيال.

### الخاتمة:

- تناولت الدراسة الغربة في ديوان «الحجازيات» لأبي فهر «محمود شاكر»، وكشفت مرحلة من حياة الشاعر تمثلت في بداية حياته، إذ لم تتجاوز عامًا واحدًا، وصقلت موهبته الشعرية، وأخرجت ما به من إبداع فني تمثل في صور خيالية فريدة؛ حيث اشتمل الديوان على كثير من التجارب والحكم، وقد أصبحت هذه الغربة منعطفًا في حياة الشاعر العلمية والعملية.

- اقتصرَت الدراسة على الغربة، وما يتبعها من اغتراب ناتج عن الشوق والحنين للمكان، فضلًا عما مرَّ على الشاعر من اغتراب اجتماعي وروحي، وما إلى ذلك.

- كشفت الغربة عن حبّ الوطن والولاء والوفاء له عند الشاعر، فكان لفراق الوطن أثرٌ كبيرٌ على الشاعر، حيث عبر عنه بالبكاء والحزن والشوق ولوعة الفراق، ووصف حاله عند الرحيل.

- صرّح الشاعر بحب الأصدقاء الذي كان لذكرياته معهم الدافع الكبير في هذا التصريح، وذلك في بعض المواقف؛ ذاكرًا توافق القلوب، والود، وذكرى العهود والوفاء، وتقارب النفوس، وذكرى التلاقي، حيث كانت ذكريات الأصدقاء تقيد الرمز لذكرى الوطن والديار.

- أصبحت الذكرى أثرًا في إعادة صورة الوطن والأقارب والأصدقاء، من خلال استرجاع المواقف والأحداث حين خلا الشاعر بنفسه؛ مما انعكس عليه في اشتعال الغربة والحنين والشوق لمعانة القلب وبكاء العين وحرقة الأسى والحزن عليهم في الغربة.

- كشفت الدراسة علاقة الشاعر بالمحبة التي كان لها أثرٌ في الغربة، فهو فقد الوطن والأصدقاء عند غربته، ولكن فقد المحبة الغربية بذاتها، فتؤكد الدراسة اغتراب الغربة ببعد محبوبته، فانعكست عند الشاعر على التصريح بالحب والشوق، والأمل في الوصل والوفاء والإخلاص وحفظ الود، والخوف من الجفاء الذي ربما أصبحت الغربة أحد أسبابه.

- انعكست الغربة عند الشاعر بالمعاناة السلبية التي نتج عنها الحنين والشوق وألم الفراق والبعد والحرقة على الأهل والوطن والمحبة؛ فتجسدت في البكاء والهم وعدم النوم والحزن؛ حيث لازمته هذه المعاناة طيلة غربته، فأثرت على عدم البقاء في الغربة، فلم تتجاوز عامًا واحدًا.

- لجأ الشاعر في غربته إلى الحديث مع الغربة، فتنوع الحديث عنده مع الطيور؛ حيث تمثلت مع الحمام والعصفور، وحديث الطبيعة من

ناحية أخرى تجلت في الريح والنجوم والليل، وظهر الحديث مع الذات في الهموم، والشوق، والنفس، والقلب، والعقل، والعين، وتعد الوحدة التي تجرع من خلالها آلام الغربية الداعي إلى محادثة الطيور والطبيعة والذات التي دارت في مواضع كثيرة.

## الهوامش

(1) هو محمود محمد شاكر أحمد عبد القادر، من أسرة أبي علياء، من أشرف «جرجا» بصعيد مصر، ولد بالإسكندرية سنة 1327هـ، 1909م، أسرته أسرة عِلم فوالده «محمد» عالم، تولى منصب قاضي قضاة السودان، وأخوه «أحمد» كان عالماً في الحديث. التحق بكلية الآداب قسم اللغة العربية عام 1926م، واستمر بها إلى السنة الثانية، حيث نشب خلاف بينه وبين أستاذه الدكتور «طله حسين» حول دراسة منهج الشعر الجاهلي، وفي سنة 1928م، 1347هـ ترك الجامعة وسافر إلى الحجاز وعمل بها، لكنه ما لبث أن عاد إلى القاهرة خلال عام 1929م، شارك في الصحافة، ثم انقطع للعمل بالتأليف والتحقيق ونشر النصوص، فأخرج جملة من أمهات الكتب العربية، والموروث الثقافي، كرمته الدولة، فأهدته «جائزة الدولة التقديرية في الآداب» عام 1381هـ، ونال جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي عام 1404هـ، توفي - رحمه الله - سنة 1997م، عن ثمان وثمانين سنة. (ينظر: من أعلام العصر، أسامة أحمد شاكر، (ص 73، 78). ودراسات عربية وإسلامية، لمحمود المدني، ومحمد الخانجي، ومحمود فخر، (ص 13، 15)، مجلة الأدب الإسلامي، أبو فهر، محمود محمد شاكر سيرة حياته وأثاره، م 4، ع 16، 1418هـ، 1997م، ص 4، ومعجم محمود محمد شاكر، المكتب الإسلامي، لمنذر محمد سعيد أبو شعر، (ص 7، 11)، وآراء محمود شاكر وجهوده اللغوية، لمحاسن أحمد محمود مولوي قربان، (ص 10)، وروافد، أمانى حاتم مجدي بسيسو، محمود محمد شاكر دراسة في حياته وشعره، الإصدار 66، يونيو 2013م، رجب 1434هـ، الكويت، ط 1، ص 19، 24، 27).

(2) ديوان الحجازيات، محمود محمد شاكر (ص 3).

(3) المرجع السابق (ص 3).

(4) الحجازيات (ص 4)، وانظر: (ص 21).

(5) المرجع السابق (ص 22).

- (6) الصحاح، للجوهري (191/1).
- (7) المرجع السابق (191/1).
- (8) الصحاح، للجوهري (193/1)، ولسان العرب، لابن منظور (639/1) مادة غرب.
- (9) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لابن سيده (298/5)، مادة غرب، ولسان العرب، لابن منظور (639/1) مادة غرب.
- (10) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لابن سيده (298/5)، مادة غرب، ولسان العرب، لابن منظور (638/1) مادة غرب، و تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (460/3)، مادة غرب.
- (11) الصحاح، للجوهري (193/1)، ولسان العرب، لابن منظور (638/1) مادة غرب، و تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (460/3)، مادة غرب.
- (12) الصحاح، للجوهري (193/1)، ولسان العرب، لابن منظور (638/1) مادة غرب، و تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (460/3)، مادة غرب.
- (13) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لابن سيده (298/5)، مادة غرب، ولسان العرب، لابن منظور (638/1) مادة غرب، و تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (457/3)، مادة غرب.
- (14) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لابن سيده (299/5)، مادة غرب، ولسان العرب، لابن منظور (639/1) مادة غرب، و تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (465/3)، مادة غرب.
- (15) المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، لابن سيده (299/5)، مادة غرب، ولسان العرب، لابن منظور (639/1) مادة غرب.
- (16) لوامع على شاطئ الغربية، لحمد القحطاني (ص 6).
- (17) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لحسين بن محمد الراغب الأصبهاني (613/4).
- (18) الإشارة الإلهية، لأبوحيان التوحيدي (ص 57).
- (19) الاغتراب وعلاقته ببعض متغيرات الصحة النفسية لدى الطلاب اليمنيين في جمهورية مصر العربية، لأحمد محمد أحمد الجرُمُوزي (ص 25).
- (20) الاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري، لأحمد علي إبراهيم (ص 18).
- (21) الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، لعزیز السيد جاسم (ص 10).
- (22) الغربية في الشعر الجاهلي، لعبد الرزاق الخشروم (ص 13).
- (23) الحنين والغربة في الشعر العربي- الحنين إلى الأوطان، ليحيى وهيب الجبوري (ص 16).

- (24) المرجع السابق (ص 17).
- (25) الاغتراب في الشعر الأموي، لفاطمة حميد السويدي (ص 3)، والاغتراب في القصيدة الجاهلية دراسة نصية، لمحمود سليم هياجنة (ص 8)، والاغتراب في الشعر العراقي في القرن السابع الهجري، لأحمد علي إبراهيم (ص 14)، وينظر: مها روي إبراهيم الخليلي، الحنين والغربة في الشعر الأندلسي «عصر سيادة غرناطة: 635-897 هجرية»، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2007م، ص 23.
- (26) الغربة والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني بعد المأساة، لأمين صالح محمود عبد ربه (ص 91).
- (27) محمود رجب، الاغتراب، منشأة المعارف المصرية، الإسكندرية، 1978م، ج 1، ص 34.
- (28) أمين صالح محمود عبد ربه، الغربة والحنين للوطن في الشعر الفلسطيني بعد المأساة، مرجع سابق، ص 91، بتصرف.
- (29) عمرو بن بحر الجاحظ، أبو عثمان، رسالة في الحنين إلى الأوطان، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964م، ص 10.
- (30) حسين بن محمد الراغب الأصبهاني، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، مرجع سابق، ج 4، ص 614.
- (31) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، مرجع سابق، ج 5، ص 2014م.
- (32) السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي هلال، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، ط 1، 1421هـ، 2001م، ج 34، ص 456، مادة حنن.
- (33) محمد عبد المنعم محمد قباجة، الغربة والحنين إلى الديار في شعر العصر العباسي الثاني (232هـ - 334هـ)، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخليل، 2008م، ص 4.
- (34) محمود سليم هياجنة، الاغتراب في القصيدة الجاهلية دراسة نصية، مرجع سابق، ص 34.
- (35) روضة بنت بلال بن عمر المولد، الاغتراب في حياة ابن درّاج وشعره، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة، 1428هـ، 2007م، ص 24.
- (36) إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت: 354هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، مفصل ومضبوط بقلم: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط 5، 1419هـ، 1999م، ج 3، ص 736.

(37) يحيى وهيب الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي - الحنين إلى الأوطان، مرجع سابق، ص 12.

(38) يحيى وهيب الجبوري، الحنين والغربة في الشعر العربي - الحنين إلى الأوطان، مرجع سابق، ص 10.

(39) الحجازيات، ص 50.

(40) الحجازيات، ص 15.

(41) الحجازيات، ص 44.

(42) الحجازيات، ص 50.

(43) ورد هذا الاستخدام في ديوان الحجازيات في صفحات: 38، 42، 43، 44، 45، 50، 59، 60، 61، 62، 74، 83، 84، 94، 95، 96، 100، 101.

(44) الحجازيات، ص 65.

(45) الحجازيات، ص 29.

(46) الحجازيات، ص 30.

(47) الحجازيات، ص 78.

(48) الحجازيات، ص 102.

(49) الحجازيات، ص 30.

(50) الحجازيات، ص 31.

(51) الحجازيات، ص 32.

(52) الحجازيات، ص 30، 68.

(53) الحجازيات، ص 90، 92.

(54) الحجازيات، ص 102.

(55) الحجازيات، ص 30.

(56) الحجازيات، ص 31.

(57) الحجازيات، ص 32، 33.

(58) الحجازيات، ص 33.

(59) الحجازيات، ص 90.

(60) الحجازيات، ص 102.

(61) الحجازيات، ص 81.

- (62) الحجازيات، ص 90.
- (63) الحجازيات، ص 92.
- (64) الحجازيات، ص 31.
- (65) الحجازيات، ص 30.
- (66) الحجازيات، ص 33.
- (67) الحجازيات، ص 96.
- (68) الحجازيات، ص 32.
- (69) الحجازيات، ص 91.
- (70) الحجازيات، ص 102.
- (71) الحجازيات، ص 98.
- (72) الحجازيات، ص 32، 46، 90.
- (73) الحجازيات، ص 57.
- (74) انظر: الحجازيات، ص 62، 63، 65، 76، 100.
- (75) نلاحظ وجود خطأ مطبعي في هذا الشطر، وصحته (ألا، ما ألا «ما»؟ أما ، ما أما؟) حتى يستقيم الوزن.
- (76) الحجازيات، ص 86.
- (77) الحجازيات، ص 37.
- (78) الحجازيات، ص 38.
- (79) الحجازيات، ص 45.
- (80) الحجازيات، ص 60.
- (81) الحجازيات، ص 60.
- (82) الحجازيات، ص 62.
- (83) الحجازيات، ص 97.
- (84) الحجازيات، انظر: ص 64.
- (85) الحجازيات، ص 34.
- (86) الحجازيات، ص 36.
- (87) الحجازيات، ص 45.
- (88) الحجازيات، ص 30.

- (89) الحجازيات، ص 93.
- (90) الحجازيات، ص 94.
- (91) الحجازيات، ص 82.
- (92) الحجازيات، ص 101.
- (93) الحجازيات، ص 51.
- (94) الحجازيات، ص 82.
- (95) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1415هـ، 1994م، ص 451.
- (96) الحجازيات، ص 82.
- (97) الحجازيات، ص 40.
- (98) الحجازيات، ص 75.
- (99) الحجازيات، انظر: ص 85.
- (100) الحجازيات، ص 84.
- (101) محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي (ت: 520هـ)، سراج الملوك، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1414هـ، 1994م، ج2، ص680، 681.
- (102) علي بن إسماعيل بن سيده (ت: 458)، المخصص، دار الكتب العلمية، بيروت، السفر الثامن، ص 168.
- (103) زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت 682هـ)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط5، 1401هـ، 1980م، ص 379.
- (104) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مرجع سابق، ص 638.
- (105) الحجازيات، ص 34.
- (106) الحجازيات، ص 34، 35.
- (107) الحجازيات، ص 35، 36.
- (108) العذار - عذار الغلام: جانب لحيته. ويقال: خلع فلان عذاره: انهمك في الغي، ولم يستع منه، المعجم الوجيز، ص 411.
- (109) الحجازيات، ص 72.
- (110) الحجازيات، ص 79.
- (111) الحجازيات، ص 79.

- (112) الحجازيات، ص 80.
- (113) الحجازيات، ص 80.
- (114) الحجازيات، ص 97.
- (115) الحجازيات، ص 47.
- (116) الحجازيات، ص 47.
- (117) الحجازيات، ص 48، 49.
- (118) الحجازيات، ص 88.
- (119) الحجازيات، ص 36.
- (120) الحجازيات، ص 40.
- (121) الحجازيات، ص 40.
- (122) الحجازيات، ص 76.
- (123) الحجازيات، ص 77.
- (124) الحجازيات، ص 71.
- (125) الحجازيات، ص 71.
- (126) انظر: الحجازيات، ص 38، 89.
- (127) الحجازيات، ص 39.
- (128) الحجازيات، ص 57.
- (129) الحجازيات، ص 86.
- (130) الحجازيات، ص 98.

## جماليات الفاصلة القرآنية في «سورة الأنفال» دراسة بلاغية نصية

سمير عوض الله عبدالفتاح رفاعي(\*)

### 1 - أهمية الدراسة وأهدافها وأسباب اختيارها:

لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَظْمٌ مُتَفَرِّدٌ، فَلَا هُوَ شِعْرُ كَشَعْرِ الْبَشَرِ، وَلَا هُوَ نَثْرٌ كَنَثَرِهِمْ؛ إِذْ فِيهِ مِنْ حَلَاوَةِ الْجَرَسِ وَالتَّنْغِيمِ مَا يَفُوقُ الشَّعْرَ، دُونَ أَنْ يَتَّقِيدَ بِقِيُودِهِ الَّتِي تَتَحَكَّمُ فِي الْمَعْنَى فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَفِيهِ مَا يُشَبِّهُ الْقَوَافِي بِيَدِ أَنَّهَا لَيْسَتْ رَتَبِيَّةً وَلَا مُحَدَّدَةً كَقَوَافِي الشَّعْرِ وَلَا قَوَافِي السَّجْعِ الْمَأْلُوفِ، وَمَنْ ثُمَّ لَا تَمْلَأُ الْأُذُنُ، بَلْ يَقْبَلُ الْإِنْسَانُ عَلَى قِرَاءَتِهِ أَوْ سَمَاعِهِ بِشَغَفٍ مُتَجَدِّدٍ لِمَا فِيهِ مِنْ جَمَالِيَّاتِ التَّكْوِينِ الصَّوْتِيِّ بِسَبَبِ إِيقَاعَاتِهِ وَتَنْغِيمَاتِهِ وَقَوَاصِلِهِ، وَتِلْكَ سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ إِعْجَازِهِ اللَّغَوِيِّ الْمُتَعَدِّدَةِ أَرَدْتُ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا.

وَتَرْجِعُ أَهْمِيَّةُ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ إِلَى مَا يَلِي:

- 1 - أَنَّ هَذِهِ الدِّرَاسَةَ جَاءَتْ لَتَكْشِفَ عَنْ دَوْرِ الْفَاصِلَةِ فِي خَلْقِ الْإِيقَاعِ الصَّوْتِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَمَا أَشْرْتُ.
- 2 - أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْبَلَاغِيِّينَ وَالْمُفَسِّرِينَ قَدْ عَلَّلَ وُجُودَ الظَّوَاهِرِ التَّرْكِيبِيَّةِ - مِنْ مِثْلِ: التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَالْإِعْتِرَاضِ، وَالْإِلْتِفَاتِ، وَغَيْرِهَا - فِي

(\*) دكتوراه في البلاغة والنقد.

جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ بِرَعَايَةِ الْفَوَاصِلِ أَوْ تَنَاسُبِ الْآيَاتِ فَحَسَبُ، بَيَدَ أَنَّ هَذِهِ الظُّوَاهِرَ كَانَتْ تُرَاعِي دَلَالَةَ السِّيَاقِ، وَمِنْ ثَمَّ أَتَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ لَتَكْشِفَ عَنْ دَوْرِ هَذِهِ الظُّوَاهِرِ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَفِي إِنْتَاجِ الْمَعْنَى فِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ، ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّذِي يَتَنَاسَبُ وَالسِّيَاقَ اللُّغَوِيَّ الَّذِي يَرِدُ فِيهِ.

3 - أَنَّ هَذِهِ الدِّرَاسَةَ جَاءَتْ لَتَكْشِفَ عَنْ دَوْرِ الْفَاصِلَةِ - أَيْضًا - فِي تَمَاسُكِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ اللَّفْظِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ، فَالْفَاصِلَةُ الْقُرْآنِيَّةُ - لِأَرِيْبٍ - وَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ الإِعْجَازِ اللَّغَوِيِّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ ذَلِكَ أَنَّهَا تَخْلُقُ جَرَسًا إِيْقَاعِيًّا مُوسِيقِيًّا يَطْرِبُ الْمُتَلَقِّي وَيَمْتَعُهُ، وَيُسَاعِدُهُ عَلَى فَهْمِ الْمَعْنَى، كَمَا تَعْمَلُ عَلَى التَّمَاسُكِ اللَّفْظِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ لِلنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ.

وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَهَمِّيَّةُ لِلْفَاصِلَةِ وَرَاءَ اخْتِيَارِي لِدِرَاسَتِهَا فِي سُورَةِ «الأنفال». وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي اخْتِيَارِ هَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ لِلدِّرَاسَةِ إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى أَنَّهَا سُورَةٌ مُتَوَسِّطَةُ الطُّوْلِ، وَأَنَّ أَحَدًا مِنَ الْبَاحِثِينَ لَمْ يَقُمْ بِدِرَاسَةِ الْفَاصِلَةِ فِيهَا.

## 2 - الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ:

وَمِنْ أَبْرَزِ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَنَاوَلَتْ مَوْضُوعَ الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ مَا يَلِي:

1 - عبد الجواد محمد طبق: دراسة بلاغية في السجع والفاصلة القرآنية - دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع - الزقازيق - مصر - الطبعة الأولى 1413هـ / 1993م.

2 - محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن - دار عمار - الأردن - الطبعة الثانية 2000م. وقد كانت الطبعة الأولى منه في بيروت سنة 1994م.

- 3 - حسين نصار: إعجاز القرآن، الفواصل - مكتبة مصر - القاهرة (3 ش كامل صدقي، الفجالة) - مصر - الطبعة الأولى- 1999م.
- 4 - السيد خضر: فواصل الآيات القرآنية، دراسة بلاغية دلالية- مكتبة الآداب- القاهرة (42 ميدان الأوبرا) - مصر- الطبعة الثانية- 1430هـ/2009م. وقد كانت الطبعة الأولى منه في مكتبة الآداب أيضا سنة 1420هـ/ 2000م.
- 5 - أحمد حمودة موسى: دور الفواصل في تماسك النص القرآني - رسالة دكتوراه - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - 2012م.

### 3 - مَنَهِجُ الدِّرَاسَةِ وَاجْرَاعَاتُهُ:

تَقُومُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ مَبَاحِثَ، اعْتَمَدْتُ فِيهَا الْمَنَهِجَ الإِحْصَائِيَّ التَّحْلِيلِيَّ الَّذِي يَقُومُ عَلَى رَصْدِ حُرُوفِ الرُّوْيِ، وَالظُّوَاهِرِ التَّرْكِيبِيَّةِ، وَالسَّمَاتِ النَّصِّيَّةِ فِي «سُورَةِ الْأَنْفَالِ»، ثُمَّ تَرْتِيبَهَا تَرْتِيبًا تَنَازُلِيًّا حَسَبَ نَسَبِ وُرُودِهَا، ثُمَّ وَصَفَهَا وَتَحْلِيلَهَا، وَبَيَّانِ سَبَبِ وُرُودِهَا عَلَى النَّحْوِ الَّذِي وَرَدَتْ عَلَيْهِ، مُسْتَشْهِدًا عَلَى كُلِّ بَعْضِ آيَاتِ مِنَ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، مُفِيدًا فِي ذَلِكَ - لَا رَيْبَ - مِنَ التُّرَاثِ التَّفْسِيرِيِّ وَالنَّقْدِيِّ وَالْبَلَاغِيِّ، بِجَانِبِ إِفَادَتِي مِمَّا قَدَّمَهُ عِلْمُ النَّصِّ مِنْ دِرَاسَاتٍ نَظَرِيَّةٍ وَتَطْبِيقِيَّةٍ.

هَذَا، وَقَدْ اعْتَمَدْتُ الْمَنَهِجَ التَّارِيخِيَّ فِي الْمَقْدَمَاتِ النَّظَرِيَّةِ لِمَبَاحِثِ الدِّرَاسَةِ الثَّلَاثَةِ.

### 4 - خُطَّةُ الدِّرَاسَةِ:

وَقَدْ قَسَمْتُ هَذِهِ الدِّرَاسَةَ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَتَمْهِيدٍ وَثَلَاثَةِ مَبَاحِثَ، ثُمَّ خَاتِمَةٍ يَلِيهَا ثَبُتٌ بِالْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ.

فَأَمَّا الْمُقَدِّمَةُ، فَقَدْ تَضَمَّنَتْ الْحَدِيثَ عَمَّا يَلِي:

1 - أَهَمِّيَّةُ الدِّرَاسَةِ وَأَهْدَافُهَا وَأَسْبَابُ اخْتِيَارِهَا.

2 - الدِّرَاسَاتُ السَّابِقَةُ.

3 - مَنَهِجُ الدِّرَاسَةِ وَإِجْرَاءَاتُهُ.

4 - خُطَّةُ الدِّرَاسَةِ.

وَأَمَّا التَّمْهِيدُ فَكَانَ بِعُنْوَانٍ: «فِي مَفْهُومِ الْفَاصِلَةِ وَأَنْوَاعِهَا وَوُضَائِفِهَا».

وَأَمَّا الْمُبْحَثُ الْأَوَّلُ فَكَانَ بِعُنْوَانٍ: «الدِّرَاسَةُ الصَّوْتِيَّةُ»، وَفِيهِ قُمْتُ

بِبَيَانِ دَوْرِ الْفَاصِلَةِ فِي خَلْقِ الْإِيقَاعِ الصَّوْتِيِّ.

وَأَمَّا الْمُبْحَثُ الثَّانِي فَكَانَ بِعُنْوَانٍ: «الدِّرَاسَةُ التَّرْكِيْبِيَّةُ»، وَفِيهِ

قُمْتُ بِبَيَانِ دَوْرِ الظُّوَاهِرِ التَّرْكِيْبِيَّةِ فِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ فِي الْوُصُولِ إِلَى

الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ .

وَأَمَّا الْمُبْحَثُ الثَّلَاثُ فَكَانَ بِعُنْوَانٍ: «الدِّرَاسَةُ النَّصِّيَّةُ»، وَفِيهِ قُمْتُ

بِبَيَانِ دَوْرِ الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي إِحْدَاثِ التَّمَاسُكِ اللَّفْظِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ

لِلنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ.

وَأَمَّا الْخَاتِمَةُ: فَقَدْ أَوْضَحْتُ فِيهَا أَهَمَّ نَتَائِجِ الْبَحْثِ.

التَّمْهِيدُ: فِي مَفْهُومِ الْفَاصِلَةِ وَأَنْوَاعِهَا وَوُضَائِفِهَا:

أولاً - مَفْهُومُ الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ:

الْمَعْنَى اللَّغَوِيُّ لِكَلِمَةِ «الْفَاصِلَةُ»:

الْفَاصِلَةُ فِي اللُّغَةِ مَأْخُوذَةٌ مِنَ (الْفَصْلِ)، وَهُوَ «إِبَانَةُ أَحَدِ الشَّيْئَيْنِ

مِنَ الْآخِرِ حَتَّى يَكُونَ بَيْنَهُمَا فَرْجَةٌ ... وَفَصْلُ الْخُطَابِ: مَا فِيهِ

فَصْلُ الْحُكْمِ»<sup>(1)</sup>، وَ«(الْفَصْلُ) وَاحِدُ (الْفُصُولِ)، وَ(فَصْلُ) الشَّيْءِ

(فَانْفَصَلَ) أَي قَطَعَهُ فَاِنْقَطَعَ، وَبَابُهُ ضَرْبٌ، وَ(فَصَلَ) مِنَ النَّاحِيَةِ خَرَجَ وَبَابُهُ جَلَسَ، وَ(فَصَلَ) الرُّضِيعُ عَنْ أُمِّهِ يَفْصِلُهُ بِالْكَسْرِ (فَصَالًا)، وَ(اِفْتَصَلَهُ) أَي فَطَمَهُ، وَ(فَاصَلَ) شَرِيكُهُ، وَ(الْمُفْصَلُ) بوزن المَجْلِسِ وَاحِدٌ (مَفَاصِلُ) الْأَعْضَاءِ... وَ(الْفَصِيلُ) وَلَدُ النَّاقَةِ إِذَا فَصَلَ عَنْ أُمِّهِ... وَعَقْدٌ (مُفْصَلٌ) أَي جَعَلَ بَيْنَ كُلِّ لَوْلُوتَيْنِ خَرْزَةً، وَ(التَّفْصِيلُ) التَّبْيِينُ<sup>(2)</sup>.

فَمَادَةٌ (فَصَلَ) فِي اللُّغَةِ تَتَعَدَّدُ مَعَانِيهَا مِنْ: الْإِبَانَةِ إِلَى الْقَطْعِ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى الْفَطَمِ: (أَي: الْقَطْعُ عَنِ الرُّضَاعَةِ)، بَيَّنَّا أَنَّهَا - عَلَى هَذَا التَّعَدُّدِ فِي الْمَعَانِي - لَا تَخْرُجُ عَنْ مَعْنَى مُحَوَّرٍ وَاحِدٍ يَجْمَعُهَا جَمِيعًا، وَهُوَ «تَمْيِيزُ الشَّيْءِ عَنْ غَيْرِهِ»<sup>(3)</sup>، وَهَذَا الْمَعْنَى اللَّغَوِيُّ يَرْتَبِطُ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بِالْمَعْنَى الْأَصْطِلَاحِيِّ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سَاعَرَضُ لَهُ فِيهَا يَلِي.

الْمَعْنَى الْأَصْطِلَاحِيُّ لِكَلِمَةِ «الْفَاصِلَةِ»:

يُعَرَّفُ الرُّمَّانِيُّ (ت: 386هـ) الْفَاصِلَةَ، فَيَقُولُ: «الْفَوَاصِلُ حُرُوفٌ مُتَشَاكِلَةٌ فِي الْمَقَاطِعِ تُوجِبُ حُسْنَ إِفْهَامِ الْمَعَانِي»<sup>(4)</sup>.

عَلَى أَنَّ لِي بَعْضَ الْمَآخِذِ وَاللَّحَاطِ عَلَى هَذَا التَّعْرِيفِ، أَعْنَصِرُهَا فِيمَا يَلِي:

أَوَّلًا - يُضَيِّقُ الرُّمَّانِيُّ مِنْ حَدِّهِ لِلْفَوَاصِلِ، إِذْ هِيَ - عِنْدَهُ - حُرُوفُ الرُّوِيِّ فَحَسَبَ. بَيَّنَّا أَنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، كَمَا سَيَبْضُحُ.

ثَانِيًا - يُشِيرُ الرُّمَّانِيُّ إِلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْفَوَاصِلِ، وَهِيَ الْفَوَاصِلُ الْمُتَشَاكِلَةُ، أَي: الْمُتَمَاتِلَةُ<sup>(5)</sup>، وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَقُولَ: «الْفَوَاصِلُ حُرُوفٌ مُتَشَاكِلَةٌ أَوْ مُتَقَارِبَةٌ فِي الْمَقَاطِعِ»؛ لِيُشِيرَ بِذَلِكَ إِلَى نَوْعِي الْفَاصِلَةِ.

ثالثاً - وَمِمَّا يَحْمَدُ الرُّمَانِي أَنَّهُ يُنَبِّهُ فِي تَعْرِيفِهِ إِلَى غَايَةِ جَمَالِيَّةٍ مَعْنَوِيَّةٍ لِلْفَاصِلَةِ، وَهِيَ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ الْمُتَشَاكِلَةَ/ حُرُوفَ الرُّوِيِّ إِنَّمَا جِيءَ بِهَا - أَوَّلًا - لِأَجْلِ مَعْنَى الْآيَةِ، وَعَلَى هَذَا الْمَفْهُومِ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْفَوَاصِلِ وَالْأَسْجَاعِ، فَيَقُولُ: «وَالْفَوَاصِلُ بِلَاغَةٌ، وَالْأَسْجَاعُ عَيْبٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَوَاصِلَ تَابِعَةٌ لِلْمَعَانِي، وَأَمَّا الْأَسْجَاعُ فَالْمَعَانِي تَابِعَةٌ لَهَا. وَهُوَ قَلْبٌ مَا تَوَجَّهَ الْحِكْمَةُ فِي الدَّلَالَةِ، إِذْ كَانَ الْغَرَضُ الَّذِي هُوَ حِكْمَةٌ إِنَّمَا هُوَ الْإِبَانَةُ عَنِ الْمَعَانِي الَّتِي الْحَاجَةُ إِلَيْهَا مَاسَّةٌ، فَإِذَا كَانَتْ الْمُتَشَاكِلَةُ وَصْلَةً إِلَيْهِ فَهُوَ بِلَاغَةٌ، وَإِذَا كَانَتْ الْمُتَشَاكِلَةُ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ فَهُوَ عَيْبٌ وَلَكِنَّةٌ... وَفَوَاصِلُ الْقُرْآنِ كُلُّهَا بِلَاغَةٌ وَحِكْمَةٌ؛ لِأَنَّهَا طَرِيقٌ إِلَى إِفْهَامِ الْمَعَانِي الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ يُدَلُّ بِهَا عَلَيْهَا»<sup>(6)</sup>.

يَبْدَأُ أَنَّهُ قَدْ اقْتَصَرَ عَلَى هَذِهِ الْغَايَةِ دُونَ سَوَاهَا، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ دَقِيقًا فِي تَفَرُّقَتِهِ بَيْنَ الْفَوَاصِلِ وَالْأَسْجَاعِ، إِذْ جَعَلَ الْأَسْجَاعَ عَيْبًا مُطْلَقًا، عَلَى أَنَّ مِنْهَا مَا هُوَ عَيْبٌ<sup>(7)</sup>، وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ وَالْفَصَاحَةِ؛ بِدَلِيلِ أَنَّ أَكْثَرَ فَوَاصِلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَرَدَتْ مَسْجُوعَةً، وَأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ التَزَمَهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحَادِيثِهِ، وَلَوْ كَانَتْ مَعِيبَةً مَا وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ وَلَا كَلَامَ خَيْرٍ الْأَنَامِ.

ثُمَّ يَأْتِي الْبَاقِلَانِيُّ (ت: 403هـ) وَلَا يُضَيِّفُ جَدِيدًا إِلَى مَا قَالَهُ الرُّمَانِيُّ، إِذْ هُوَ يَقْلُ كَلَامَهُ مُلَخَّصًا، فَيَقُولُ: «وَأَمَّا الْفَوَاصِلُ: فَهِيَ حُرُوفٌ مُتَشَاكِلَةٌ فِي الْمَقَاطِعِ، يَقَعُ بِهَا إِفْهَامُ الْمَعَانِي، وَفِيهَا بِلَاغَةٌ. وَالْأَسْجَاعُ عَيْبٌ؛ لِأَنَّ السَّجْعَ يَتَّبِعُهُ الْمَعْنَى، وَالْفَوَاصِلُ تَابِعَةٌ لِلْمَعَانِي»<sup>(8)</sup>.

وَأَمَّا الزَّرْكَشِيُّ (ت: 794هـ)، فَقَدْ وَسَّعَ مِنْ حَدِّهِ لِلْفَاصِلَةِ، إِذْ تَجَاوَزَ سَابِقِيهِ، وَنَصَّ عَلَى أَنَّهَا كَلِمَةٌ لَا حَرْفٌ، فَقَالَ: «هِيَ كَلِمَةٌ آخِرُ الْآيَةِ، كَقَافِيَةِ الشَّعْرِ وَقَرِيْنَةِ النَّثْرِ»<sup>(9)</sup>، ثُمَّ مَضَى يَعْزِضُ لَتَعَارِيفِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِلْفَاصِلَةِ مِنْ مِثْلِ: الدَّانِي الَّذِي قَالَ: «هِيَ كَلِمَةٌ آخِرُ الْجُمْلَةِ»<sup>(10)</sup>، وَمِنْهُ أَخَذَ الزَّرْكَشِيُّ - فِيمَا يَبْدُو - مَفْهُومَهُ لِلْفَاصِلَةِ، وَمِثْلُ: الْبَاقِلَانِي<sup>(11)</sup> الَّذِي عَرَضَتْ لِمَفْهُومِهِ تَوًّا.

عَلَى أَنَّ الزَّرْكَشِيَّ قَدْ عَرَضَ مَفْهُومًا آخَرَ لِلدَّانِي يُوسِّعُ فِيهِ مِنْ حَدِّهِ لِلْفَاصِلَةِ، فَيَجْعَلُهَا كَلَامًا لَا كَلِمَةً وَاحِدَةً، يَقُولُ الزَّرْكَشِيُّ: «وَفَرَّقَ الْإِمَامُ أَبُو عَمْرٍو الدَّانِي بَيْنَ الْفَوَاصِلِ وَرُؤُوسِ الْآيِ، قَالَ: أَمَّا الْفَاصِلَةُ فَهِيَ الْكَلَامُ الْمُنْفَصِلُ مِمَّا بَعْدَهُ، وَالْكَلَامُ الْمُنْفَصِلُ قَدْ يَكُونُ رَأْسَ آيَةٍ، وَغَيْرَ رَأْسٍ وَكَذَلِكَ الْفَوَاصِلُ يَكُنْ رُؤُوسَ آيٍ وَغَيْرَهَا وَكُلُّ رَأْسِ آيَةٍ فَاصِلَةٌ وَلَيْسَ كُلُّ فَاصِلَةٍ رَأْسَ آيَةٍ، فَالْفَاصِلَةُ تَعْمُ النُّوعَيْنِ وَتَجْمَعُ الضَّرْبَيْنِ»<sup>(12)</sup>، ثُمَّ هُوَ لَمْ يَتَّبِعْهُ فِي هَذَا الْمَفْهُومِ، وَاتَّبَعَهُ فِي مَفْهُومِهِ الَّذِي عَرَضَ لَهُ أَوَّلًا.

ثُمَّ جَاءَ السُّيُوطِيُّ (ت: 911هـ)، وَأكَّدَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الزَّرْكَشِيُّ، وَذَلِكَ بِنَقْلِ كَلَامِهِ - الَّذِي أَخَذَهُ عَنِ الدَّانِي - بِنَصِّهِ<sup>(13)</sup>.

عَلَى أَنِّي أَمِيلُ إِلَى تَعْرِيفِ الدَّانِي الَّذِي عَرَضَ لَهُ فِي سِيَاقِ تَفْرِيقِهِ بَيْنَ الْفَوَاصِلِ وَرُؤُوسِ الْآيِ، يَبْدُو أَنَّ هَذَا التَّعْرِيفَ لَمْ يُشِرْ إِلَى وَظَائِفِ الْفَاصِلَةِ، وَمِنْ ثَمَّ يُمْكِنُ أَنْ أَعْرِفَ الْفَاصِلَةَ تَعْرِيفًا يُبَيِّنُ مِقْدَارَهَا وَأَنْوَاعَهَا وَوُظَائِفَهَا، وَذَلِكَ عَلَى النُّحُوِّ التَّالِي:

الْفَاصِلَةُ هِيَ الْمَقْطَعُ الْأَخِيرُ مِنَ الْآيَةِ، الَّذِي قَدْ يَكُونُ جُمْلَةً تَامَةً أَوْ كَلِمَةً وَاحِدَةً أَوْ مَا بَيْنَهُمَا، وَقَدْ يَكُونُ مَسْجُوعًا أَوْ غَيْرَ مَسْجُوعٍ، وَيَأْتِي لِتَحْقِيقِ غَايَاتٍ جَمَالِيَّةٍ: صَوْتِيَّةٍ وَدَلَالِيَّةٍ وَنَصِيَّةٍ.

## ثانياً - أنواع الفاصلة القرآنية:

تَقْسِمُ الْفَوَاصِلُ مِنْ حَيْثُ تَمَآثَلُ حُرُوفُهَا أَوْ تَقَارِبُهَا إِلَى نَوْعَيْنِ (14):  
فَأَمَّا الْأَوَّلُ: فَهُوَ الْفَوَاصِلُ الْمُتَجَانِسَةُ، وَهِيَ مَا تَمَآثَلَتْ حُرُوفُهَا فِي  
الْمَقَاطِعِ، وَهِيَ الْفَوَاصِلُ الْمَسْجُوعَةُ، وَمِنْ أَمَثَلِهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:  
﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكُنْطِ مَسْطُورِ ٢﴾ فِي رَقٍّ مَنشُورِ ٣﴾ وَالْيَتِّ الْمَعْمُورِ ٤﴾ (سورة الطور 1-4).

فَالْفَوَاصِلُ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ قَدْ بُنِيَتْ عَلَى (حَرْفِ الرَّوِيِّ الرَّاءِ  
الْمَسْبُوقِ بِالْمَدِّ بِالْوَاوِ).  
وَأَمَّا الْآخَرُ: فَهُوَ الْفَوَاصِلُ الْمُتَقَارِبَةُ وَهِيَ مَا تَقَارَبَتْ حُرُوفُهَا فِي  
الْمَقَاطِعِ، وَلَمْ تَتَمَآثَلْ، وَهَذَا لَا يَكُونُ سَجْعًا، وَمِنْ أَمَثَلِهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣﴾ (سورة الفاتحة: 1-4).

فَقَدْ بُنِيَتْ الْآيَةُ الْأُولَى مِنَ الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ عَلَى (حَرْفِ الرَّوِيِّ  
النُّونِ الْمَسْبُوقِ بِالْمَدِّ بِالْيَاءِ). وَأَمَّا الْآخَرَى فَبُنِيَتْ عَلَى (حَرْفِ الرَّوِيِّ  
الْمِيمِ الْمَسْبُوقِ بِالْمَدِّ بِالْيَاءِ)، وَالنُّونُ وَالْمِيمُ حَرْفَانِ مُتَقَارِبَانِ.  
عَلَى أَنْ لِلْبَلَاغِيِّينَ تَقْسِيمًا آخَرَ بِاعْتِبَارِ الْإِتْفَاقِ أَوْ الْاِخْتِلَافِ فِي  
الْوِزْنِ وَحَرْفِ الرَّوِيِّ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَسَمُوا الْفَاصِلَةَ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ إِلَى ثَلَاثَةِ  
أَقْسَامٍ (15)، هِيَ:

1 - الْمُطَرَفُ: وَهُوَ مَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْفَاصِلَتَانِ أَوْ الْفَوَاصِلُ وَزْنًا وَاتَّفَقَتْ  
رَوِيًّا، كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ١٣﴾ وَقَدْ  
خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ١٤﴾ (سورة نوح: 13-14)، فَوِزْنُ ﴿وَقَارًا﴾ يَخْتَلِفُ عَنْ وَزْنِ

﴿أَطَوَّارًا﴾؛ إِذِ الْأَوَّلُ عَلَى وَزْنٍ (فَعَالًا)، وَالْآخِرُ عَلَى وَزْنٍ (أَفْعَالًا)، وَالرُّوْيُ وَاحِدٌ، وَهُوَ حَرْفُ الرَّاءِ.

2 - الْمَرْصُوعُ: وَهُوَ مَا اتَّفَقَتْ فِيهِ الْفَاصِلَتَانِ فِي الْوَزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ، بَأَنَّ يَكُونُ وَزْنُهُمَا وَاحِدًا، وَالْحَرْفُ الْآخِرُ فِيهِمَا وَاحِدًا، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ مَا يَأْخُذُ الْقَرِيبَتَيْنِ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَوْ أَكْثَرُهُ مِثْلَ مَا فِي الْآخَرَى فِي الْوَزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ كَذَلِكَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَائْتَنَى ٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ٦﴾ فَسَيِّسَهُ لِلْعُسْرَى ٧﴾ (سورة الليل 5-7)، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ٩﴾ فَسَيِّسَهُ لِلْعُسْرَى ١٠﴾ (سورة الليل 8-10)، فَإِنَّ فِي الْقَرِيبَةِ الْأُولَى أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ تَمَازَلَتْ مَعَ أَرْبَعٍ أُخْرَى فِي الْقَرِيبَةِ الثَّانِيَةِ فِي الْوَزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ، وَتِلْكَ الْكَلِمَاتُ هِيَ:

﴿أَمَّا﴾ وَ﴿أَمَّا﴾ - وَ﴿مَنْ﴾ وَ﴿مَنْ﴾ - وَ﴿الْحُسْنَى﴾ وَ﴿الْحُسْنَى﴾ - وَ﴿سَيِّسَهُ﴾ وَ﴿سَيِّسَهُ﴾، بَلْ إِنَّ التَّمَازُلَ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى الْوَزْنِ وَالتَّقْفِيَةِ فَحَسَبَ، وَإِنَّمَا تَكَرَّرَتِ الْكَلِمَاتُ بِأَعْيَانِهَا فِي الْقَرِيبَتَيْنِ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَهَذَا لَا يَكَادُ يَجُودُ خَارِجَ دَائِرَةِ الْقُرْآنِ الْمُعْجَزِ.

3 - الْمُتَوَازِي: وَهُوَ مَا كَانَ الْإِتْفَاقُ فِيهِ فِي الْكَلِمَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ فَقَطْ، كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ ١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ١٤﴾ (سورة الغاشية 13-14)؛ لِاخْتِلَافِ ﴿سُرٌّ﴾ وَ﴿أَكْوَابٌ﴾ وَزْنًا وَتَقْفِيَةً.

### ثالثًا - وَظَائِفُ الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ:

تَقُومُ الْفَاصِلَةُ الْقُرْآنِيَّةُ بِثَلَاثِ وَظَائِفٍ أَسَاسِيَّةٍ، هِيَ:

1 - وَظِيفَةُ صَوْتِيَّةٍ إِيقَاعِيَّةٍ: وَذَلِكَ أَنَّ الْفَوَاصِلَ الْقُرْآنِيَّةَ تَخْلُقُ إِيقَاعًا مُوسِيقِيًّا يَمْنَعُ الْمَمْلُوكِي وَيُسْعِدُهُ، وَهِيَ بِمِثَابَةِ الْقِفْلِ الْإِيقَاعِيِّ لِلِلَايَةِ،

وَهِيَ مَوْضِعُ الْوَقْفِ الَّذِي يَسْتَرِيحُ بِهِ الْقَارِئُ الْمُرْتَلِّ لِلْقُرْآنِ؛ وَلِذَا فَقَدْ سَعَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى «ظَاهِرَةِ الْفَوَاصِلِ أَوْ السَّجْعِ عَنْ قَصْدٍ وَوَعْيٍ بِمَا تُحَدِّثُهُ مِنْ جَمَالٍ أَدَبِيٍّ، وَمَا تُثِيرُهُ مِنْ أَثَرٍ شُعُورِيٍّ»<sup>(16)</sup>، فَلِلْفَوَاصِلِ «قِيَمَةٌ صَوْتِيَّةٌ ذَاتُ وَظِيْفَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهَذِهِ الْوُظِيْفَةُ جَمَالِيَّةٌ تَسْتَحِقُّ الرَّعَايَةَ وَلَوْ تَعَارَضَتْ رِعَايَتُهَا مَعَ بَعْضِ أَنْمَاطِ التَّرَاكِيْبِ النَّحْوِيَّةِ»<sup>(17)</sup>. وَقَدْ ذَكَرَ الرُّمَّانِيُّ أَنَّ مِنْ فَوَائِدِ الْفَوَاصِلِ «تَحْسِينُهَا الْكَلَامَ بِالتَّشَاكُلِ»<sup>(18)</sup>.

2 - وَظِيْفَةُ دَلَالِيَّةٌ: وَذَلِكَ أَنَّ ثَمَّةَ ظَوَاهِرَ تَرْكِيبِيَّةٍ فِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ تَعْمَلُ عَلَى بِنَاءِ الْفَاصِلَةِ، وَتُسَاعِدُ عَلَى إِفْرَازِ الدَّلَالَةِ الَّتِي تَتَنَاسَبُ وَسِيَاقَ النَّصِّ الَّذِي تَرُدُّ فِيهِ، مِنْ مِثْلِ دَلَالَةِ التَّوَكُّيدِ أَوْ التَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ أَوْ التَّهْدِيدِ أَوْ الِاسْتِعْطَافِ، أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الدَّلَالَاتِ.

هَذَا، وَقَدْ نَبَّهَ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ إِلَى أَنَّ دَلَالَةَ السِّيَاقِ هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ الْمُبْدِعَ يَلْتَزِمُ السَّجْعَ وَالتَّجْنِيسَ فِي نَصِّهِ مُرَاعَاةً لِهَذِهِ الدَّلَالَةِ، يَقُولُ: «وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ تَجْنِيسًا مَقْبُولًا، حَتَّى يَكُونَ الْمَعْنَى هُوَ الَّذِي طَلَبَهُ وَاسْتَدْعَاهُ وَسَاقَ نَحْوَهُ، وَحَتَّى تَجِدَهُ لَا تَبْتَغِي بِهِ بَدَلًا، وَلَا تَجِدَ عَنْهُ حَوْلًا»<sup>(19)</sup>، وَالْفَوَاصِلُ الْقُرْآنِيَّةُ - لَا رَيْبَ - لَوْنٌ مُمَيِّزٌ مِنَ الْوَانِ السَّجْعِ<sup>(20)</sup>.

3 - وَظِيْفَةُ نَصِيَّةٌ: وَهَذِهِ الْوُظِيْفَةُ الرَّئِيسَةُ تُضَمُّ ثَلَاثَ وَظَائِفَ فَرْعِيَّةٍ، هِيَ:

(1) سَبْكُ النَّصِّ: وَذَلِكَ أَنَّ جُمْلَةَ الْفَاصِلَةِ قَدْ تَضَمَّتْ بَعْضًا مِنْ وَسَائِلِ السَّبْكِ النَّحْوِيِّ، مِنْ مِثْلِ: الْإِحَالَةِ وَالْحَذْفِ وَالِاسْتِبْدَالِ، أَوْ السَّبْكِ الْمُعْجَمِيِّ مِنْ مِثْلِ: التَّكْرَارِ وَالْمَصَاحَبَةِ الْمُعْجَمِيَّةِ، وَهَذِهِ الْوَسَائِلُ قَدْ تَرَبَّطَتْ جُمْلَةً الْفَاصِلَةِ بِآيَتِهَا أَوْ بِالآيَاتِ السَّابِقَةِ عَلَيْهَا؛ مِمَّا يَعْمَلُ عَلَى سَبْكِ النَّصِّ وَتَمَاسُكِهِ لَفْظِيًّا.

(2) حَبْكُ النَّصِّ: وَذَلِكَ أَنَّ جُمْلَةَ الْفَاصِلَةِ تَأْتِي مُنَاسِبَةً لِمَضْمُونِ الْآيَةِ، وَتَأْتِي هَذِهِ الْمُنَاسِبَةُ مِنْ ارْتِبَاطِهَا بِآيَتِهَا عَنْ طَرِيقِ عِلَاقَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ، مِنْ مِثْلِ: التَّأَكُّيدِ، أَوْ التَّعْلِيلِ، أَوْ السَّبَبِ وَالنَّتِيجَةِ... إلخ، أَوْ أَنْ تَكُونَ مُتَمِّمَةً لِمَعْنَى الْآيَةِ، وَبِذَلِكَ يَتِمُّ حَبْكُ النَّصِّ مَعْنَوِيًّا.

(3) تيسير حفظ القرآن الكريم: وَهِيَ وَظِيفَةٌ نَصِيَّةٌ إِعْلَامِيَّةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْفَوَاصِلَ الْقُرْآنِيَّةَ وَجْهٌ مِنْ وَجُوهِ تَيْسِيرِ الْقُرْآنِ لِلذِّكْرِ؛ إِذْ هِيَ تُسَاعِدُ الْمَرْءَ عَلَى حِفْظِهِ، فَقَدْ «جَاءَ الْعَنْصَرُ الْإِيقَاعِيُّ فِي الْفَوَاصِلِ الْقُرْآنِيَّةِ إِنْغَاءً لِلْعَرَبِ الْمَجْبُولِينَ عَلَى حُبِّ الْقَوَافِي وَالْأَسْجَاعِ لِمَا فِيهِمَا مِنْ إِيْقَاعٍ جَمِيلٍ مُؤَثِّرٍ»<sup>(21)</sup>. وَقَدْ ذَكَرَ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت 1394هـ/1973م) أَنَّ مِنْ أَوْجِهِ اتِّسَاعِ أَدَبِ اللُّغَةِ فِي الْقُرْآنِ ابْتِكَارَ الْفَوَاصِلِ الَّتِي تُيسِّرُ حِفْظَهُ، يَقُولُ: «وَكَانَ لِفَصَاحَةِ أَلْفَظِهِ وَتَنَاسُبِهَا فِي تَرَكَيبِهِ وَتَرْتِيبِهِ عَلَى ابْتِكَارِ أَسْلُوبِ الْفَوَاصِلِ الْعَجِيبَةِ الْمُتَمَاثِلَةِ فِي الْأَسْمَاعِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُتَمَاثِلَةً الْحُرُوفِ فِي الْأَسْجَاعِ، كَانَ لِدَٰلِكَ سَرِيعَ الْعُلُوقِ بِالْحَوَافِظِ خَفِيفَ الْإِنْتِقَالِ وَالسَّيْرِ فِي الْقَبَائِلِ»<sup>(22)</sup>، ذَلِكَ أَنَّ الْكَلَامَ «إِذَا كَانَ مَسْجُوعًا لَدَى لِسَامِعِهِ فَحِفْظُهُ، فَإِذَا هُوَ حِفْظُهُ كَانَ جَدِيرًا بِاسْتِعْمَالِهِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَسْجُوعًا لَمْ تَأْنَسِ النَّفْسُ بِهِ وَلَا أَنْقَتَ لِمُسْتَمْعِهِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ تَحْفَظْهُ»<sup>(23)</sup>.

(4) إِثَارَةُ انْتِبَاهِ الْمُتَلَقِّي: وَهِيَ - أَيْضًا - وَظِيفَةٌ نَصِيَّةٌ إِعْلَامِيَّةٌ، ذَلِكَ أَنَّ الْفَوَاصِلَ الْمُنَوَّعَةَ تَعْمَلُ عَلَى إِثَارَةِ انْتِبَاهِ الْمُتَلَقِّي، وَتَحْمِلُهُ عَلَى تَأَمُّلِ عِلَاقَةِ الْفَوَاصِلِ الْمُخْتَلَفَةِ بِسِيَاقَاتِهَا، وَبِنِظَائِرِهَا، وَالتَّحَوُّلاتِ الْمَوْضُوعِيَّةِ وَالِدَّلَالِيَّةِ الَّتِي صَاحَبَتْ تَغْيِيرَهَا.

## المبحث الأول: الدراسة الصوتية:

## 1 - الحُرُوفُ المُسْتَعْمَلَةُ فِي الْفَوَاصِلِ:

وَالْحُرُوفُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِي فَوَاصِلِ «سُورَةِ الْأَنْفَالِ» هِيَ - عَلَى تَرْتِيبِ كَثَرَةِ وُرُودِهَا - النُّونُ، وَالْمِيمُ، وَالرَّاءُ، وَالْبَاءُ، وَالطَّاءُ، وَالْقَافُ، وَالذَّالُ. وَهَذَا - أَوَّلًا - جَدْوَلٌ يَذْكُرُ حَرْفَ الْفَاصِلَةِ، وَعَدَدَ مَرَّاتِ وُرُودِهِ فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، وَنِسْبَتَهُ الْمِئْوِيَّةَ مِنْ إِجْمَالِي آيَاتِهَا، كَمَا يَذْكُرُ الْآيَاتُ الَّتِي وَرَدَ الْحَرْفُ بِهَا، ثُمَّ يَلِي ذَلِكَ تَعْلِيلٌ عَلَى الْجَدْوَلِ وَذِكْرٌ لِبَعْضِ الْمُلَاحَظَاتِ وَالنَتَائِجِ.

| م | حَرْفُ الْفَاصِلَةِ | عَدَدُ مَرَّاتِ وُرُودِهِ | النِّسْبَةُ الْمِئْوِيَّةُ | مُسْلَسَلُ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَ بِهَا                                                                                                                                                 |
|---|---------------------|---------------------------|----------------------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 1 | النون               | 39                        | 2 %                        | 1 - 2 - 3 - 5 - 6 - 7 - 8 - 9 - 12 - 18 - 19 - 20 - 21 - 22 - 23 - 24 - 26 - 27 - 230 - 21 - 33 - 34 - 35 - 36 - 37 - 38 - 45 - 46 - 54 - 55 - 56 - 57 - 58 - 59 - 60 - 62 - 64 - 65 - 66 |
| 2 | الميم               | 19                        | 25.3 %                     | 4 - 10 - 11 - 17 - 28 - 29 - 32 - 42 - 49 - 61 - 63 - 67 - 68 - 69 - 70 - 71 - 74 - 75                                                                                                    |
| 3 | الراء               | 10                        | 13.3 %                     | 14 - 15 - 16 - 39 - 40 - 41 - 43 - 44 - 72 - 73                                                                                                                                           |
| 4 | الباء               | 4                         | 5.3 %                      | 13 - 25 - 48 - 52                                                                                                                                                                         |
| 5 | الطاء               | 1                         | 1.3 %                      | 47                                                                                                                                                                                        |
| 6 | القاف               | 1                         | 1.3 %                      | 50                                                                                                                                                                                        |
| 7 | الذال               | 1                         | 1.3 %                      | 51                                                                                                                                                                                        |
|   | المجموع             | 75                        |                            |                                                                                                                                                                                           |

## بَعْضُ النَّتَائِجِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْجَدُولِ السَّابِقِ:

1 - وَرَدَ حَرْفُ «النُّونِ» فِي سُورَةِ «الْأَنْفَالِ» فِي تِسْعَةِ وَثَلَاثِينَ (39) مَوْضِعًا، مِنْ إِجْمَالِيٍّ عَدَدِ آيَاتِهَا، أَيَّ بِنسَبَةِ مِئْوِيَّةٍ تَبْلُغُ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ (52 ٪) بِالمِئَةِ، فَهُوَ - إِذَنْ - يُمَثِّلُ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ فَوَاصِلِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ اسْتَعْمَلَ حُرُوفًا ذَاتَ وَقَعٍ نَغْمِيٍّ، وَوُضُوحٍ سَمْعِيٍّ؛ لِنَظَرٍ لِلسَّمْعِ حِينَ الْوَقْفِ عَلَيْهَا، ذَلِكَ أَنَّ «مَبْنَى الْفَوَاصِلِ عَلَى الْوَقْفِ»<sup>(24)</sup>، وَحَرْفُ «النُّونِ» يَمْتَازُ بِقُوَّةٍ وَوُضُوحٍ سَمْعِيٍّ وَبِوَقَعٍ نَغْمِيٍّ، الْأَمْرُ الَّذِي تَبَنَّى إِلَيْهِ عُلَمَاءُ عُلُومِ الْقُرْآنِ مِنْ مِثْلِ الزَّرْكَشِيِّ (ت 794هـ)، الَّذِي يَقُولُ: «قَدْ كَثُرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ خَتْمُ كَلِمَةِ الْمَقْطَعِ مِنَ الْفَاصِلَةِ بِحُرُوفِ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ وَالْحَقَاقِ النُّونِ، وَحَكَمَتْهُ وَجُودُ التَّمَكُّنِ مِنَ التَّطْرِيبِ بِذَلِكَ... وَجَاءَ الْقُرْآنُ عَلَى أَعْظَبِ مَقْطَعٍ وَأَسْهَلِ مَوْقِفٍ»<sup>(25)</sup>، وَمِنْ مِثْلِ السُّيُوطِيِّ (ت 911هـ) الَّذِي نَقَلَ عَنِ الزَّرْكَشِيِّ قَوْلَهُ السَّابِقَ بِنِصِّهِ<sup>(26)</sup>.

وَهَذِهِ النَتِيجَةُ تَتَّفَقُ مَعَ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ الْحَسَنَاوِي مِنْ غَلْبَةِ حَرْفِ «النُّونِ» فِي مَوْضِعِ الرُّوْيِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، إِذْ اسْتَأْثَرَ بِاثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً وَثَلَاثَةَ آلَافٍ (3152) فَاصِلَةً<sup>(27)</sup>، أَيَّ بِنسَبَةِ مِئْوِيَّةٍ تَبْلُغُ (50.32 ٪) مِنْ إِجْمَالِيٍّ فَوَاصِلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْبَالِغَةِ سِتًّا وَثَلَاثِينَ وَمِئَتَيْنِ وَسِتَّةَ آلَافٍ (6236) آيَةٍ بِحَسَبِ الْعَدِّ الْكُوفِيِّ<sup>(28)</sup>؛ وَذَلِكَ أَنَّ حَرْفَ «النُّونِ» حَرْفٌ أَغْنَى، وَهُوَ مِنْ حُرُوفِ الْمَوْسِيقَى الطَّبِيعِيَّةِ<sup>(29)</sup>، فَهُوَ حَرْفٌ مُوسِيقِيٌّ مَرْنٌ يُمْكِنُ تَشْكِيلُهُ وَتَطْوِيعُهُ بِمَا يَتَلَاءَمُ وَالسِّيَاقَ.

2 - وَجَاءَ حَرْفُ «الْمِيمِ» تَالِيًا لِحَرْفِ «النُّونِ»، إِذْ وَرَدَ فِي تِسْعَةِ عَشَرَ (19) مَوْضِعًا، بِنسَبَةِ مِئْوِيَّةٍ تَبْلُغُ (25.3 ٪)، يَلِيهِ حَرْفُ «الرَّاءِ»،

إِذْ وَرَدَ فِي عَشْرَةِ مَوَاضِعَ، بِنِسْبَةِ مِئْوِيَّةٍ تَبْلُغُ (13.3 %)؛ وَذَلِكَ أَنَّ حَرْفَ «الْمِيمِ» مِنَ الْحُرُوفِ الْأَنْفِيَّةِ الَّتِي لَهَا نِسْبَةٌ وَضُوحٌ أَعْلَى مِنْ غَيْرِهَا<sup>(30)</sup>، وَأَنَّ حَرْفَ «الرَّاءِ» مِنَ الْأَصْوَاتِ التَّكْرَارِيَّةِ الَّتِي تُشَبِّهُ الْحَرَكَاتِ/ الصَّوَائِتِ، «لَمَّا يُوْجَدُ عِنْدَ النُّطْقِ بِهِ مِنْ نَوْعٍ مِنْ حُرِّيَّةٍ لِلْهَوَاءِ بِسَبَبِ الْإِتِّصَالِ وَالْإِنْفِصَالِ الْمُتَكَرِّرَيْنِ، وَهَذَا السُّلُوكُ يُعْطِي هَذَا الصَّوْتِ نَوْعًا مِنَ الْوُضُوحِ السَّمْعِيِّ أَقْوَى مِمَّا يَحْدُثُ مَعَ بَقِيَّةِ الْأَصْوَاتِ الصَّامِتَةِ»<sup>(31)</sup>.

3 - وَقَدْ وَرَدَتْ حُرُوفُ «الْبَاءِ، وَالطَّاءِ، وَالْقَافِ، وَالذَّالِ» بِنِسْبَةٍ قَلِيلَةٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ لَا تَتَمَتَّعُ بِقُوَّةِ الْوُضُوحِ السَّمْعِيِّ الَّذِي هُوَ خَاصَّةٌ مِنْ أَهَمِّ خَوَاصِّ الْحُرُوفِ السَّابِقَةِ (النُّونِ، وَالْمِيمِ، وَالرَّاءِ). وَإِذَنْ، فَقَدْ أَكْثَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْحُرُوفِ الَّتِي تَمَازُ مِنْ غَيْرِهَا بِنِسْبَةٍ عَالِيَةٍ مِنَ الْوُضُوحِ السَّمْعِيِّ، وَالتَّنْغِيمِ الْمَوْسِيقِيِّ، وَتِلْكَ مِنْ جَمَالِيَّاتِ التَّكْوِينِ الصَّوْتِيِّ لِلْقُرْآنِ؛ إِذْ يَكُونُ نَسِيجَ الْأَصْوَاتِ فِي الْكَلَامِ مُسْتَحْسَنًا، لَا ثَقْلَ فِيهِ عَلَى اللِّسَانِ، وَلَا تَنَافُرَ فِي الْأَذَانِ، وَبِذَلِكَ يَحْصُلُ التَّطْرِيبُ، وَيُمْكِنُ التَّغْنِي بِالْقُرْآنِ، وَيَسْهُلُ تِلَاوَتُهُ وَحِفْظُهُ «وَهِيَ قِيَمَةٌ نَصِيَّةٌ إِعْلَامِيَّةٌ مَطْلُوبَةٌ شَرْعًا»<sup>(32)</sup>، فَالْعُنْصُرُ الْإِيقَاعِيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَقْصِدُ إِلَيْهِ قَصْدًا؛ وَلِذَا فَقَدْ قَرَّرَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي سُورَةِ «الْقَمَرِ» فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ - بِأَنَّهُ قَدْ يَسَّرَ الْقُرْآنَ لِلتَّلَاوَةِ وَالْحِفْظِ، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (سورة القمر، الآيات: 17، 22، 40، 42)، كَمَا وَرَدَ الْأَمْرُ بِالْتَرْتِيلِ وَتَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ، إِذْ يَقُولُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَذَنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ مَا أَذَنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ»<sup>(33)</sup>، وَيَقُولُ لِأَبِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَابِ

حُسِّنَ الصَّوْتُ بِالْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ: «يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ» (34).

وَلَعَلَّ سَبَبًا آخَرَ - يُضَافُ إِلَى حَرْفِي التَّرْنَمِ: النُّونُ، وَالْمِيمُ - يُسَاعِدُ عَلَى التَّغْنِيِ وَالتَّطْرِيبِ، وَذَلِكَ هُوَ كَثْرَةُ الْمُدُودِ فِي كَلِمَةِ الْفَاصِلَةِ؛ إِذْ إِنَّ عَدَدَ الْفَوَاصِلِ الْمَرْدُوفَةِ بِالْيَاءِ أَوْ الْوَوِ أَوْ الْأَلِفِ، يَبْلُغُ خَمْسًا وَسِتِّينَ وَمِئَةً وَخَمْسَةَ آلَافٍ (5165) فَاصِلَةً (35)، أَيْ بِنِسْبَةِ مِثْوِيَّةٍ تَبْلُغُ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ (82.8 %) بِأَلْفَةٍ مِنْ إِجْمَالِيٍّ فَوَاصِلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تَتَوَخَّى الْمُدُودَ فِي مَقَاطِعِ أَشْعَارِهَا؛ «لَأَنَّ الصَّوْتَ يَجْرِي فِيهِنَّ» (36)، وَكَذَلِكَ لَوْضُوحُ الْمَدِّ فِي السَّمْعِ، وَ«لَنَغْمَتِهِ وَلَيْنَ الصَّوْتِ بِهِ» (37)، فَقَدْ «سُئِلَ أَنَسُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: كَانَتْ مَدًّا ثُمَّ قَرَأَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾» (38).

## 2 - التَّوَاظِي الصَّوْتِي / التَّسْجِيعُ فِي فَوَاصِلِ سُورَةِ الْأَنْفَالِ:

يَقُومُ التَّوَاظِي الصَّوْتِي بَيْنَ الْفَوَاصِلِ عَلَى التَّنَاطُرِ الصَّوْتِي الْمَلْحُوظِ بَيْنَ عُنَاصِرِهِ، الْأَمْرُ الَّذِي يَتَوَفَّرُ فِي الْفَوَاصِلِ، إِذْ هِيَ - مِنْ حَيْثُ حَرْفُ الرَّوِيِّ - عَلَى نَوْعَيْنِ: الْأَوَّلُ: الْفَوَاصِلُ الْمُتَمَاثِلَةُ الْحُرُوفِ / الْمَسْجُوعَةُ، وَالْآخَرُ: الْفَوَاصِلُ الْمُتْقَارِبَةُ الْحُرُوفِ / الْمُرْسَلَةُ. وَقَدْ رَصَدَ الْبَلَاغِيُّونَ - كَمَا ذَكَرْتُ فِي الْمَقْدَمَةِ - صُورًا ثَلَاثَةً لِهَذَا التَّوَاظِي الصَّوْتِي، هِيَ: الْمُطْرَفُ، وَالْمُرْصَعُ، وَالْمُتَوَازِي، وَقَدْ بَيَّنْتُ مَفْهُومَ هَذِهِ الصُّورِ عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ مُسْتَشْهِدًا، وَذَلِكَ فِي سِيَاقِهَا مِنْ تَمْهِيدِ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ؛ وَلِذَا فَلَا دَاعِيَ لِإِعَادَةِ ذِكْرِهَا. وَحَسْبِيَ ذِكْرُ جَدُولِ إِجْمَالِيٍّ يَبِينُ نَوْعِي الْفَوَاصِلِ مِنْ حَيْثُ التَّسْجِيعُ وَعَدَمُهُ فِي سُورَةِ «الْأَنْفَالِ»، لِيَكُنْ تَعْلِيلٌ عَلَى الْجَدُولِ، وَبَيَانٌ لَاهِمُ النَتَائِجِ.

| م  | حَرْفُ<br>الْفَاصِلَةِ | أَرْقَامُ الْآيَاتِ                 | نَوْعُ الْفَاصِلَةِ            |
|----|------------------------|-------------------------------------|--------------------------------|
| 1  | النون                  | 3 - 2 - 1                           | مَسْجُوعَةٌ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ |
| 2  | الميم                  | 4                                   | مُرْسَلَةٌ                     |
| 3  | النون                  | 9 - 8 - 7 - 6 - 5                   | مَسْجُوعَةٌ فِي خَمْسِ آيَاتٍ  |
| 4  | الميم                  | 11 - 10                             | مَسْجُوعَةٌ فِي آيَتَيْنِ      |
| 5  | النون                  | 12                                  | مُرْسَلَةٌ                     |
| 6  | الباء                  | 13                                  | مُرْسَلَةٌ                     |
| 7  | الراء                  | 16 - 15 - 14                        | مَسْجُوعَةٌ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ |
| 8  | الميم                  | 17                                  | مُرْسَلَةٌ                     |
| 9  | النون                  | 21 - 20 - 19 - 18 -<br>24 - 23 - 22 | مَسْجُوعَةٌ فِي سَبْعِ آيَاتٍ  |
| 10 | الباء                  | 25                                  | مُرْسَلَةٌ                     |
| 11 | النون                  | 27 - 26                             | مَسْجُوعَةٌ فِي آيَتَيْنِ      |
| 12 | الميم                  | 29 - 28                             | مَسْجُوعَةٌ فِي آيَتَيْنِ      |
| 13 | النون                  | 31 - 30                             | مَسْجُوعَةٌ فِي آيَتَيْنِ      |
| 14 | الميم                  | 32                                  | مُرْسَلَةٌ                     |
| 15 | النون                  | 36 - 35 - 34 - 33 -<br>38 - 37      | مَسْجُوعَةٌ فِي سِتِّ آيَاتٍ   |
| 16 | الراء                  | 41 - 40 - 39                        | مَسْجُوعَةٌ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ |
| 17 | الميم                  | 42                                  | مُرْسَلَةٌ                     |
| 18 | الراء                  | 44 - 43                             | مَسْجُوعَةٌ فِي آيَتَيْنِ      |

| م  | حَرْفُ<br>الْفَاصِلَةِ | أَرْقَامُ الْآيَاتِ                 | نَوْعُ الْفَاصِلَةِ            |
|----|------------------------|-------------------------------------|--------------------------------|
| 19 | النون                  | 46 - 45                             | مَسْجُوعَةٌ فِي آيَتَيْنِ      |
| 20 | الطاء                  | 47                                  | مُرْسَلَةٌ (مُفْرَدَةٌ) (39)   |
| 21 | الباء                  | 48                                  | مُرْسَلَةٌ                     |
| 22 | الميم                  | 49                                  | مُرْسَلَةٌ                     |
| 23 | القاف                  | 50                                  | مُرْسَلَةٌ (مُفْرَدَةٌ)        |
| 24 | الدال                  | 51                                  | مُرْسَلَةٌ (مُفْرَدَةٌ)        |
| 25 | الباء                  | 52                                  | مُرْسَلَةٌ                     |
| 26 | الميم                  | 53                                  | مُرْسَلَةٌ                     |
| 27 | النون                  | 54 - 55 - 56 - 57 -<br>58 - 59 - 60 | مَسْجُوعَةٌ فِي سَبْعِ آيَاتٍ  |
| 28 | الميم                  | 61                                  | مُرْسَلَةٌ                     |
| 28 | النون                  | 62                                  | مُرْسَلَةٌ                     |
| 29 | الميم                  | 63                                  | مُرْسَلَةٌ                     |
| 30 | النون                  | 64 - 65 - 66 -                      | مَسْجُوعَةٌ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ |
| 31 | الميم                  | 67 - 68 - 69 - 70 - 71              | مَسْجُوعَةٌ فِي خَمْسِ آيَاتٍ  |
| 32 | الراء                  | 72 - 73                             | مَسْجُوعَةٌ فِي آيَتَيْنِ      |
| 33 | الميم                  | 74 - 75                             | مَسْجُوعَةٌ فِي آيَتَيْنِ      |

## بَعْضُ النَّتَائِجِ الْمُسْتَخْلَصَةِ مِنَ الْجَدُولِ السَّابِقِ:

(1) لَقَدْ تَكَرَّرَتْ «حُرُوفُ الرَّوِيِّ» فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ فِي ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ (33) مَوْضِعًا، وَجَاءَتْ مَسْجُوعَةً فِي سَبْعَةِ عَشَرَ (17) مَوْضِعًا مِنْهَا، أَيْ بِنِسْبَةِ مِئَوِّةٍ تَبْلُغُ (51.5 %) مِنْ إِجْمَالِيِّ مَوَاضِعِ هَذَا التَّكَرَّارِ؛ وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي كَثْرَةِ الْفَوَاصِلِ الْمَسْجُوعَةِ فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى أَنَّهَا تَعْمَلُ عَلَى سَبْكِ النَّصِّ وَتَمَاسُكِهِ؛ ذَلِكَ أَنَّ «تَكَرَّرَ الْمَكُونُ الصَّوْتِيَّ وَمُعَاوَدَتَهُ الْمُنْتَظَمَةَ مِمَّا يُكْرِسُ الشُّعُورَ بِالتَّمَاسُكِ وَالْوَحْدَةِ، وَيُرْدُّ الْمُتَلَقِّيَّ فِي كُلِّ مَرَّةٍ إِلَى النِّظَائِرِ السَّابِقَةِ عَبْرَ سَلَكٍ وَاضِحٍ يَتَخَلَّلُ - بِعَنَاصِرِهِ الْمُتَوَازِيَةِ - ظَاهِرِ النَّصِّ حَتَّى يَنْتَظِمَهُ كُلُّه آخِرَ الْأَمْرِ» (40).

وَقَدْ اسْتَعْمَلَتْ فَوَاصِلُ السُّورَةِ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ مِنْ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ الْعَرَبِيِّ، بَيَّنَّ أَنَّهُ لَمْ يَحْدُثِ التَّسْجِيعُ إِلَّا بِثَلَاثَةٍ مِنْهَا فَحَسَبُ، هِيَ: (النُّونُ، وَالْمِيمُ، وَالرَّاءُ)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَمْتَازُ - كَمَا بَيَّنَّتْ قَبْلُ - بِنِسْبَةٍ وَضُوحٍ سَمْعِيٍّ أَعْلَى مِنْ غَيْرِهَا. وَفِيمَا يَلِي بَيَانُ نِسْبِ التَّسْجِيعِ بِهَا.

(2) تَمَّ التَّسْجِيعُ بِحَرْفِ «النُّونِ» فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ فِي تِسْعَةِ مَوَاضِعَ، أَيْ بِنِسْبَةِ مِئَوِّةٍ تَبْلُغُ (52.9 %) مِنْ إِجْمَالِيِّ مَوَاضِعِ التَّسْجِيعِ، وَتِلْكَ نَتِيجَةُ طَبِيعَةٍ؛ إِذْ وَرَدَ هَذَا الْحَرْفُ بِنِسْبَةِ مِئَوِّةٍ تَبْلُغُ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ (52 %) بِالْمِئَةِ، فَهُوَ - إِذَنْ - يُمَثِّلُ - كَمَا ذَكَرْتُ قَبْلُ - أَكْثَرَ مَنْ نَصَفَ فَوَاصِلِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنْ أَحْرَفِ التَّرْنَمِ، وَيَمْتَازُ بِشِدَّةِ وَضُوحِ سَمْعِيٍّ.

وَقَدْ وَرَدَ حَرْفُ الرَّوِيِّ «النُّونُ» فِي تِسْعَةِ وَثَلَاثِينَ (39) مَوْضِعًا، مِنْهَا ثَمَانِيَةٌ وَثَلَاثُونَ (38) مَوْضِعًا، جَاءَ الْحَرْفُ مَسْبُوقًا بِالْمَدِّ بِالْيَاءِ

أَوِ الْوَإِ، ذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ كَلِمَاتِ هَذِهِ الْفَاصِلَةِ - فِيمَا عَدَا مَوْضِعًا وَاحِدًا، هُوَ الْآيَةُ الثَّانِيَّةُ عَشْرَةَ - جَاءَتْ إِمَّا عَلَى صِيغَةِ جَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ، وَإِمَّا عَلَى صِيغَةِ الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْجَمْعِ؛ وَذَلِكَ مِمَّا يَنْتَاسِبُ مَعَ مَحَوِّرِ السُّورَةِ وَأَهْدَافِهَا، إِذْ هِيَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ وَوَقَائِعِهَا، وَفِي تَقْوِيضِ قِسْمَةِ الْأَنْفَالِ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ، وَمَصْرِفِهَا، وَهِيَ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ تَعَرُّضٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ وَتَبَيُّنٌ خَصَالِهِمْ، وَأَسْبَابُ نَصْرِهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ فِي غَزْوَةِ «بَدْرٍ»، كَمَا تَدْعُو الْمُشْرِكِينَ لِلانْتِهَاءِ عَنْ مُنَاوَاةِ الْإِسْلَامِ وَإِيْدَانِهِمْ بِالْقِتَالِ، كَمَا تُحَذِّرُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ. وَمِنْ ثَمَّ جَاءَتْ كَلِمَاتُ الْفَاصِلَةِ عَلَى هَاتَيْنِ الصِّيغَتَيْنِ؛ لِأَنَّ السُّورَةَ جَاءَتْ مُخَاطِبَةً الْجُمُوعَ مِنْ مُؤْمِنِينَ وَمُشْرِكِينَ وَمُنَافِقِينَ.

(3) تَمَّ التَّسْجِيعُ بِحَرْفِ «الْمِيمِ» فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ، أَيْ بِنِسْبَةِ مِثْوِيَّةٍ تَبْلُغُ (23.5 %) مِنْ إِجْمَالِيِّ مَوَاضِعِ التَّسْجِيعِ، وَهُوَ فِي جَمِيعِ مَوَاضِعِهِ - سَوَاءً أَكَانَتْ مَسْجُوعَةً أَمْ غَيْرَ مَسْجُوعَةٍ - جَاءَ مَسْبُوقًا بِالْمَدِّ بِأَلْيَاءٍ أَوْ الْأَلِفِ، ذَلِكَ الْمَدُّ الَّذِي يُقَرِّبُهُ صَوْتِيًّا مِنْ فَاصِلَةِ «النُّونِ».

(4) تَمَّ التَّسْجِيعُ بِحَرْفِ «الرَّاءِ» فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ، أَيْضًا، أَيْ بِنِسْبَةِ مِثْوِيَّةٍ تَبْلُغُ (23.5 %) مِنْ إِجْمَالِيِّ مَوَاضِعِ التَّسْجِيعِ، وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْحَرْفُ فِي جَمِيعِ مَوَاضِعِهِ مَسْجَعًا، وَمَسْبُوقًا بِالْمَدِّ بِالْأَلِفِ، وَبِالْوَاوِ، وَبِالْيَاءِ، ذَلِكَ الْمَدُّ الَّذِي يُقَرِّبُهُ - أَيْضًا - صَوْتِيًّا مِنَ الْفَوَاصِلِ الْأُخْرَى، وَبِخَاصَّةِ فَاصِلَةِ «النُّونِ».

وَإِذَنْ، فَالتَّكْوِينُ الصَّوْتِيُّ لِلْفَوَاصِلِ الْقُرْآنِيَّةِ يُعَدُّ - لَا رَيْبَ - وَجْهًا مِنْ وَجُوهِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. ذَلِكَ الْوَجْهُ الَّذِي أَعْجَزَ فَصَحَاءَ الْعَرَبِ

عَنِ الْإِنِّيَانِ بِمَثَلِهِ. وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ حَسِينُ نَصَارٍ بِقَوْلِهِ: «وَلَذَلِكَ لَا أَتَرَدَّدُ فِي وَصْفِ الْقُرْآنِ - وَهُوَ فِي مَوْقِفِ التَّحْدِي الَّذِي رَأَيْنَاهُ - بِأَنَّهُ سَعَى إِلَى أَنْ يَتَحَلَّى بِكُلِّ مَجَالِي التَّعْبِيرِ عِنْدَ الْعَرَبِ، وَأَحَدُهَا السَّجْعُ، عَنْ قَصْدٍ وَعَمْدٍ؛ لِيَكْشِفَ عَجْزَهُمْ جَلِيًّا جَلَاءَ الشَّمْسِ» (41).

فَقَدْ أَتَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ - إِذَنْ - بِأَسْلُوبِ السَّجْعِ تَعْجِيزًا لِلْمُشْرِكِينَ عَنِ الْإِنِّيَانِ بِمَثَلِهِ، وَسَهِيلًا لِلْمُسْلِمِينَ لِتِلَاوَتِهِ وَحَفْظِهِ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ تَأْكِيدُهُ - كَمَا نَبَّهَتْ قَبْلَ - هَذَا الْمَعْنَى فِي سُورَةِ «القَمَرِ» فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ، تِلْكَ السُّورَةُ الَّتِي تَبْلُغُ خَمْسًا وَخَمْسِينَ (55) آيَةً، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ فَاصِلَتَهَا تَقُومُ عَلَى حَرْفِ رَوِيٍّ وَاحِدٍ فَحَسَبَ، هُوَ حَرْفُ «الرَّاءِ»، وَذَلِكَ فِي إِشَارَةِ مَنْهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - إِلَى أَنَّهُ قَدْ جَعَلَ السَّجْعَ أَدَاةً لِنَيْسِيرِ حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَلِأَهَمِّيَّةِ التَّكْوِينِ الصَّوْتِيِّ لِلْفَاصِلَةِ عَدَّ الْبَلَاغِيُّونَ وَالْمُفَسِّرُونَ مُخَالَفَةَ الظَّاهِرِ فِي الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ سَبَبًا لِرِعَايَةِ الْفَوَاصِلِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ وَتَنَاسُبِهَا، وَقَدْ بَدَأَ ذَلِكَ وَاضِحًا فِي تَفَاسِيرِ: الرَّازِيِّ (ت604هـ)، وَأَبِي السُّعُودِ (982هـ)، وَالْأَلُوسِيِّ (ت1270هـ)، وَالطَّاهِرِ ابْنِ عَاشُورٍ (1394هـ). عَلَى أَنَّ جُلَّ الْمُفَسِّرِينَ قَدْ اقْتَصَرُوا عَلَى ذِكْرِ هَذَا السَّبَبِ دُونَ غَيْرِهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَوَاضِعِ مُخَالَفَةِ الظَّاهِرِ فِي الْفَاصِلَةِ، يَبْدُو أَنَّ مُرَاعَاةَ الْإِيقَاعِ الْمَوْسِيقِيِّ فِي الْفَوَاصِلِ وَظِيفَةُ مَنْ وَظَائِفُ الْفَاصِلَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ، الَّتِي أَشْرَتْ إِلَيْهَا فِي التَّمْهِيدِ، وَالَّتِي خَصَّصَتْ لِبَيَانِهَا الْمَبْحَثِينَ التَّالِيِينَ.

## المبحث الثاني: الدراسة التركيبية:

يَتَنَاولُ هَذَا الْمَبْحَثُ أَبْرَزَ الظَّوَاهِرِ التَّرْكِيْبِيَّةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْفَوَاصِلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي سُورَةِ «الْأَنْفَالِ»؛ وَذَلِكَ لِبَيَانِ غَايَاتِهَا الْجَمَالِيَّةِ (وِظَائِمِهَا) الدَّلَالِيَّةِ، تِلْكَ الَّتِي لَمْ يَنْتَبِهْ - كَمَا أَشْرَتْ قَبْلَ - كَثِيرٌ مِنَ الْبَلَاغِيِّينَ وَعُلَمَاءِ الْقُرْآنِ وَالْمُفَسِّرِينَ إِلَى كَثِيرٍ مِنْهَا، إِذْ عَلَّلُوا هَذِهِ الظَّوَاهِرَ بِرِعَايَةِ الْقَوَافِي أَوْ الْفَوَاصِلِ، كَمَا صَنَعَ الْبَلَاغِيُّونَ حِينَ ذَكَرُوا أَنَّ مِنْ دَوَاعِي الْحَذْفِ أَوْ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ رِعَايَةُ الْفَاصِلَةِ، مِنْ مِثْلِ ابْنِ الْأَثِيرِ (ت 637هـ - 1240م) الَّذِي حَاوَلَ أَنْ يَغْمِزَ عَلَى الزَّمْخَشَرِيِّ (ت 538هـ)، فَقَدْ ذَهَبَ الْأَخِيرُ إِلَى أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (سورة الفاتحة: 5) إِنَّمَا قَدَّمَ فِيهِ الْمَفْعُولَ لِإِفَادَةِ الْاِخْتِصَاصِ<sup>(42)</sup>، بَيَّدَ أَنَّ ابْنَ الْأَثِيرِ قَدْ ذَهَبَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ إِذْ يَقُولُ: «وَقَدْ ذَكَرَ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّ التَّقْدِيمَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ قُصِدَ بِهِ الْاِخْتِصَاصُ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ لِمَكَانِ نَظْمِ الْكَلَامِ، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ: نَعْبُدُكَ وَنَسْتَعِينُكَ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْحُسْنِ مَا لِقَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾ فَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَذَلِكَ لِمُرَاعَاةِ حُسْنِ النِّظْمِ السَّجْعِيِّ الَّذِي هُوَ عَلَى حَرْفِ النُّونِ، وَلَوْ قَالَ نَعْبُدُكَ وَنَسْتَعِينُكَ لَذَهَبَتْ تِلْكَ الطَّلَاوَةُ، وَزَالَ ذَلِكَ الْحُسْنُ»<sup>(43)</sup>. عَلَى أَنَّ التَّقْدِيمَ فِي الْآيَةِ يَحْتَمِلُ التَّعْلِيلَيْنِ: تَعْلِيلَ الزَّمْخَشَرِيِّ بِإِفَادَةِ الْاِخْتِصَاصِ، وَتَعْلِيلَ ابْنِ الْأَثِيرِ بِرِعَايَةِ حُسْنِ النِّظْمِ السَّجْعِيِّ، وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَهُمَا الْبَتَّةَ.

وَكَمَا صَنَعَ الزَّرْكَشِيُّ - مَثَلًا - حَيْثُ جَعَلَ رِعَايَةَ الْفَاصِلَةِ غَرَضًا ثَالِثًا مُسْتَقِلًّا مِنْ أَغْرَاضِ التَّقْدِيمِ فِي جُمْلَةٍ مِنَ الْآيَاتِ دُونَ أَنْ يَذْكَرَ

مَعَ هَذَا الْغَرَضِ غَرَضًا آخَرَ، إِذْ يَقُولُ: «الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ فِي التَّأْخِيرِ إِخْلَالٌ بِالتَّنَاسُبِ، فَيَقْدَمُ لِمُشَاكَلَةِ الْكَلَامِ، وَلِرِعَايَةِ الْفَاصِلَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (سورة فصلت 37) بِتَقْدِيمِ ﴿إِيَّاهُ﴾ عَلَى ﴿تَعْبُدُونَ﴾ لِمُشَاكَلَةِ رُؤُوسِ الْآيِ، وَكَقَوْلِهِ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ (سورة طه: 67) فَإِنَّهُ لَوْ آخَرَ ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ عَنْ ﴿مُوسَى﴾، فَاتَّ تَنَاسُبُ الْفَوَاصِلِ؛ لِأَنَّ قَبْلَهُ ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ سَعَى﴾ (سورة طه: 66)، وَبَعْدَهُ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (سورة طه: 68)، وَكَقَوْلِهِ: ﴿وَتَعَشَىٰ وَجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ (سورة إبراهيم: 50)؛ فَإِنَّ تَأْخِيرَ الْفَاعِلِ عَنِ الْمَفْعُولِ لِمُنَاسَبَتِهِ لِمَا بَعْدَهُ، وَكَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (سورة إبراهيم: 51) وَهُوَ أَشْكَلُ بِمَا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ قَبْلَهُ ﴿مُفَرِّقِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (سورة إبراهيم: 49)، وَجَعَلَ مِنْهُ السَّكَاكِيَّ ﴿أَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ (سورة طه: 70) بِتَقْدِيمِ ﴿هَرُونَ﴾ مَعَ أَنَّ ﴿مُوسَى﴾ أَحَقُّ بِالتَّقْدِيمِ» (44).

وَكَذَلِكَ حِينَ جَعَلَ رِعَايَةَ الْفَاصِلَةِ سَبَبًا مُسْتَقْلَلًا مِنْ أَسْبَابِ الْحَذْفِ، يَقُولُ: «وَمِنْهَا (أَي: مِنْ أَسْبَابِ الْحَذْفِ): رِعَايَةُ الْفَاصِلَةِ نَحْوُ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (سورة الضحى: 3) ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَسَرَ﴾ (سورة الفجر: 4) وَنَحْوَهُ، وَقَالَ الرُّمَانِيُّ: إِنَّمَا حُذِفَتِ الْيَاءُ فِي الْفَوَاصِلِ؛ لِأَنَّهَا عَلَى نِيَّةِ الْوَقْفِ، وَهِيَ فِي ذَلِكَ كَالْقَوَافِي الَّتِي لَا يُوقَفُ عَلَيْهَا بِغَيْرِ يَاءٍ» (45).

وَمَنْ أَبْرَزَ الظُّوَاهِرَ التَّرَكِيبِيَّةَ فِي فَوَاصِلِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ، الِاتِّفَاتُ. وَفِيمَا يَلِي جَدُولُ إِجْمَالِي يَذْكُرُ الظُّوَاهِرَ التَّرَكِيبِيَّةَ، وَعَدَدَ كُلِّ ظَاهِرَةٍ مِنْهَا، وَنَسَبَتَهَا الْمَثْوِيَّةَ مِنْ إِجْمَالِي آيَاتِ السُّورَةِ، يَلِيهِ عَرَضٌ وَتَحْلِيلٌ لَهَا.

| م | الظاهرة          | العدد | النسبة المئوية | أرقام الآيات                                                                     |
|---|------------------|-------|----------------|----------------------------------------------------------------------------------|
| 1 | التقديم والتأخير | 17    | % 22.6         | 24 - 14 - 12 - 4 - 3 - 2<br>- 44 - 41 - 39 - 36 - 28 -<br>75 - 74 - 73 - 72 - 47 |
| 2 | الالتفات         | 5     | % 6.6          | 50 - 41 - 35 - 19 - 14 - 2                                                       |
|   | المجموع          | 22    | % 29.3         |                                                                                  |

### 1 - التقديم والتأخير في فواصل سورة «الأنفال»:

وقد ورد التقديم والتأخير في فواصل السورة الكريمة لسببين: فأمّا الأول فهو لتحقيق سرٍّ دلاليّ يناسب السياق الذي ورد فيه، وأمّا الآخر فهو لمراعاة إيقاع الفواصل السابقة واللاحقة. وفيما يلي جدول يذكر صور التقديم والتأخير في السورة الكريمة، وعدد كل صورة منها، ونسبتها المئوية من إجمالي عدد التقديم والتأخير، كما يذكر أرقام الآيات التي وردت بها كل صورة، يليه شرح وتوضيح لبعض الشواهد.

| م | صور التقديم والتأخير                       | العدد | النسبة المئوية | أرقام الآيات                                     |
|---|--------------------------------------------|-------|----------------|--------------------------------------------------|
| 1 | تقديم الجار والمجرور على العامل فيهما      | 10    | % 58.8         | - 39 - 36 - 24 - 3 - 2<br>75 - 72 - 47 - 44 - 41 |
| 2 | تقديم شبه الجملة الواقعة خبراً على المبتدأ | 4     | % 23.5         | 74 - 28 - 14 - 4                                 |
| 3 | تقديم شبه الجملة على المفعول به            | 2     | % 11.7         | 12 - 11                                          |
|   | تقديم المفعول به على الفاعل                | 1     | % 5.8          | 68                                               |
|   | المجموع                                    | 17    | % 22.6         |                                                  |

## 1) تَقْدِيمُ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ عَلَى الْعَامِلِ فِيهِمَا:

وهو - كما تبين من الجدول السابق - أكثر أنواع التقديم في فواصل السورة، إذ ورد في عشرة مواضع مع تأخير العامل، وهذا العامل قد يكون فعلاً، وقد يكون اسماً عاملاً عمل الفعل بشروط كاسماء الفاعل أو المفعول أو صيغ المباعدة، ومن صور مجيء العامل فعلاً ما يلي:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (سورة الأنفال: 2).

ففاصلة الآية هي جملة: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾، وفيها تم تقديم الجار والمجرور على العامل فيهما، إذ التقديم: وَيَتَوَكَّلُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، ولعل السبب في هذا التقديم إنما يرجع إلى أن الآية تذكر ثلاثاً من صفات المؤمنين كاملي الإيمان، فهم الذين إذا ذكر الله فرعت قلوبهم، وهم أولئك الذين إذا تليت عليهم آيات القرآن زادتهم إيماناً مع إيمانهم؛ لتدبرهم معانيه، وهم الذين على ربهم لا على غيره يعتمدون، فلا يرجون غيره، ولا يرهبون سواه. ومن ثم أفاد التقديم دلالة الاختصاص، وإلى ذلك أشار الرازي (ت 604هـ) بقوله: «هذا الكلام يفيد الحصر، ومعناه: أنهم لا يتوكلون إلا على ربهم، وهذه الحالة مرتبة عالية ودرجة شريفة، وهي: أن الإنسان بحيث يصير لا يبقى له اعتماد في أمر من الأمور إلا على الله»<sup>(46)</sup>، كما أشار إليها الألوسي (ت 1270هـ) في تفسير جملة الفاصلة بقوله: «أي يفوضون أمورهم كلها إلى مالكتهم ومدبرهم خاصة لا إلى أحد سواه كما يدل عليه تقديم المتعلق على عامله»<sup>(47)</sup>.

وَقَدْ ذَكَرَ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ (ت 1394هـ/ 1973م) أَنَّ التَّقْدِيمَ فِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ إِنَّمَا يَرْجِعُ إِمَّا إِلَى رِعَايَةِ الْفَاصِلَةِ وَإِمَّا إِلَى التَّعْرِيزِ بِذِمِّ الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ عَلَى إِعَانَةِ الْأَصْنَامِ، وَنَبَّهَ إِلَى أَنَّ فِيهِ - أَيْضًا - تَحْذِيرًا مِّنْ أَنْ تَبْقَى فِي نَفُوسِ الْمُؤْمِنِينَ آثَارٌ مِّنَ التَّلَقُّ بِمَا نَهَوْا عَنِ التَّلَقُّ بِهِ<sup>(48)</sup>، عَلَى أَنَّ هَذَا التَّقْدِيمَ يَحْتَمِلُ كُلَّ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءُ مِنْ دَلَالَاتٍ وَمَعَانٍ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (سورة الأنفال: 24).

وَسِيَاقُ الْآيَةِ السَّابِقَةِ فِي أَمْرِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَقْتَضِيهِ الْإِيمَانُ مِنْهُمْ، وَهُوَ الاسْتِجَابَةُ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، أَيْ: «الْانْقِيَادُ لِمَا أَمَرَ بِهِ وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى ذَلِكَ وَالِدَعْوَةُ إِلَيْهِ، وَالْاجْتِنَابُ لِمَا نَهَى عَنْهُ، وَالْانْكَفَافُ عَنْهُ وَالنَّهْيُ عَنْهُ»<sup>(49)</sup>، وَمِنْ ثَمَّ جَاءَتْ جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ: ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لِنَفْيِ دَلَالَةِ الْاِخْتِصَاصِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ تُبْعَثُونَ، «فَيُجَازِيكُمْ بِحَسَبِ مَرَاتِبِ أَعْمَالِكُمْ فَسَارِعُوا إِلَى طَاعَتِهِ تَعَالَى وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَبَالِغُوا فِي الاسْتِجَابَةِ لَهُمَا»<sup>(50)</sup>، وَإِلَى هَذِهِ الدَّلَالَةِ أَشَارَ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ، فَقَالَ: «وَتَقْدِيمُ مُتَعَلِّقٍ ﴿تُحْشَرُونَ﴾ عَلَيْهِ لِإِفَادَةِ الْاِخْتِصَاصِ، أَيْ: إِلَيْهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ تُحْشَرُونَ، وَهَذَا الْاِخْتِصَاصُ لِلْكِنَايَةِ عَنِ انْعِدَامِ مَلْجَأٍ أَوْ مَخْبَأٍ تَلْتَجِئُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَشْرِ إِلَى اللَّهِ فَكُنَى عَنِ انْتِفَاءِ الْمَكَانِ بِانْتِفَاءِ مُحْشُورٍ إِلَيْهِ غَيْرَ اللَّهِ بِأَبْدَعِ اسْلُوبٍ، وَلَيْسَ الْاِخْتِصَاصُ لِرَدِّ اعْتِقَادٍ؛ لِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ بِذَلِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ»<sup>(51)</sup>.

كَمَا نَشْعُرُ فِيهَا - أَيْضًا - بِدَلَالَةِ التَّهْدِيدِ، وَذَلِكَ لِدَفْعِ الْمُؤْمِنِينَ دَفْعًا إِلَى طَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ، فَهُمْ -لَا مَحَالَةَ - وَاقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمُحَاسِبُونَ.

وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذَا التَّقْدِيمَ حَقَّقَ - بِالإِضَافَةِ إِلَى الْوُضَائِفِ الدَّلَالِيَّةِ السَّابِقَةِ - وَظِيفَةً صَوْتِيَّةً إيقاعيةً، وَهِيَ مُرَاعَاةُ الْفَوَاصِلِ السَّابِقَةِ، الْمَبْنِيَّةِ عَلَى حَرْفِ الرَّوِيِّ النُّونِ الْمَرْدُوفِ بِالْمَدِّ بِالْوَاوِ.

وَقَدْ يَكُونُ الْعَامِلُ اسْمًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (سورة الأنفال: 47).

فَجُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ: ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ بِهَا جَارٌ وَمَجْرُورٌ: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾، يَتَقَدَّمُ عَلَى مَعْمُولِهِ اسْمُ الْفَاعِلِ: ﴿مُحِيطٌ﴾، وَلَآنَ الْآيَةَ فِي سِيَاقِ نَهْيِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ حِينَ خُرُوجِهِمْ لِلْجِهَادِ، أَنْ يُشَبِّهُوا الْمُشْرِكِينَ فِي كِبَرِهِمْ وَرِيَاءَتِهِمْ؛ لِيَمْنَعُوا النَّاسَ عَنِ الدُّخُولِ فِي دِينِ اللَّهِ، فَقَدْ أَفَادَ التَّقْدِيمَ دَلَالَةَ التَّهْدِيدِ لِأَوَّلِكَ الْمُشْرِكِينَ، إِذْ عَلِمَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُحِيطٌ بِكُلِّ أَعْمَالِهِمْ، يَعْلَمُ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، وَسَيَاقِبُهُمْ عَلَيْهَا أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ، وَفِي ذَلِكَ رَدْعٌ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِهِمْ، وَدَفْعٌ لَهُمْ فِي أَنْ يَكُونَ جِهَادُهُمْ بِقَصْدِ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَدْ أَشَارَ الرَّازِيُّ إِلَى دَلَالَةِ التَّهْدِيدِ هَذِهِ بِقَوْلِهِ: «ثُمَّ خَتَمَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْإِنْسَانَ رُبَّمَا أَظْهَرَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّ الْحَامِلَ لَهُ وَالِدَاعِي إِلَى الْفِعْلِ الْمَخْصُوصِ طَلَبُ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ، فَبَيْنَ تَعَالَى كَوْنُهُ عَالَمًا بِمَا فِي دَوَاحِلِ الْقُلُوبِ، وَذَلِكَ كَالْتَهْدِيدِ وَالزَّجْرِ عَنِ الرِّئَاءِ وَالتَّصَنُّعِ» (52).

وَقَدْ يَكُونُ الْعَامِلُ صَيْغَةً مُبَالَغَةً، وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 75).

فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ عَلَى عَامِلِهِ / صَيْغَةُ الْمُبَالَغَةِ: ﴿عَلِيمٌ﴾، وَذَلِكَ لِسَبْيَيْنِ: فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَهُوَ سَبَبُ صَوْتِي إِيْقَاعِي، وَهُوَ مُرَاعَاةُ الْفَاصِلَةِ السَّابِقَةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى حَرْفِ الرَّوِيِّ الْمِيمِ الْمَرْدُوفِ بِالْمَدِّ بِالْيَاءِ. وَأَمَّا الْآخِرُ فَهُوَ سَبَبُ دَلَالِيٍّ، وَذَلِكَ أَنَّ الْآيَةَ تَتَحَدَّثُ إِلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ عَنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِهِمْ، وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَتَبَيَّنَ أَنَّهُمْ مِنْهُمْ، لَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ، بَيَّنَّ أَنَّهَا تَنْقُلُ حُكْمَ التَّوَارِثِ لِلْأَرْحَامِ لَا لِلصُّحْبَةِ وَالْأَخُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، وَمِنْ ثَمَّ آتَتْ جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ مُؤَكِّدَةً عِلْمَ اللَّهِ الْمَطْلُوقِ بِكُلِّ شَيْءٍ. ذَلِكَ أَنَّ فِي تَقْدِيمِ شَبْهِ الْجُمْلَةِ عَلَى عَامِلِهَا مِمَّا يَنْبَغِي إِلَى وَاسِعِ عِلْمِهِ، وَعَظِيمِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ يَعْلَمُ الشَّيْءَ الْعَظِيمَ أَوِ الْحَقِيرَ، الْكَبِيرَ أَوِ الصَّغِيرَ؛ وَذَلِكَ مِمَّا يَعْمَلُ عَلَى إِذْعَانِ الْمُؤْمِنِينَ لِخَالِقِهِمْ، وَالِاسْتِجَابَةِ لِمَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ مِنْ أُمُورِ الْمَوَارِيثِ أَوْ غَيْرِهَا. يَقُولُ الرَّازِيُّ: «ثُمَّ قَالَ فِي خَتَمِ السُّورَةِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَالْمُرَادُ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْكَامَ الَّتِي ذَكَرْتُهَا وَفَصَّلْتُهَا كُلُّهَا حِكْمَةٌ وَصَوَابٌ وَصَلَاحٌ، وَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْعَبَثِ وَالْبَاطِلِ، لِأَنَّ الْعَالَمَ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالصَّوَابِ» (53).

(2) تَقْدِيمُ شَبْهِ الْجُمْلَةِ الْوَاقِعَةِ خَبَرًا عَلَى الْمُبْتَدَأِ:

وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 74).

فَالْآيَةُ السَّابِقَةُ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَنْتَهُمْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ صَدَّقُوا إِيْمَانَهُمْ بِمَا قَامُوا بِهِ مِنْ هَجْرَةٍ وَنُصْرَةٍ وَمَوَالَاةٍ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ضِدَّ أَعْدَاءِ الدِّينِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَمَنْ ثُمَّ خَتَمَتِ الْآيَةُ بِجُمْلَةٍ خَبَرِيَّةٍ، هِيَ قَوْلُهُ: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. وَذَلِكَ لِبَيَانِ تَوَابِهِمْ فِي الْآخِرَةِ عَلَى مَا قَدَّمُوهُ مِنْ هَجْرَةٍ وَنُصْرَةٍ وَجَهَادٍ، فَالْجُمْلَةُ تَقَرَّرُ أَنَّ اللَّهَ سَيَغْفِرُ لَهُمْ ذُنُوبَهُمْ، وَيَرْزُقُهُمْ رِزْقًا وَاسِعًا فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. وَتَقْدِيمُ شِبْهِ الْجُمْلَةِ: ﴿لَهُمْ﴾ الْوَاقِعَةُ خَبْرًا عَلَى الْمَبْتَدَأِ وَمَا عُطِفَ عَلَيْهِ: ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾، يَفِيدُ الْاِخْتِصَاصَ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ اخْتَصَّ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ دُونَ غَيْرِهِمْ بِهَذِهِ الْمَغْفِرَةِ وَهَذَا الرِّزْقِ الْوَاسِعِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ فِي الْآخِرَةِ. وَفِي هَذَا التَّقْدِيمِ - أَيْضًا - مُرَاعَاةٌ لِلْفَاصِلَةِ اللَّاحِقَةِ الْمُبْنِيَّةِ عَلَى حَرْفِ الرَّوِيِّ «الْمِيمِ» الْمَرْدُوفِ بِالْمَدِّ بِالْيَاءِ.

### (3) تَقْدِيمُ شِبْهِ الْجُمْلَةِ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ:

وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (سورة الأنفال: 12).

فَالْخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ يَتَحَدَّثُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُخَبِّرُهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَوْحَىٰ لِلْمَلَكَةِ بِمَعِيَّتِهِ لَهُمْ أَمْرًا إِيَّاهُمْ بِتَثْبِيتِ الْمُؤْمِنِينَ وَقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ وَضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ وَضَرْبِ كُلِّ مِفْصَلٍ مِنْهُمْ. وَقَدَّمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ ﴿مِنْهُمْ﴾ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ لِإِفَادَةِ الْاِخْتِصَاصِ، وَالْمَعْنَى: وَأَضْرِبُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لَا مِنْ غَيْرِهِمْ كُلَّ مِفْصَلٍ / أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ.

#### (4) تَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ بِهِ عَلَى الْفَاعِلِ :

وقد ورد تَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ بِهِ عَلَى الْفَاعِلِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 68).

فَفِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ: ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ تَقْدَمَ الْمَفْعُولُ بِهِ / الضَّمِيرُ «كُمْ» عَلَى الْفَاعِلِ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لِقَصْدِ الْاِخْتِصَاصِ، أَيْ لَمَسَّكُمْ أَنْتُمْ - يَا مَنْ أَخَذْتُمْ فِدَاءَ أَسْرَى الْمُشْرِكِينَ - دُونَ سِوَاكُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ فِي الدُّنْيَا، كَمَا نَشْعُرُ بِدَلَالَةِ التَّحْذِيرِ إِذِ الْمُرَادُ بِالْعَذَابِ فِي الْآيَةِ «أَنَّ أُولَئِكَ الْأَسْرَى الَّذِينَ فَادَوْهُمْ كَانُوا صِنَادِيدَ الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ تَخَلَّصُوا مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ يَحْمِلُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَنْقًا فَكَانَ مِنْ مُعْتَادِ أَمْثَالِهِمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَنْ يَسْعُوا فِي قَوْمِهِمْ إِلَى اخْتِصَاصِ ثَارِ قَتْلِهِمْ وَاسْتِرْدَادِ أَمْوَالِهِمْ فَلَوْ فَعَلُوا لَكَانَتْ دَائِرَةُ عَظِيمَةٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَلِكَ فَصَرَفَ الْمُشْرِكِينَ عَنْ مَحَبَّةِ اخْتِصَاصِ الثَّارِ، وَالْهَاهُمْ بِمَا شَغَلَهُمْ عَنْ مُعَاوَدَةِ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَذَلِكَ الْمَصْرَفُ هُوَ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي سَبَقَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. وَقَدْ حَصَلَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ تَحْذِيرُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعُودَةِ لِلْفِدَاءِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ وَبِذَلِكَ كَانَتْ تَشْرِيعًا لِلْمُسْتَقْبَلِ» (54).

#### 2 - الْاِلْتِفَاتُ فِي فَوَاصِلِ سُورَةِ «الْأَنْفَالِ» :

وَقَدْ وَرَدَ الْاِلْتِفَاتُ فِي فَوَاصِلِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ، وَمِنْ أَبْرَزِ صُورِهِ: الْاِلْتِفَاتُ مِنَ التَّكْلُمِ إِلَى الْغِيَابِ، وَمِنْ الْغِيَابِ إِلَى الْخُطَابِ، وَمِنْ الْخُطَابِ إِلَى الْغِيَابِ. وَفِيمَا يَلِي جَدُولَ إِجْمَالِي يَذْكُرُ صُورَ الْاِلْتِفَاتِ، وَعَدَدَ كُلِّ صُورَةٍ مِنْهُ، وَنَسَبَتَهُ الْمَثْوِيَّةَ مِنْ إِجْمَالِي آيَاتِ السُّورَةِ، وَأَرْقَامَ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ بِهَا، ثُمَّ يَلِيهِ عَرْضٌ لِبَعْضِ مَوَاضِعِ الْاِلْتِفَاتِ، وَبَيَانٌ لِّلْعَلَّةِ مَجِيئِهِ فِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ.

| م       | صُورُ الْاَلْتِفَاتِ                             | الْعَدَدُ | النَّسْبَةُ<br>الْمَوْئِيَّةُ | أَرْقَامُ<br>الآيَاتِ |
|---------|--------------------------------------------------|-----------|-------------------------------|-----------------------|
| 1       | الْاَلْتِفَاتُ مِنَ التَّكْلُمِ إِلَى الْغِيَابِ | 2         | 22.6 %                        | 41 - 19               |
| 2       | الْاَلْتِفَاتُ مِنَ الْخُطَابِ إِلَى الْغِيَابِ  | 2         | 2.6 %                         | 50 - 35               |
| 3       | الْاَلْتِفَاتُ مِنَ التَّكْلُمِ إِلَى الْغِيَابِ | 2         | 1.3 %                         | 14                    |
| المجموع |                                                  | 5         | 6.6 %                         |                       |

### (1) الْاَلْتِفَاتُ مِنَ التَّكْلُمِ إِلَى الْغِيَابِ:

وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ تَسْتَفِئِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنفال: 19).

فَقَدْ عَدَلَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ مِنْ صِيغَةِ التَّكْلُمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿نَعُدْ﴾ إِلَى صِيغَةِ الْغِيَابِ فِي قَوْلِهِ فِي فَاصِلَةِ الْآيَةِ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وَكَانَ مِنْ مُقْتَضَى السِّيَاقِ أَنْ يَقُولَ: «وَأَنَّا مَعَ الْمُؤْمِنِينَ»؛ لِيَمْضِيَ السِّيَاقُ عَلَى وَبَرَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ طَرِيقُ التَّكْلُمِ، وَذَلِكَ أَنَّ سِيَاقَ الْآيَةِ فِي الْحَدِيثِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ، وَإِخْبَارِهِمْ - عَلَى سَبِيلِ الْاسْتَهْزَاءِ وَالتَّهْدِيدِ - بِأَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا قَدْ طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ يُوَقَّعَ بِأَسْهُ وَعَذَابُهُ عَلَى الْمُعْتَدِينَ الظَّالِمِينَ<sup>(55)</sup> فَقَدْ أَجَابَ اللَّهُ طَلِبَهُمْ، حِينَ أَوْقَعَ بِهِمْ مِنْ عِقَابِهِ مَا كَانَ نَكَالًا لَهُمْ وَعِبْرَةً لِلْمُتَّقِينَ، ثُمَّ يَنْقَلُ الْحَدِيثُ إِلَى دَعْوَةِ الْمُشْرِكِينَ - مُرَغِّبًا لَهُمْ - إِلَى خَيْرِ أَنْفُسِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ الْإِنْتِهَاءُ عَنْ قِتَالِ الرُّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يَحْذَرُهُمْ مِنَ الْعُودَةِ لِلْقِتَالِ، إِذْ لَوْ عَادُوا لِلْقِتَالِ لَعَادَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِهَزِيمَتِهِمْ كَمَا هَزَمَهُمْ فِي بَدْرِ مُنْبَهًا إِيَّاهُمْ إِلَى الْأَيْغَرُوا بِقُوَّتِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ؛ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي الْعُدُولِ مِنْ صِيغَةِ التَّكَلُّمِ إِلَى صِيغَةِ الْغِيَابِ فِي فَاصِلَةِ الْآيَةِ، أَنَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى أَرَادَ بِإِظْهَارِ اسْمِهِ أَنْ يُؤَكِّدَ مَعِيَّتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْ يَبْكِيَ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ هُمُ الْغَالِبُونَ، وَأَنَّهُمْ أَهْدَى سَبِيلًا مِنْ حِزْبِ اللَّهِ الْمُتَنَصِّرِينَ.

## (2) الْاِتِّفَاتُ مِنَ الْغِيَابِ إِلَى الْخُطَابِ:

وَمِنْهُ قَوْلُهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (سورة الأنفال: 35).

فَقَدْ اتَّفَقَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ صِيغَةِ الْغِيَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾ إِلَى صِيغَةِ الْخُطَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، وَكَانَ مِنْ مُقْتَضَى السِّيَاقِ أَنْ يَقُولَ: «فَلْيَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ»، بَيِّنَ أَنَّهُ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى عَدَلَ إِلَى طَرِيقِ الْخُطَابِ؛ لِيُنَبِّهَ إِلَى عَظَمِ هَذَا الْعَذَابِ، وَلِيُشِيرَ إِلَى «عَذَابٍ وَقَعَ بِهِمْ، إِذِ الْأَمْرُ هُنَا لِلتَّوْبِيخِ وَالتَّغْلِيظِ، وَذَلِكَ هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي حُلَّ بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، مِنْ قَتْلِ وَأَسْرِ وَحَرْبٍ»<sup>(56)</sup>، فَصِيغَةُ الْأَمْرِ فِيهَا مِنَ الاسْتَهْزَاءِ وَالسَّخَرَةِ وَالتَّوْبِيخِ مَا فِيهَا، وَفِي اخْتِيَارِهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْمَادَّةِ الْمُعْجَمِيَّةِ (ذَوْقُ) الَّتِي بَنِيَ مِنْهَا الْفِعْلُ، مَا يُؤَكِّدُ تِلْكَ الْمَعَانِي وَيَزِيدُهَا عُمُقًا، إِذِ التَّذَوُّقُ مَعَهُودٌ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَتَلَذَّذُ بِهَا الْمَرْءُ، وَاقْتِرَانُهَا بِالْعَذَابِ يُدَلُّ عَلَى احْتِقَارِهِمْ وَصِغَرِ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ خَالِقِهِمْ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى.

## (3) الْاِتِّفَاتُ مِنَ الْخُطَابِ إِلَى الْغِيَابِ:

وَقَدْ وَرَدَ فِي قَوْلِهِ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ (سورة الأنفال: 14).

فَقَدْ اتَّفَقَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ صِيغَةِ الْخُطَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ صِيغَةِ الْغِيَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾، وَكَانَ مِنْ مُقْتَضَى

السِّيَاقُ أَنْ يَقُولَ: «وَأَنَّ لَكُمْ عَذَابَ النَّارِ»، يَبْدُ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى عَدَلَ إِلَى طَرِيقِ الْغِيَابِ رَغْبَةً فِي تَحْقِيرِهِمْ، وَإِذْنًا لظُهُورِ وَصْفِهِمْ بِالْكَفْرِ، «فَالْمَعْنَى بَاشِرُوا ذَلِكُمُ الْعِقَابَ الَّذِي أَصَابَكُمْ فَذُوقُوهُ عَاجِلًا مَعَ أَنَّ لَكُمْ عَذَابَ النَّارِ أَجَلًا، فَوَضَعَ الظَّاهِرَ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ لِتَوْيِيخِهِمْ بِالْكَفْرِ وَتَعْلِيلِ الْحُكْمِ بِهِ»<sup>(57)</sup>، وَإِرَادَةَ التَّعْمِيمِ، أَيِ إِنَّ لِكُلِّ كَافِرٍ عَذَابَ النَّارِ.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: الدِّرَاسَةُ النَّصِّيَّةُ:

تَقُومُ الدِّرَاسَةُ النَّصِّيَّةُ عَلَى هَدَفٍ وَاحِدٍ، هُوَ الْوَصْفُ وَالدِّرَاسَةُ اللُّغَوِيَّةُ لِلأَبْنِيَّةِ النَّصِّيَّةِ، وَتَحْلِيلُ الْمَظَاهِرِ الْمُتَنَوِّعَةِ لِأَشْكَالِ التَّوَاصُلِ النَّصِّيِّ، وَالكَشْفُ عَنْ عِلَاقَاتِ هَذِهِ الْأَبْنِيَّةِ النَّصِّيَّةِ الَّتِي تَتَحَقَّقُ بِهَا نَصِيَّةُ النَّصِّ، وَذَلِكَ تَحْتَ مُصْطَلَحَاتٍ: (نَحْوُ النَّصِّ) أَوْ (عِلْمُ النَّصِّ) أَوْ (عِلْمُ اللُّغَةِ النَّصِّيِّ) أَوْ (نَظَرِيَّةُ النَّصِّ)؛ إِذْ قَدْ اشْتَرَكَتْ هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتُ جَمِيعُهَا فِي تَحْقِيقِ هَذَا الْهَدَفِ، وَإِنْ كَانَ مُصْطَلَحُ (نَحْوُ النَّصِّ) أَكْثَرَ اقْتِرَابًا مِنْ تَحْقِيقِ الْهَدَفِ وَتَوْضِيحِ صَوْرِ التَّمَاسُكِ وَالتَّرَابُطِ النَّصِّيِّ<sup>(58)</sup>.

هَذَا، وَقَدْ وَضَعَ روبرت دي بيوجراند سَبْعَةَ مَعَايِيرَ لِلنَّصِيَّةِ، وَهِيَ السَّبْكُ Cohesion، وَالحَبْكُ / الالْتِحَامُ Coherence، وَالْقَصْدِيَّةُ Intentionality، وَالْمَقْبُولِيَّةُ Acceptability، وَرِعَايَةُ الْمَوْقِفِ / سِيَاقُ الْمَوْقِفِ Situational، وَالتَّنَاصُ Intertextuality، وَالإِعْلَامِيَّةُ<sup>(59)</sup> Informatively.

عَلَى أَنَّ مَعْيَارِي: السَّبْكُ، وَالحَبْكُ هُمَا مَا يَتَّصِلُ بِالنَّصِّ فِي ذَاتِهِ<sup>(60)</sup>، وَمِنْ ثَمَّ سَتَقْتَصِرُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ عَلَيْهِمَا دُونَ سَوَاهُمَا.

أولاً - السَّبْكُ فِي فَوَاصِلِ سُورَةِ «الْأَنْفَالِ»:

وَالْمَقْصُودُ بِمُصْطَلَحِ «السَّبْكِ» هُوَ ذَلِكَ التَّمَاسُكُ أَوْ التَّرَابُطُ الشَّدِيدُ بَيْنَ كَلِمَاتِ النَّصِّ وَجُمْلِهِ عَلَى مُسْتَوَى عَنَاصِرِ النَّصِّ الظَّاهِرَةِ،

وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقٍ وَسَائِلٍ لُغَوِيَّةٍ (شَكْلِيَّةٍ) تَصِلُ بَيْنَ هَذِهِ الْعُنَاصِرِ<sup>(61)</sup>،  
وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْبُرْهَنَةِ عَلَى أَنَّ النَّصَّ/الْخَطَابَ (الْمُعْطَى اللَّغَوِيَّ  
بِصِفَةِ عَامَّةٍ) يُشَكِّلُ كَلَامًا مُتَّخِذًا<sup>(62)</sup>.

وَلَقَدْ قَدَّمَ «هاليداي»، و«رقية حسن» في دراسة بِعُنْوَانِ «السَّبْكُ  
فِي الْإِنْجِلِيزِيَّة Cohesion In English» تَصَوُّراً كاملاً لَوْسَائِلِ السَّبْكِ  
النَّصِّيِّ، وَقَسَّمَا وَسَائِلَ السَّبْكِ إِلَى<sup>(63)</sup>:

1 - وَسَائِلُ نَحْوِيَّةٍ: (الإحالة Reference - الاستبدال Substitution - الحذف Ellipsis).

2 - وَسَائِلُ مَعْجَمِيَّةٍ: (التكرار Reiteration - المصاحبة المعجمية Collocation).

3 - وَسَائِلُ نَحْوِيَّةٍ مَعْجَمِيَّةٍ: (الوصل Conjunction).  
وَمِنْ أَبْرَزِ وَسَائِلِ سَبْكِ النَّصِّ فِي فَوَاصِلِ «سُورَةِ الْأَنْفَالِ» الْإِحَالَةُ  
وَالْحَذْفُ، وَالتَّكْرَارُ، وَفِيمَا يَلِي عَرَضُ لِهَذِهِ الْوَسَائِلِ، وَبَيَانُ لِدَوْرِهَا فِي  
سَبْكِ آيَاتِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

1 - الْإِحَالَةُ فِي فَوَاصِلِ «سُورَةِ الْأَنْفَالِ»:  
وَقَدْ وَرَدَتْ الْإِحَالَةُ فِي فَوَاصِلِ «سُورَةِ الْأَنْفَالِ» فِي سِتَّةٍ وَسَبْعِينَ  
مَوْضِعًا، وَكَانَ مِنْ أَبْرَزِ أَنْوَاعِ الْإِحَالَةِ: الْإِحَالَةُ بِالضَّمِيرِ، وَبِالْأَسْمِ  
الْمَوْصُولِ، وَبِالْإِشَارَةِ. وَفِيمَا يَلِي جَدَوْلٌ إِجْمَالِيٌّ يُوَضِّحُ نَوْعَ الْإِحَالَةِ،  
وَعَدَدَ كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا، وَنَسَبَتَهُ الْمِئْوِيَّةَ مِنْ إِجْمَالِيَّ آيَاتِ السُّورَةِ، يَلِيهِ عَرَضُ  
وَتَحْلِيلٌ لِبَعْضِ الشُّوَاهِدِ.

| م       | نوع الإحالة            | العدد | النسبة<br>النسبية<br>المئوية |
|---------|------------------------|-------|------------------------------|
| 1       | الإحالة بالضمير        | 66    | 88 %                         |
| 2       | الإحالة بالاسم الموصول | 8     | 10.6 %                       |
| 3       | الإحالة باسم الإشارة   | 2     | 2.6 %                        |
| المجموع |                        | 76    | 101.3 %                      |

### 1) الإحالة بالضمير:

وَسَاعَرَضُ - فِيمَا يَلِي - للإحالة النصية فَحَسَبُ لِلضَّمَائِرِ فِي فواصل «سورة الأنفال»، تلك التي تَعْمَلُ عَلَى تَمَاسُكِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ. وَهَذَا - أَوَّلًا - جَدُولٌ يَبِينُ أَنْوَاعَهَا، وَأَعْدَادُ كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا، وَنَسَبَتُهُ الْمِئْوِيَّةُ مِنْ إِجْمَالِي آيَاتِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، يَلِيهِ عَرَضٌ وَتَفْصِيلٌ لِكُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا:

#### أ - الإحالة بضمير الغائب:

وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (سورة الأنفال: 2)، فَضَمِيرُ الْغَائِبِ «هُمْ» فِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبِّهِمْ﴾ يَعُودُ إِلَى كَلِمَةِ «الْمُؤْمِنُونَ» فِي صَدْرِ الْآيَةِ مِمَّا عَمِلَ عَلَى تَمَاسُكِهَا.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 63)، فَضَمِيرُ الْغَائِبِ «الْهَاءُ» فِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ﴾ يَعُودُ إِلَى كَلِمَةِ «اللَّهُ» قَبْلَهُ؛ مِمَّا عَمِلَ عَلَى تَمَاسُكِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

## ب - الإحالة بضمير المخاطب:

وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَذَكِّرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَنْخَظِفَكُمْ النَّاسُ فَءَاوَيْتَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَزَادَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (سورة الأنفال: 24-26).

ففي فاصلة الآية الرابعة والعشرين ضمير مخاطب، هو «وَأُوّ الْجَمَاعَةِ» في قوله: ﴿تُحْشَرُونَ﴾ وهو يعود إلى قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في صدر الآية، وفي فاصلة الآية السادسة والعشرين ضميراً مخاطباً، هما: الضمير «كُمْ» في قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ﴾، والضمير «وَأُوّ الْجَمَاعَةِ» في قوله: ﴿تَشْكُرُونَ﴾، وهما يعودان - أيضاً - إلى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ وذلك ممّا عمل على تماسك الآيات الكريمة السابقة، وأشار إلى أن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هم محور الحديث فيها.

## ج - الإحالة بضمير المتكلم:

وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (سورة الأنفال: 9).

فضمير المتكلم «الْيَاءُ» في قوله: ﴿أَنِّي﴾ يعود إلى كلمة «رَبِّ» في قوله: ﴿رَبَّكُمْ﴾ في صدر الآية الكريمة ممّا عمل على تماسكها.

## 2) الإحالة بالاسم الموصول:

وَقَدْ وَرَدَتِ الإحالة بالاسم الموصول في ثمانية مواضع في فواصل سورة «الأنفال»، وهذا - أولاً - جدول يذكر الاسم الموصول، وعدده،

وَنَسَبَتْهُ الْمَثْوِيَّةُ مِنْ إِجْمَالِي آيَاتِ السُّورَةِ، وَأَرْقَامَ الْآيَاتِ، ثُمَّ يَلِي هَذَا الْجَدُولَ عَرْضٌ لِبَعْضِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَبَيَانٌ لِدَوْرِهَا فِي سَبَكِ نَصِّ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

| م | نَوْعُ الْإِحَالَةِ | الْعَدَدُ | النِّسْبَةُ الْمَثْوِيَّةُ | الآيَاتِ               |
|---|---------------------|-----------|----------------------------|------------------------|
| 1 | ما                  | 5         | % 6.6                      | 73 - 68 - 47 - 39 - 35 |
| 2 | الذين               | 2         | % 2.6                      | 36 - 22                |
| 3 | الذي                | 1         | % 1.3                      | 62                     |
|   | المجموع             | 8         | % 10.6                     |                        |

#### أ - الاسمُ المَوْصُولُ «مَا»:

وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلَّهُ لِلَّهِ فَإِنْ أُنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سورة الأنفال: 39).

فَالاسْمُ الْمَوْصُولُ/ الْعَنْصَرُ الْإِحَالِيُّ «مَا» فِي قَوْلِهِ: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ يَعُودُ إِلَى «الْإِنْتِهَاءِ» الْمَفْهُومِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ أُنْتَهَوْا﴾ قَبْلَهُ؛ مِمَّا عَمِلَ عَلَى تَمَاسُكِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

#### ب - الاسمُ المَوْصُولُ «الَّذِينَ»:

وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (سورة الأنفال: 22).

فَالاسْمُ الْمَوْصُولُ/ الْعَنْصَرُ الْإِحَالِيُّ «الَّذِينَ» فِي عَجْزِ الْآيَةِ يَعُودُ إِلَى الْمَرْكَبِ الْإِضَافِيِّ «شَرِّ الدَّوَابِّ» فِي صَدْرِهَا؛ مِمَّا عَمِلَ عَلَى تَمَاسُكِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

## ج - الاسم الموصول «الذي»:

وَقَدْ وَرَدَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنفال: 62).

فَالاسْمُ الْمَوْصُولُ / الْعَنْصَرُ الْإِحَالِيُّ «الذي» فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ﴾ يَعُودُ إِلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ ﴿اللَّهُ﴾ قَبْلَهُ؛ مِمَّا عَمِلَ عَلَى تَمَاسُكِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

## 3) الإحالة باسم الإشارة:

وَقَدْ وَرَدَتِ الْإِحَالَةُ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ فِي مَوْضِعَيْنِ فَحَسَبُ فِي فَوَاصِلِ سُورَةِ «الأنفال»، وَهَذَا - أَوَّلًا - جَدُولٌ يَذْكُرُ اسْمَ الْإِشَارَةِ، وَعَدَدَهُ، وَنَسَبَتَهُ الْمَثْوِيَّةَ مِنْ إِجْمَالِي آيَاتِ السُّورَةِ، وَأَرْقَامَ الْآيَاتِ، ثُمَّ يَلِي هَذَا الْجَدُولَ عَرْضٌ لِهَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ، وَبَيَانٌ لِدَوْرِ اسْمِ الْإِشَارَةِ فِي سَبْكِ نَصِّ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

| م | نوع الإحالة | العدد | النسبة المئوية | الآيات |
|---|-------------|-------|----------------|--------|
| 1 | هذا         | 1     | 1.3 %          | 31     |
| 2 | أولئك       | 1     | 1.3 %          | 37     |
|   | المجموع     |       | 2.6 %          |        |

## أ - الإحالة باسم الإشارة «هذا»:

وَقَدْ وَرَدَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا نُتِلَ عَلَيْهِمْ أَيْتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (سورة الأنفال: 31).

فَاسْمُ الْإِشَارَةِ / الْعَنْصُرُ الْإِحَالِي ﴿هَذَا﴾ فِي قَوْلِهِ فِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يَعُودُ إِلَى «آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ» فِي قَوْلِهِ: ﴿ءَايَتُنَا﴾ قَبْلَهُ؛ مِمَّا عَمِلَ عَلَى تَمَاسُكِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

أ - الإحالة بِاسْمِ الْإِشَارَةِ «أُولَئِكَ»:

وَقَدْ وَرَدَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَيْثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة الأنفال: 37).

فَاسْمُ الْإِشَارَةِ / الْعَنْصُرُ الْإِحَالِي «أُولَئِكَ» فِي قَوْلِهِ فِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ: «أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» يَعُودُ إِلَى «الْخَيْثِ» فِي قَوْلِهِ: «وَيَجْعَلَ الْخَيْثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ» قَبْلَهُ؛ مِمَّا عَمِلَ عَلَى تَمَاسُكِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

## 2 - الحذف في فواصل سورة «الأنفال»:

وَقَدْ وَرَدَ الْحَذْفُ فِي فَوَاصِلِ سُورَةِ «الأنفال» فِي تِسْعَةِ مَوَاضِعَ، بِنِسْبَةِ مِئْوَةِ تَبْلُغُ (12 ٪)، وَفِيمَا يَلِي جَدُولٌ يَذْكُرُ صُورَ الْحَذْفِ فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ، وَعَدَدَ كُلِّ صُورَةٍ مِنْهَا، وَنَسَبَتَهَا الْمِئْوَةِ مِنْ إِجْمَالِيٍّ عَدَدَ الْحَذْفِ، كَمَا يَذْكُرُ أَرْقَامُ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ بِهَا كُلُّ صُورَةٍ، يَلِيهِ شَرْحٌ وَتَوْضِيحٌ لِبَعْضِ الشُّوَاهِدِ.

| م       | صُورُ الحَذَفِ                    | العَدَدُ | النِّسْبَةُ<br>المِئْوِيَّةُ | الآيَات        |
|---------|-----------------------------------|----------|------------------------------|----------------|
| 1       | حَذَفُ الْمَفْعُولِ بِهِ          | 4        | 5.3 %                        | 34 - 9 - 8 - 6 |
| 2       | حَذَفُ جُمْلَةٍ جَوَابِ الشَّرْطِ | 3        | 4 %                          | 49 - 8 - 1     |
| 3       | حَذَفُ الْمَخْصُوصِ بِالذَّمِّ    | 1        | 1.3 %                        | 16             |
| 4       | حَذَفُ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ    | 1        | 1.3 %                        | 13             |
| المجموع |                                   | 9        | 12 % من إجمالي آيات السور    |                |

### 1) حَذَفُ الْمَفْعُولِ بِهِ:

وَمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (سورة الأنفال: 6).

فَقَدْ حُذِفَ الْمَفْعُولُ بِهِ مِنْ جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿إِلَى الْمَوْتِ﴾، وَالتَّقْدِيرُ: «وَهُمْ يَنْظُرُونَ الْمَوْتَ». وَلَعَلَّ هَذَا الْحَذَفُ يَرْجِعُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَسْبَابٍ:

فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَهُوَ سَبَبُ صَوْتِي إِيْقَاعِي، وَهُوَ رِعَايَةُ الْفَاصِلَةِ السَّابِقَةِ، وَهِيَ: (لَكَارَهُوْنَ) وَالْفَوَاصِلُ اللَّاحِقَةُ، وَهِيَ: (الْكَافِرِينَ - الْمُجْرِمُونَ - مُرْدِفِينَ) الْمَبْنِيَّةُ عَلَى حَرْفِ الرَّوِيِّ النُّونِ.

وَأَمَّا الثَّانِي فَهُوَ سَبَبُ لُغَوِيٍّ، وَهُوَ قَصْدُ الْاِخْتِصَارِ وَالْإِيجَازِ لَوْجُودِ الْقَرِينَةِ اللَّغَوِيَّةِ.

وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَهُوَ سَبَبُ دَلَالِيٍّ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرَادَ أَنْ يَحْكِيَ حَالَهُمْ، وَيُصَوِّرَ مَبْلَغَ فِرْعَانِهِمْ وَقَلَقِهِمْ مِنْ مُوَاجَهَةِ أَعْدَائِهِمْ، إِذْ وَقَفُوا - حِينَ دُعُوا إِلَى الْقِتَالِ - وَقَدْ بَدَتْ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ صُورُهُمْ فِي

الْمَعْرَكَةِ وَأَنَّهُمْ - لَا مَحَالَةَ - مَقْتُولُونَ، فَكَانَ الْأَنْسَبُ لِتَصَوِيرِ هَذِهِ الْحَالِ أَنْ يُطَوَّى الْمَفْعُولُ بِهِ وَيُحْذَفُ مِنَ الْكَلَامِ، وَكَأَنَّمَا زَاغَتْ - مِنْ هَوْلِ فَزَعِهِمْ - أَبْصَارُهُمْ، وَبَلَغَتْ قُلُوبُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، وَسَكَتَتْ - عَنِ الْكَلَامِ - أَلْسِنَتُهُمْ، فَمَا عَادُوا يَنْطِقُونَ.

وَأَمَّا الرَّابِعُ فَهُوَ سَبَبُ نَصِيٍّ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْحَذْفَ قَدْ أَشَارَتْ إِلَيْهِ قَرِينَةٌ لَفْظِيَّةٌ سَابِقَةٌ فِي الْآيَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿إِلَى الْمَوْتِ﴾؛ مِمَّا عَمِلَ عَلَى تَمَاسُكِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

## (2) حَذْفُ جُمْلَةٍ جَوَابِ الشَّرْطِ:

ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنفال: 1).

فَقَدْ حُذِفَتْ جُمْلَةٌ جَوَابِ الشَّرْطِ مِنْ جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ، وَالتَّقْدِيرُ: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَلَعَلَّ الْعِلَّةَ فِي هَذَا الْحَذْفِ إِنَّمَا تَرْجِعُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَسْبَابٍ:

فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَهُوَ سَبَبُ صَوْتِي إِيْقَاعِي، وَهُوَ رِعَايَةُ الْفَاصِلَتَيْنِ اللَّاحِقَتَيْنِ الْمَبْنِيَّتَيْنِ عَلَى حَرْفِ الرَّوِيِّ «النُّونَ»، وَهُمَا: (يَتَوَكَّلُونَ - يَنْفَقُونَ).

وَأَمَّا الثَّانِي فَهُوَ سَبَبُ لُغَوِيٍّ، وَهُوَ قَصْدُ الْاِخْتِصَارِ وَالْإِيجَازِ لَوْجُودِ الْقَرِينَةِ اللَّغَوِيَّةِ، وَهِيَ جُمْلَةُ الْأَمْرِ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

وَأَمَّا الثَّالِثُ فَهُوَ سَبَبُ دَلَالِيٍّ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْحَذْفَ قَدْ أَفَادَ تَحْرِيزَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى إِظْهَارِ الْخِصَالِ الَّتِي يَتَطَلَّبُهَا الْإِيمَانُ، الْمَخْنَصَرَةُ فِي

طَاعَةَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى الْهَابِ الْمُؤْمِنِينَ لِلْأَمْتَالِ لِأَوَامِرِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَأَمَّا الرَّابِعُ فَهُوَ سَبَبُ نَصِيٍّ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْحَذْفَ قَدْ أَشَارَتْ إِلَيْهِ قَرِيبَةٌ لَفْظِيَّةٌ سَابِقَةٌ فِي الْآيَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؛ مِمَّا عَمِلَ عَلَى تَمَاسُكِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

### (3) حَذْفُ الْمَخْصُوصِ بِالذَّمِّ:

وَقَدْ وَرَدَ حَذْفُ الْمَخْصُوصِ بِالذَّمِّ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَ ذُبُرِهِ إِلَّا الْمُتَحَرِّفَاتِ لِلْقَتَالِ أَوْ مُتَحِيزَاتٍ إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَاءَ يَغْضِبُ مِنَ اللَّهِ وَمَاؤُنُهُ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (سورة الأنفال: 16).

فَقَدْ حُذِفَ الْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مِنْ جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ، وَالتَّقْدِيرُ: «وَبُئْسَ الْمَصِيرُ مَصِيرَهُمْ»؛ وَذَلِكَ لِأَرْبَعَةِ أَسْبَابٍ، هِيَ:

الْأَوَّلُ: سَبَبُ صَوْتِيَّ إِيْقَاعِيٍّ، وَهُوَ رِعَايَةُ الْفَاصِلَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ الْمُبْتَدِئَتَيْنِ عَلَى حَرْفِ الرَّوْيِيِّ «الرَّاءِ»: (النَّارِ - الْأَدْبَارِ).

وَالثَّانِي: سَبَبُ لُغَوِيٍّ، وَهُوَ قَصْدُ الْإِجْزَارِ وَالْإِجْزَارِ لَوْجُودِ الْقَرِيبَةِ اللَّغَوِيَّةِ.

وَالثَّلَاثُ: سَبَبُ دَلَالِيٍّ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرَادَ أَنْ يُصَوِّرَ بِهَذَا الْحَذْفِ مَبْلَغَ غَضَبِهِ وَعَظِيمِ سُخْطِهِ مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَدْ يَفْرُونَ مِنَ الْقِتَالِ، وَفِي ذَلِكَ حَثٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنْ يَصْمُدُوا فِي قِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَتَحْذِيرٌ لَهُمْ مِنَ الْفِرَارِ مِنَ الْمَعْرَكَةِ.

وَالرَّابِعُ: سَبَبُ نَصِيٍّ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْحَذْفَ قَدْ أَشَارَتْ إِلَيْهِ قَرِيبَةٌ لَفْظِيَّةٌ سَابِقَةٌ فِي الْآيَةِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَاؤُنُهُ جَهَنَّمَ﴾؛ مِمَّا عَمِلَ عَلَى تَمَاسُكِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.

## 3 - التكرار في فواصل «سورة الأنفال»:

## (1) تكرار الحرف:

وَمِنْ أَبْرَزِ الْحُرُوفِ الَّتِي تَكَرَّرَتْ فِي فَوَاصِلِ سُورَةِ «الْأَنْفَالِ» الْحَرْفُ «لَعَلَّ». وَقَدْ تَكَرَّرَ هَذَا الْحَرْفُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ، مِنْهَا مَوْضِعَانِ كَانَ الْمَرْجِعُ فِيهِمَا الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا الْمَوْضِعَانِ، هُمَا: قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَفَكُمْ الْبَنَاسُ فَيَأْوِنَكُمْ وَيَأْبِغُوا بِأَيْدِيكُمْ أَنْ يَبْصِرَهُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة الأنفال: 26)، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الذِّبْرُ ءَامِنُونَ إِذَا الْقِيَمَةُ فَتَنَةً فَاتَّبِعُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الأنفال: 45).

فَفِي كُلِّ آيَةٍ مِنَ الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ يُخَاطَبُ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ خَاتَمًا الْآيَةَ بِجُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ مُصَدَّرَةٍ بِالْحَرْفِ «لَعَلَّ»؛ وَذَلِكَ لِثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ: فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَهُوَ سَبَبُ صَوْتِي إِيْقَاعِي؛ وَهُوَ مَرَاعَاةُ الْإِيْقَاعِ الْمُتَّبَعِ فِي الْفَوَاصِلِ السَّابِقَةِ أَوِ الْلاحِقَةِ، فَالْفَاصِلَةُ الْلاحِقَةُ لـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هِيَ: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة الأنفال: 27). فَالْفَاصِلَةُ فِي هَذَا السِّيَاقِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى (حَرْفِ النُّونِ الْمَسْبُوقِ بِالْمَدِّ بِالْوَاوِ). وَالْفَاصِلَةُ الْلاحِقَةُ لـ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة الأنفال: 45)، هِيَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة الأنفال: 46)، فَالْفَاصِلَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى حَرْفِ الرَّوِيِّ «النُّونِ» الْمَسْبُوقِ بِالْمَدِّ بِالْوَاوِ أَوِ الْيَاءِ.

وَالْإِجْرَاءُ الْمُتَّبَعُ لِلْحُصُولِ عَلَى فَاصِلَةِ النُّونِ هُوَ التَّوَطُّعُ لِلْفَاصِلَةِ بِمَا يَمْنَعُ الْفِعْلَ مِنَ النَّصْبِ؛ وَلِذَا فَقَدْ صُدِّرَتِ الْجُمْلَةُ بِالْحَرْفِ «لَعَلَّ»، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى تَرْتِيبِ الْآيَتَيْنِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وَ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ إِذْ لَوْ حَذَفَ الْحَرْفُ «لَعَلَّ»، لَقَالَ عَلَى التَّرْتِيبِ: «لِتَشْكُرُوا»، «لِتَفْلِحُوا»، فَتَنَصَّبَ الْأَفْعَالُ، وَيَذْهَبُ بِذَلِكَ الْإِيْقَاعُ.

وَأَمَّا الثَّانِي فَهُوَ سَبَبُ نَصِيٍّ، إِذْ قَدْ عَمِلَ تَكَرَّارُ الْحَرْفِ «لَعَلَّ» عَلَى سَبَبِ النَّصِّ، وَتَمَاسُكِهِ لَفْظِيًّا عَلَى مُسْتَوَى تِسْعَةِ عَشَرَ آيَةً أَيْ: مِنْ الْآيَةِ: (26: 45).

وَأَمَّا الثَّالِثُ فَهُوَ سَبَبُ دَلَالِيٍّ يَتَنَاسَبُ وَسِيَاقَ الْآيَةِ الَّتِي وَرَدَ بِهَا، فَفِي الْآيَةِ السَّادِسَةِ وَالْعَشْرِينَ يُخَاطَبُ الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مُذَكِّرًا إِيَّاهُمْ بِنِعْمِهِ عَلَيْهِمْ، إِذْ كَانُوا قَلِيلِي الْعَدَدِ مُسْتَضْعَفِينَ، فَأَوَاهُمْ وَنَصَرَهُمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَرَزَقَهُمْ مِنَ الْأَنْفَالِ مَا عَوَّضَهُمْ عَمَّا سَلَبَهُ مِنْهُمْ أَعْدَاءُ الدِّينِ، وَتِلْكَ نِعْمٌ - لَا شَكَّ - تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ؛ وَلِذَا فَقَدْ خَتَمَ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، أَيْ: لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَنِي عَلَى مَا أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ، بِعِبَادَتِي وَحَدِي؛ إِذْ إِنْ شُكِرَ تَعَالَى يَكُونُ بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ (سُبْحَانَهُ) وَإِفْرَادِهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَفِي الْآيَةِ الْخَامِسَةِ وَالْأَرْبَعِينَ يَدْعُو الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الثَّبَاتِ فِي قِتَالِ أَعْدَاءِ الدِّينِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، لَعَلَّهُمْ بِهَذَا يَنْتَصِرُونَ؛ وَلِذَا فَقَدْ خَتَمَ الْآيَةَ بِرَجَائِهِ أَنْ يَفْلَحُوا، فَقَالَ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾، أَيْ: لَعَلَّكُمْ بِثَبَاتِكُمْ فِي الْقِتَالِ، وَذِكْرِكُمْ رَبِّكُمْ، تَنْتَصِرُونَ عَلَى عَدُوِّكُمْ.

وَأَمَّا الْمَوْضِعُ الثَّالِثُ فَكَانَ فِي يَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّصِيرِ الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ مَعَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ<sup>(64)</sup>، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَا تَتَقَفُّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (سورة الأنفال: 57).

وَقَدْ وَرَدَ الْحَرْفُ «لَعَلَّ» فِي هَذَا السِّيَاقِ لِمُرَاعَاةِ الْفَوَاصِلِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى حَرْفِ الرَّوِيِّ «النُّونِ»، فَالْفَوَاصِلُ السَّابِقَةُ هِيَ: ﴿وَكُلُّ كَانُوا ظَلِمِينَ﴾ (سورة الأنفال: 54)، و﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة

الأنفال: 55)، و﴿وَهُمْ لَا يَنْقُوتُ﴾ (سورة الأنفال: 56). وَالْفَوَاصِلُ اللَّاحِقَةُ، هِيَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ (سورة الأنفال: 58)، و﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ (سورة الأنفال: 59)، و﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (سورة الأنفال: 60).

وَالْآيَةُ السَّابِقَةُ فِي خُطَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَوَتِهِ إِلَى أَنْزَالِ أَشَدِّ الْعَذَابِ بِأُولَئِكَ الْيَهُودِ الَّذِينَ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ مَعَهُ، إِنَّ هُوَ وَجَدَهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ يُقَاتِلُونَ صَفًّا وَاحِدًا مَعَ الْمُشْرِكِينَ؛ وَذَلِكَ كَيْ يَكُونُوا لِمَنْ خَلْفَهُمْ آيَةً؛ وَلِذَا قَدْ خُتِمَتِ الْآيَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾، أَيُّ: لَعَلَّ مَنْ خَلَفَ أُولَئِكَ الْيَهُودِ يَتَذَكَّرُونَ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِمْ مَعَ النَّبِيِّ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ، وَمَا حَدَثَ لَهُمْ فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ، فَيَكُونُ هَذَا التَّذَكُّرُ رَادِعًا لَهُمْ عَنْ مُعَادَاةِ النَّبِيِّ.

## 2) تَكَرُّرُ الْأَسْمَاءِ:

وَلَعَلَّ أَتَرَزَّ الْأَسْمَاءِ الَّتِي تَكَرَّرَتْ فِي فَوَاصِلِ سُورَةِ «الْأَنْفَالِ»، لَفْظُ الْجَلَالَةِ «اللَّهُ»؛ إِذْ قَدْ وَرَدَ فِي الْآيَاتِ (10 - 13 - 17 - 18 - 19 - 25 - 28 - 29 - 30 - 39 - 41 - 42 - 44 - 64 - 47 - 48 - 49 - 51 - 62 - 53 - 58 - 66 - 67 - 69 - 70 - 71 - 72 - 75)، فَبَلَغَ بِهِذَا ثَمَانِيَةَ وَعَشْرِينَ مَوْضِعًا، بِنِسْبَةِ مِثْوِيَّةٍ (37.3 %) مِنْ إِجْمَالِي آيَاتِ السُّورَةِ؛ مِمَّا عَمِلَ عَلَى تَمَاسُكِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ، وَأَفَادَ دَلَالَةَ التَّعْظِيمِ؛ ذَلِكَ أَنَّ نَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي «غَزْوَةِ بَدْرٍ» عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ كَانَ مِنْ عِنْدِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهُوَ الْقَادِرُ وَحْدَهُ عَلَى مُعَاقِبَتِهِمْ وَإِضْعَافِ شَوْكَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَتَخْلِيدِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ، إِذْ هُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُ، الْحَكِيمُ فِي صُنْعِهِ وَتَدْبِيرِهِ، الْغَفُورُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، الرَّحِيمُ بِهِمْ، السَّمِيعُ لَهُمْ، الْعَلِيمُ بِمَا يَصْلِحُهُمْ.

## (3) تَكَرَّارُ الْجُمْلَةِ:

وَمِنْ أَبْرَزِ الْجُمَلِ الَّتِي تَكَرَّرَتْ فِي فَوَاصِلِ سُورَةِ «الْأَنْفَالِ» مَا يَلِي:

- جُمْلَةٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ فِي مَوْضِعَيْنِ، هُمَا: قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 10)، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 49).

وَقَدْ عَمَلَ هَذَا التَّكَرَّارُ عَلَى سَبَكِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ آيَاتٍ، كَمَا أَفْرَزَ دَلَالَاتُ تَنَاسُبِ السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ. فَسِيَاقُ الْآيَةِ الْأُولَى مِنَ الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ فِي تَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ، وَإِخْبَارِهِمْ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ وَلِذَا خَتَمَ الْآيَةَ بِجُمْلَةٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، لِيُؤَكِّدَ لَهُمْ فِي هَذَا السِّيَاقِ عِزَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ فِي إِنْزَالِهِ النَّصْرَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

وَسِيَاقُ الْآيَةِ الْأُخْرَى فِي الْحَدِيثِ عَنْ أُولَئِكَ الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أُولَئِكَ الَّذِينَ سَخِرُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ إِذْ هُمْ عَلَى قَلَّةٍ عَدَدُهُمْ وَضَعْفُهُمْ يَتَجَرَّؤُونَ عَلَى قِتَالِ عَدُوَّهُمْ، وَقَدْ نَسِيَ هَؤُلَاءِ أَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُمْ بِسَبَبِ تَوَكُّلِهِمْ عَلَى خَالِقِهِمْ؛ وَلِذَا جَاءَتْ جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تَعْلِيلًا لَجَوَابِ الشَّرْطِ الْمَحْذُوفِ، وَتَقْدِيرِ الْكَلَامِ: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ يَنْصُرْهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ يَعِزُّ أَوْلِيَاءَهُ وَيَذِلُّ أَعْدَاءَهُ، حَكِيمٌ فِي إِنْزَالِهِ النَّصْرَ بِالْمُؤْمِنِينَ.

## 4) التَّوَاظِي التَّرْكِيبِيُّ:

وَمِنَ التَّوَاظِي التَّرْكِيبِيِّ فِي جُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 10)، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 69).

فَفي الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ تَوَاظَى تَرْكِيبِيٌّ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؛ إِذْ إِنَّ كِلَيْهِمَا يَتَكَوَّنُ مِنْ: أَدَاةٍ توكِيدٍ وَنَصْبٍ، هِيَ: (إِنَّ)، وَأَسْمٌ لِهَذِهِ الْأَدَاةِ، هُوَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ (اللَّهُ)، وَخَبَرٌ لَهَا هُوَ (عَزِيزٌ) فِي الْأَوَّلَى، وَ(غَفُورٌ) فِي الثَّانِيَةِ، وَنَعَتْ لِهَذَا الْخَبَرِ، هُوَ (حَكِيمٌ) فِي الْأَوَّلَى، وَ(رَحِيمٌ) فِي الثَّانِيَةِ؛ وَذَلِكَ مِمَّا عَمِلَ عَلَى تَمَاسُكِ الْآيَتَيْنِ، وَأَكَّدَ دَلَالَةَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى الَّتِي وَرَدَتْ بِهَا.

## ثانياً - الْحَبْكُ فِي فَوَاصِلِ سُورَةِ «الْأَنْفَالِ»:

وَالْمَقْصُودُ بِمُصْطَلَحِ «الْحَبْكِ» هُوَ ذَلِكَ التَّرَابُطُ الدَّلَالِيُّ الْقَائِمُ عَلَى إِدْرَاكِ الْعَلَاqَاتِ الدَّلَالِيَّةِ الَّتِي لَا تَظْهَرُ عَلَى سَطْحِ النَّصِّ (65). وَقَدْ أَنْتَهَى النَّصِيُّونَ فِي دِرَاسَتِهِمْ لِلتَّمَاسُكِ الدَّلَالِيِّ / الْحَبْكِ إِلَى تَقْسِيمِهِ إِلَى قِسْمَيْنِ (66):

فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَهُوَ التَّمَاسُكُ الدَّلَالِيُّ الْمَتَدَرِّجُ الشَّامِلُ / الْحَبْكُ عَنْ طَرِيقِ الْأَبْنِيَةِ الدَّلَالِيَّةِ. وَيَشْمَلُ هَذَا الْقِسْمُ حَبْكَ النَّصِّ عَنْ طَرِيقِ الْأَبْنِيَةِ التَّالِيَةِ:

1 - الْبِنْيَةُ الدَّلَالِيَّةُ الْكُبْرَى / الشَّامِلَةُ / مَحَوْرُ النَّصِّ.

2 - الْأَبْنِيَةُ الدَّلَالِيَّةُ الصُّغْرَى / مَوْضُوعَاتُ النَّصِّ.

وَأَمَّا الْآخَرُ فَهُوَ التَّمَسُّكُ الدَّلَالِيُّ الْعَلَقَاتِي/ الْحَبْكُ عَنْ طَرِيقِ  
 الْعَلَقَاتِ الدَّلَالِيَةِ مِنْ مِثْلِ: عِلَاقَةِ التَّأَكُّيدِ، وَعِلَاقَةِ السَّبَبِ بِالنَّبْتِجَةِ،  
 وَعِلَاقَةِ التَّعْلِيلِ، وَعِلَاقَةِ التَّفْسِيرِ، وَعِلَاقَةِ الإِجْمَالِ ثُمَّ التَّفْصِيلِ.... إلخ.  
 وَهَذِهِ الْعَلَقَاتُ الدَّلَالِيَّةُ يُمْكِنُ أَنْ تُقَسَّمُ إِلَى عِلَاقَاتٍ ظَاهِرَةٍ؛ إِذْ يَتِمُّ  
 الْحَبْكُ - أحياناً - عَنْ طَرِيقِ وَسَائِلٍ لُغَوِيَّةٍ، وَعِلَاقَاتٍ بَاطِنَةٍ يَتِمُّ فِيهَا  
 الْحَبْكُ بِتَقْدِيرِ هَذِهِ الْأَدَوَاتِ، وَهَذِهِ الْعَلَقَاتُ تَعْمَلُ عَلَى حَبْكِ النَّصِّ عَلَى  
 الْمُسْتَوِيَّاتِ التَّالِيَةِ:

1 - حَبْكُ / تَمَسُّكُ الْأَبْنِيَةِ الصُّغْرَى عَلَى مُسْتَوَى الْمَوْضُوعِ الْوَاحِدِ.

2 - حَبْكُ / تَمَسُّكُ مَوْضُوعَاتِ النَّصِّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.

3 - حَبْكُ / تَمَسُّكُ مَوْضُوعَاتِ النَّصِّ بِالْمَحْجُورِ.

عَلَى أَنَّ فِكْرَةَ حَبْكِ النَّصِّ لَمْ تَكُنْ غَائِبَةً عَنِ الْقَدَمَاءِ، وَبِخَاصَّةِ  
 حَبْكِ الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ مَعَ مَا قَبْلَهَا، وَلَعَلَّ ابْنَ أَبِي الْإِصْبَعِ الْمَصْرِيَّ  
 (ت 654هـ - 1256م) هُوَ أَوَّلُ مَنْ عَرَضَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِلْعَلَقَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ  
 لِلْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ بِمَا قَبْلَهَا، وَذَلِكَ فِي بَابِ بَعْثُوان: «بَابُ اثْتِلَافِ الْفَاصِلَةِ  
 مَعَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ سَائِرُ الْكَلَامِ»، وَقَدْ ذَكَرَ فِي هَذَا الْبَابِ أَرْبَعَ صُورٍ لِهَذَا  
 الْاثْتِلَافِ، هِيَ: التَّمَكُّينُ، وَالتَّوْشِيحُ، وَالتَّصْدِيرُ، وَالْإِيغَالُ<sup>(67)</sup>. وَيَبْدُو أَنَّهُ  
 مُتَأَثِّرٌ فِي هَذَا بِحَدِيثِ قُدَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ عَنِ اثْتِلَافِ الْقَافِيَةِ مَعَ مَا يَدُلُّ  
 عَلَيْهِ سَائِرُ مَعْنَى الْبَيْتِ بَيِّدَ أَنَّ قُدَامَةَ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا التَّوْشِيحَ وَالْإِيغَالُ<sup>(68)</sup>.  
 وَقَدْ أَفَادَ الزُّرْكَشِيُّ مِنْ ابْنِ أَبِي الْإِصْبَعِ الْمَصْرِيِّ، إِذْ نَقَلَ أَقْسَامَهُ  
 بَهَيْتَهَا، وَنَصَّ عَلَى اسْتِغْرَاقِ هَذِهِ الْأَقْسَامِ لِسَائِرِ فَوَاصِلِ الْقُرْآنِ فَ«كُلُّ  
 مَقَاطِعِ آيِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ أَحَدَ هَذِهِ الْأَقْسَامِ  
 الْأَرْبَعَةِ»<sup>(69)</sup>، بَيِّدَ أَنَّهُ لَمْ يُشِرْ إِلَى مَنْ نَقَلَ عَنْهُ.

كَمَا أَفَادَ السُّيُوطِيُّ - أَيُّضًا - مِنْ ابْنِ أَبِي الإِصْبَعِ الْمَصْرِيِّ ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «قَالَ ابْنُ أَبِي الإِصْبَعِ: لَا تَخْرُجُ فَوَاصِلُ الْقُرْآنِ عَنْ أَحَدِ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: التَّمَكُّينُ، وَالتَّصْدِيرُ، وَالتَّوْشِيحُ، وَالْإِيغَالُ»<sup>(70)</sup>.

فَأَمَّا التَّمَكُّينُ فَهُوَ أَنْ تَأْتِيَ الْفَاصِلَةُ «مُتَمَكِّنَةً فِي مَكَانِهَا، مُسْتَقَرَّةً فِي قَرَارِهَا، مُطْمَئِنَّةً فِي مَوْضِعِهَا، غَيْرَ نَافِرَةٍ وَلَا قَلِقَةٍ، مُتَعَلِّقًا مَعْنَاهَا بِمَعْنَى الْكَلَامِ كُلِّهِ تَعَلُّقًا تَامًا، بِحَيْثُ لَوْ طُرِحَتْ لَا خِثْلُ الْمَعْنَى وَاضْطَرَبَ الْفَهْمُ»<sup>(71)</sup>، وَأَمَّا التَّوْشِيحُ فَهُوَ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى الْفَاصِلَةِ «مَعْنَى يَدُلُّ عَلَيْهَا»<sup>(72)</sup>، وَأَمَّا الْإِيغَالُ فَهُوَ «أَنْ يَسْتَكْمَلَ الْمُتَكَلِّمُ مَعْنَى كَلَامِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ بِمَقْطَعِهِ فَإِذَا أَرَادَ الْإِتْيَانَ بِذَلِكَ أَتَى بِمَا يَفِيدُ مَعْنَى زَائِدًا عَلَى مَعْنَى ذَلِكَ الْكَلَامِ»<sup>(73)</sup>، وَأَمَّا التَّصْدِيرُ فَهُوَ «أَنْ تَكُونَ تِلْكَ اللَّفْظَةُ بَعِينَهَا تَقَدَّمَتْ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ، وَتُسَمَّى -أَيْضًا- رَدَّ الْعُجْزِ عَلَى الصَّدْرِ»<sup>(74)</sup>.

هَذِهِ صُورُ اتِّتْلَافِ الْفَاصِلَةِ مَعَ مَا قَبْلَهَا كَمَا اسْتَقَرَّتْ فِي كُتُبِ عُلُومِ الْقُرْآنِ، عَلَى أَنَّ ثَمَّةَ سَوْأَلٍ يَطْرَحُ نَفْسَهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ، مُؤَدَّاهُ: هَلْ يُمْكِنُ قَبُولُ هَذِهِ الصُّورِ وَتِلْكَ الْمُصْطَلَحَاتِ، وَالِانْتِفَاعُ بِهَا فِي سِيَاقِ حَبْكِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الَّذِي نَحْنُ بِصَدْدِ إِيْضَاحِهِ وَالْكَشْفِ عَنْهُ فِي سُورَةِ «الْأَنْفَالِ»؟ وَلِمَاذَا؟

يُمْكِنُ أَنْ يَقْبَلَ مُصْطَلَحٌ وَاحِدٌ فَحَسَبُ مِنْ هَذِهِ الْمُصْطَلَحَاتِ فِي هَذَا السِّيَاقِ، وَذَلِكَ هُوَ مُصْطَلَحُ «الْإِيغَالِ» الَّذِي يَعْنِي خَتَمَ الْبَيْتِ أَوِ الْآيَةِ بِمَا يَفِيدُ نَكْتَةً، يَتِمُّ الْكَلَامُ قَبْلَهَا<sup>(75)</sup>، فَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّطْوِيرِ الْحَاكِ لِدَلَالَةِ الْآيَةِ، وَصُورَتُهُ فِي الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ أَنْ يَتِمَّ الْمَعْنَى الْأَسَاسِيُّ قَبْلَ الْفَاصِلَةِ ثُمَّ تَأْتِي الْفَاصِلَةُ لِتُضَيِّفَ إِلَى هَذِهِ الدَّلَالَةِ الْأَسَاسِيَّةِ مَعْنَى آخَرَ، مِنْ مِثْلِ

التَّأَكُّيدُ أَوْ تَفْصِيلُ الْمُجْمَلِ أَوْ تَخْصِصُ الْعَامِّ أَوْ تَقْيِيدُ الْمُطْلَقِ أَوْ تَحْقِيقُ التَّشْبِيهِ.

وَأَمَّا الْمُصْطَلَحَاتُ الثَّلَاثَةُ الْأُخْرَى فَلَيْسَتْ مِنْ صُورِ الْحَبْكِ أَصْلًا؛ إِذِ «الْتَّمَكُّينُ» مَا هُوَ إِلَّا وَصْفٌ لِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ حُرُوفٍ وَكَلِمَاتٍ وَجَمَلٌ، ذَلِكَ أَنَّ الْكِتَابَ الْكَرِيمَ يَقُومُ عَلَى الْإِخْتِيَارِ الدَّقِيقِ لِلْمُفْرَدَةِ الَّتِي تُلَاقِي السِّيَاقَ اللُّغَوِيَّ وَالْمَقَامِيَّ. وَأَمَّا «التَّصْدِيرُ» فَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّكْرَارِ. وَأَمَّا «التَّوْشِيحُ» فَتَنْتُ عَامٌّ لِدَلَالَةِ مَعْنَى مُتَقَدِّمٍ عَنِ الْفَاصِلَةِ عَلَيْهَا.

عَلَى أَنَّنَا يُمْكِنُ أَنْ نَعَيِّدَ فِي هَذَا السِّيَاقِ، سِيَاقِ الْحَبْكِ مِنْ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْإِطْنَابِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْبَلَاغِيُّونَ فِي بَابِ «الْإِيْجَازِ وَالْإِطْنَابِ وَالْمُسَاوَاةِ»، وَمِنْهَا: الْإِبْضَاحُ بَعْدَ الْإِبْهَامِ، وَذَكَرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ، وَالتَّذْيِيلُ، وَالتَّكْمِيلُ، وَالتَّتْمِيمُ<sup>(76)</sup>. وَكَانَ عَلَى عُلَمَاءِ عُلُومِ الْقُرْآنِ أَنْ يُدْرِجُوا أَنْوَاعَ الْإِطْنَابِ هَذِهِ ضَمَّنَ صُورِ اتِّتْلَافِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَهُمْ ذَكَرُوهَا فِي سِيَاقَاتٍ أُخَرَ<sup>(77)</sup>.

هَذَا، وَقَدْ ارْتَبَطَتْ جُمْلُ الْفَاصِلَةِ بِآيَاتِهَا فِي سُورَةِ «الْأَنْفَالِ» عَنْ طَرِيقِ سَبْعِ عِلَاقَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ، وَقَبْلَ أَنْ أُعْرَضَ لِهَذِهِ الْعِلَاقَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي تَرْبِطُ جُمْلَةَ الْفَاصِلَةِ بِمَا قَبْلَهَا، أُعْرَضَ - أَوَّلًا - جَدُولًا إِجْمَالِيًّا يَذْكُرُ هَذِهِ الْعِلَاقَاتِ، وَعَدَّدهَا، وَنَسَبَتْهَا الْمَثْوِيَّةُ مِنْ إِجْمَالِي آيَاتِ السُّورَةِ، كَمَا يَذْكُرُ أَرْقَامَ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ بِهَا.

| م | العلاقة المعنوية           | عدد مرات وروده | النسبة المئوية | أرقام الآيات                                                                                                               |
|---|----------------------------|----------------|----------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| 1 | علاقة التعليل              | 22             | 29.3 %         | 7 - 11 - 13 - 17 -<br>19 - 26 - 29 - 42 -<br>44 - 45 - 46 -<br>48 - 49 - 55 - 56 -<br>57 - 58 - 61 -<br>65 - 67 - 69 - 75  |
| 2 | علاقة التأكيد              | 21             | 28 %           | 10 - 18 - 20 - 24 -<br>25 - 27 - 30 -<br>31 - 34 - 40 - 43 - 51 -<br>52 - 53 - 54 -<br>62 - 63 - 64 - 66 -<br>70 - 71 - 72 |
| 3 | العلاقة الشرطية            | 9              | 12 %           | 1 - 8 - 15 - 32 -<br>38 - 39 - 41 -<br>68 - 73                                                                             |
| 4 | علاقة السبب بالنتيجة       | 8              | 10.6 %         | 4 - 16 - 28 - 35 -<br>36 - 37 - 47 - 74                                                                                    |
| 5 | علاقة الملازمة             | 7              | 9.3 %          | 5 - 6 - 21 - 23 -<br>33 - 50 - 60                                                                                          |
| 6 | علاقة الإجابة عن سؤال مقدر | 5              | 6.6 %          | 9 - 12 - 14 - 34 -<br>59 -                                                                                                 |
| 7 | علاقة التتميم              | 3              | 4 %            | 2 - 3 - 22                                                                                                                 |
|   | المجموع                    | 75             | 100 %          | 75                                                                                                                         |

## (1) علاقة التعليل:

وَمَنْ أَمَلَتْهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الأنفال: 13).  
فَالْآيَةُ السَّابِقَةُ تُخَبِّرُ بَأَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَدْ اسْتَحَقُّوا أَنْ تَقْطَعَ رِقَابُهُمْ  
وَأَطْرَافُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِسَبَبِ مُخَالَفَتِهِمْ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَدْ جَاءَتْ  
جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ تَعْلِيلًا لِلْجَزَاءِ الْمَحْذُوفِ  
فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، وَالتَّقْدِيرُ: وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
يُعَاقِبُهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (78).

وَمِنْهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ  
وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا  
إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 17).

فَفِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ يُخَبِّرُ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ النَّصْرَ  
عَلَى الْمَشْرِكِينَ كَانَ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا أَوْفَعَ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِهِمْ  
مِنَ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ، وَبِمَا سَخَّرَ مِنْ مُعَاوَنَةِ الْمَلَائِكَةِ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ،  
وَبِمَا ذَرَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَعْيُنِهِمْ مِنْ حَبَاتِ الرَّمْلِ، الَّتِي شَغَلُوا بِهَا  
عَنِ الْقِتَالِ، حِينَ رَمَاهُمْ بِهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ فِعْلُ  
الرَّمْيِ مِنْهُ، وَكَانَ تَأْثِيرُهُ وَوَقْعُهُ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الَّذِي يَخْرِجُ  
عَنْ قُدْرَةِ الْبَشَرِ.

وَقَدْ جَاءَتْ جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ لَتَكْشِفَ  
عَنِ الْعِلَّةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا فَعَلَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا فَعَلَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ  
سَمِيعٌ لِدَعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ حِينَ لَجُوبِهِمْ إِلَيْهِ،  
عَلِيمٌ بِأَحْوَالِ قُلُوبِهِمْ حِينَ تَتَعَلَّقُ بِأَسْبَابِ النَّصْرِ، وَحِينَ تَتَعَلَّقُ بِمُسَبِّبِهَا  
وَمَوْجِدِهَا، وَتَصَدَّقُ فِي الْإِحْلَاصِ وَالتَّعَبُّدِ لَهُ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ تَسْتَفِئِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنفال: 19).

فَقَدْ نَفَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنْ تَكُونَ كَثَرَةُ الْمُشْرِكِينَ سَبَبًا فِي نَصْرِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، مُعْلَلًا سَبَبَ هَذَا النَّفْيِ بِجُمْلَةِ الْفَاصِلَةِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أَي: لِأَنَّ اللَّهَ فِي مَعِيَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَصْرِهِمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُمْ فَلَا غَالِبَ لَهُمْ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 49).

فَجُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تَعْلِيلِيَّةٌ لِجُمْلَةِ جَوَابِ الشَّرْطِ الْمَحْذُوفِ، وَالتَّقْدِيرُ: وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ يَنْتَصِرْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.

## 2) عِلَاقَةُ التَّأْكِيدِ:

وَمِنْ أَمْثَلَتِهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 10).

لَقَدْ رَغِبَ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ فِي لِقَاءِ غَيْرِ ذَاتِ الشُّوْكَةِ، وَالتَّمَكُّنِ مِمَّا فِيهَا، وَفِيهِمْ مَا فِيهِمْ مِنَ التَّوَجُّسِ وَالْإِحْجَامِ عَنْ مُلَاقَاةِ قُرَيْشٍ، ذَاتِ الْبَأْسِ وَالْقُوَّةِ، وَهُمْ الْقَلَّةُ الضُّعَفَاءُ قَدْ خَرَجُوا لِقَائِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ تَحْتَ رَايَةِ الدِّينِ الْجَدِيدِ، وَلَا يَدْرُونَ أَيْكُونُ النَّصْرُ لَهُمْ أَمْ لِعَدُوِّهِمْ؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ضَعْفَهُمْ وَقِلَّتَهُمْ، وَقُوَّةَ عَدُوِّهِمْ وَكَثَرَتَهُ، بَيِّدَ أَنْ لَهُ أَمْرًا يَدْبِرُهُ، وَقَدْرًا يَهَيِّئُهُ،

يُرِيدُ أَنْ يُمْكِّنَ لِدِينِهِ، وَيُعْلِي رَأْيَتَهُ، وَيُعِزَّ أَهْلَهُ، وَيُخْزِي الشُّرَكَ، وَيَكْسِرَ شَوْكَتَهُ، وَيَذِلَّ أَهْلَهُ، فَهَيَّا لَهُمْ لِقَاءَ عَدُوِّهِمْ، وَسَاقَ لَهُمْ أَسْبَابَ النَّصْرِ، وَأَعَانَهُمْ بِمَدَدٍ مِنْ عِنْدِهِ، وَصَرَفَ عَنْ قُلُوبِهِمُ الْخَوْفَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَجَعَلَ لَهُمُ النَّصْرَ الَّذِي بَشَّرَهُمْ بِهِ، مَا كَانَ عَوْضًا لَهُمْ عَنِ الْغَيْرِ وَمَا فِيهَا؛ وَلِذَا جَاءَتِ الْآيَةُ السَّابِقَةُ لَتُخْبِرَنَّ بِأَنَّ إِمْدَادَ الْحَقِّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ مَا هُوَ إِلَّا بُشْرَى لَهُمْ بِالنَّصْرِ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَطُمَأْنِينَةً لِقُلُوبِهِمْ بِذَلِكَ، فَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَا بِكَثْرَةِ عَدَدٍ وَلَا عُدَدٍ.

وَقَدْ جَاءَتْ جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؛ لَتُؤَكِّدَنَّ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ عَزِيزٌ فِي نَصْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْحَقَّ الْهَزِيمَةَ بِالْمُشْرِكِينَ، حَكِيمٌ فِي اخْتِيَارِهِ النِّفِيرَ لَا الْغَيْرَ لِلْمُؤْمِنِينَ. فَتَقَرَّدَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعِزَّةِ فِي الْإِنْتِقَامِ، وَتَقَرَّدَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْحِكْمَةِ فِي الْإِخْتِيَارِ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (سورة الأنفال: 20).

فَالْآيَةُ السَّابِقَةُ فِي أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ، وَنَهْيِهِمْ عَنْ تَرْكِ هَذِهِ الطَّاعَةِ؛ وَلِذَا جَاءَتْ جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ «لِتَأْكِيدَ وَجُوبِ الْإِنْتِهَاءِ عَنِ التَّوَلَّى مُطْلَقًا لَا لَتَقْيِيدِ النَّهْيِ عَنْهُ بِحَالِ السَّمَاعِ، أَيْ لَا تَتَوَلَّوْا عَنْهُ وَالْحَالُ أَنْكُمْ تَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ النَّاطِقَ بِوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَالْمَوَاعِظِ الزَّاجِرَةِ عَنْ مُخَالَفَتِهِ سَمَاعَ تَقَهُمْ وَإِذْعَانَ» (79).

وَمِنْهَا قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة الأنفال: 25).

فَقَدْ صُدِّرَتِ الْآيَةُ السَّابِقَةُ بِجُمْلَةٍ: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾، وَهِيَ فِي أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَحذِيرِهِمْ مِنْ مِحْنَةٍ يَعْمُ بِهَا الْمُسِيءُ وَغَيْرُهُ، «لَا يُخَصُّ بِهَا أَهْلُ الْمَعَاصِي، وَلَا مَنْ بَاشَرَ الذَّنْبَ بَلْ تُصِيبُ الصَّالِحِينَ مَعَهُمْ إِذَا قَدَرُوا عَلَى انْتِكَارِ الظُّلْمِ وَلَمْ يُنْكِرُوهُ»<sup>(80)</sup> ثُمَّ عُطِفَتْ عَلَيْهَا جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾؛ لِاتِّفَاقِ الْجُمْلَتَيْنِ إِنْشَاءً لَفْظًا وَمَعْنَى؛ إِذِ الْأُولَى فِي التَّحذِيرِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْفِتْنَةِ، وَالْآخَرَى فِي التَّحذِيرِ مِنْ شِدَّةِ عِقَابِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فَجُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ جَاءَتْ لِتَاكِيدِ الْأَمْرِ فِي الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ عَلَيْهَا، وَإِنْدَارِ الْمُخَالِفِينَ.

### (3) الْعَلَاقَةُ الشَّرْطِيَّةُ:

وَمِنْ أَمَثَلَتِهَا قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَأَلْنَاكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنفال: 1).

فَسِيَاقُ الْآيَةِ فِي أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي قِسْمَةِ الْأَنْفَالِ، وَقَدْ جَاءَتْ جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ/ جُمْلَةُ فِعْلِ الشَّرْطِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مَحْدُوفَةً الْجَوَابِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ، وَالتَّقْدِيرُ: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. يَقُولُ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ: «وَجَوَابُ شَرْطِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ دَلَّتْ عَلَيْهِ الْجُمْلَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ إِلَى آخِرِهَا؛ لِأَنَّ الشَّرْطَ لَمَّا وَقَعَ عَقِبَ تِلْكَ الْجُمْلَةِ كَانَ رَاجِعًا إِلَى جَمِيعِهَا عَلَى مَا هُوَ الْمُقَرَّرُ فِي الِاسْتِعْمَالِ، فَمَعْنَى الشَّرْطِ بَعْدَ تِلْكَ الْجُمْلَةِ الْإِنْشَائِيَّةِ: إِنَّا أَمَرْنَاكُمْ بِمَا ذَكَرْنَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ لِأَنَّا لَا نَأْمُرُ بِذَلِكَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهَذَا الْهَابُ لِنُفُوسِهِمْ عَلَى الْإِمْتِثَالِ»<sup>(81)</sup>.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (سورة الأنفال: 8).

فَجُمْلَةُ الشَّرْطِ / الْفَاصِلَةِ: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ جُمْلَةٌ حَالِيَّةٌ. وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ يَفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ، وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالْقِتَالِ.

#### (4) عِلَاقَةُ السَّبَبِ بِالنَّتِيجَةِ:

وَمِنْ أَمْثَلِهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَتْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (سورة الأنفال: 4).

فَالْجُمْلَةُ الْأُولَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ تُخْبِرُ بَأَنَّ أُولَئِكَ الْمُتَصَفِينَ بِالصِّفَاتِ الْخَمْسِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ، وَهِيَ: الْخَوْفُ، وَالْإِخْلَاصُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، تُخْبِرُ بِأَنَّهُمْ لَا غَيْرَهُمْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ إِيْمَانًا صَادِقًا، لَا يَضِيعُ أَجْرُهُ، إِذْ كَانَ سَبَبًا فِي مُكَافَأَةِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ؛ وَلِذَا جَاءَتْ جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ ﴿هُمْ دَرَجَتْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لِتَذَكَّرَ أَنَّ لَهُؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَمَيِّزِينَ بِذَلِكَ عَمَّنْ عَادَاهُمْ مَنَازِلَ بَعْضُهَا أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ فِي الْجَنَّةِ، بِسَبَبِ هَذَا الْإِيْمَانِ، وَعَلَى قَدَرِ الْأَحْوَالِ. يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (سورة يونس: 44).

وَمِنْهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (سورة الأنفال: 36).

فَالْآيَةُ السَّابِقَةُ تَقَرُّرٌ وَتَوْكُّدٌ أَنَّ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لَمَنْعِ النَّاسِ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ، سَيُنْفِقُونَهَا لَا مَحَالَةَ بَيِّدَ أَنَّهَا تَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ؛ لِأَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا سَيُغْلِبُونَ، ثُمَّ تَأْتِي جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ \* لِتَذَكُّرِ نَتِيجَةِ هَذَا الْفِعْلِ، وَأَنَّهُمْ بِسَبَبِهِ سَيَذُوقُونَ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ فِي الْآخِرَةِ؛ «وَذَلِكَ يُوجِبُ الرُّجْزَ الْعَظِيمَ عَنْ ذَلِكَ الْإِنْفَاقِ» (82) الَّذِي لَا طَائِلَ مِنْ وِرَائِهِ سِوَى الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ فِي الدُّنْيَا وَسُوءِ الْمَصِيرِ فِي الْآخِرَةِ.

### 5) عِلَاقَةُ الْإِجَابَةِ عَنْ سُؤَالٍ مُّقَدَّرٍ:

وَمِنْ أَمَثَلَتِهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذَا تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبْ لَكُمْ أِنِّي مُدْكِمٌ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَكِ مُرْدِفِينَ﴾ \* (سورة الأنفال: 9).

فَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذَا تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ \* قَدْ يَثِيرُ سُؤَالًا فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّي، مُؤَدَّاهُ: فَمَاذَا فَعَلَ رَبُّكُمْ لَكُمْ حَتَّى يُمْكِّنَكُمْ مِنَ النَّصْرِ عَلَى عَدُوِّكُمْ؟ وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أِنِّي مُدْكِمٌ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَكِ مُرْدِفِينَ﴾ \* لِجَبَابِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ الَّذِي قَدْ يَرُدُّ فِي ذِهْنِ الْمُتَلَقِّي.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ؟ إِنَّا أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ \* (سورة الأنفال: 34).

فَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ؟ إِنَّا أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ \* قَدْ يَثِيرُ سُؤَالًا فِي نَفْسِ الْمُتَلَقِّي، مُؤَدَّاهُ: فَمَا السَّبَبُ الَّذِي يَدْفَعُ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الصَّدِّ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَهُمْ لَيْسُوا أَوْلِيَاءَهُ؟ وَمِنْ ثَمَّ جَاءَتْ جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ لِتُجِيبَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ وَهِيَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ \* «وَأِنَّمَا نَفَى الْعِلْمَ عَنْ أَكْثَرِهِمْ

دُونَ أَنْ يُقَالَ: (وَلَكِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فَاقْتَضَى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَوْلِيَاءَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَهُمْ مَنْ أَيْقَنُوا بِصَدَقِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسْتَفَاقُوا مِنْ غَفْلَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ، وَلَكِنْ حَمَلَهُمْ عَلَى الْمُشَايَعَةِ لِلصَّادِقِينَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، الْعِنَادُ وَطَلَبُ الرِّئَاسَةِ، وَمُوَافَقَةُ الدَّهْمَاءِ عَلَى ضَلَالِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ عُقَلَاءُ أَهْلِ مَكَّةَ، وَمَنْ تَهَيَّأَ لِلْإِيمَانِ مِنْهُمْ، مِثْلُ: الْعَبَّاسِ وَعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَبِي سُفْيَانَ ابْنِ حَرْبٍ وَحَكِيمِ بْنِ حَزَامٍ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، وَمَنْ اسْتَبَقَاهُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ فَكَانُوا مِنْ نَصْرَائِهِ مِنْ بَعْدِ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ» (83).

## 6) عِلَاقَةُ الْمَلَابَسَةِ:

وَالْمَقْصُودُ بِالْمَلَابَسَةِ اتِّفَاقُ زَمَانِ الْوُقُوعِ أَوْ مَكَانِ الْاسْتِقْرَارِ كاتِّفَاقِ زَمَانِ الْمَجِيءِ وَالرُّكُوبِ فِي: (جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبًا)، أَوْ اسْتِقْرَارِ الزَّوْجَيْنِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (سورة البقرة: 187) أَوْ اسْتِقْرَارِ الْمَرْءِ عَلَى أَمْرٍ مُعَيَّنٍ، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِبَاسُ الْقُوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ (سورة الأعراف: 26). وَقَدْ يُعْبَرُ عَنْ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ بِاللَّفْظِ الْمَرْكَبِ كَنَصَبِ الْحَالِ الْمَقْرَّرَةِ أَوْ اقْتِرَانِ جُمْلَةِ الْحَالِ بِالْوَاوِ كَمَا فِي (جَاءَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ يَهْرُولُ)، وَقَدْ يَكُونُ الْعَنْصَرُ اللَّفْظِيُّ شَرْطًا يَتَحَقَّقُ فِي جُمْلَةِ الْحَالِ كَأَنْ يَكُونَ فِعْلُهَا مُضَارِعًا، وَقَدْ تَكُونُ الْمَلَابَسَةُ مَلْحُوظَةً غَيْرَ مَلْفُوظَةٍ (84).

وَمِنْ أَمثلة هَذِهِ الْعِلَاقَةِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (سورة الأنفال: 23).

فَجُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ: ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، «حَالٌ مِنْ ضَمِيرٍ: «تَوَلَّوْا» وَهِيَ مُبَيَّنَّةٌ لِلْمُرَادِ مِنَ التَّوَلَّى وَهُوَ مَعْنَاهُ الْمَجَازِيُّ وَصَوُغُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ

بصِغَةِ الْجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَمَكُّنِ إِعْرَاضِهِمْ، أَي: إِعْرَاضًا لَا يَكُونُ بَعْدَهُ، وَهَذَا يَفِيدُ أَنَّ مِنَ التَّوَلَّى مَا يَعْقِبُهُ إِقْبَالٌ، وَهُوَ تَوَلَّى الَّذِينَ تَوَلَّوْا ثُمَّ اسْلَمُوا بَعْدَ ذَلِكَ، مِثْلُ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ<sup>(85)</sup>.

## الخاتمة:

وَمِنْ أَهَمِّ النَّتَائِجِ الَّتِي تَوَصَّلْتُ إِلَيْهَا فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ، مَا يَلِي:  
1 - الْفَاصِلَةُ هِيَ الْمَقْطَعُ الْأَخِيرُ مِنَ الْآيَةِ، الَّذِي قَدْ يَكُونُ جُمْلَةً تَامَةً أَوْ كَلِمَةً وَاحِدَةً أَوْ مَا بَيْنَهُمَا، وَقَدْ يَكُونُ مَسْجُوعًا أَوْ غَيْرَ مَسْجُوعٍ، وَيَأْتِي لِتَحْقِيقِ غَايَاتٍ جَمَالِيَّةٍ: صَوْنِيَّةٍ وَدَلَالِيَّةٍ وَنَصِيَّةٍ.

2 - وَرَدَ حَرْفُ «النُّونِ» فِي سُورَةِ «الْأَنْفَالِ» فِي تِسْعَةٍ وَثَلَاثِينَ (39) مَوْضِعًا، مِنْ إَجْمَالِيٍّ عَدَدَ آيَاتِهَا، أَيِ بِنِسْبَةِ مِئْوِيَّةٍ تَبْلُغُ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ (52 ٪)، فَهُوَ - إِذَنْ - يُمَثِّلُ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ فَوَاصِلِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ قَدْ اسْتَعْمَلَ حُرُوفًا ذَاتَ وَقَعٍ نَغْمِيٍّ، وَوُضُوحَ سَمْعِيٍّ؛ لِنَظْهِرَ لِلسَّمْعِ حِينَ الْوَقْفِ عَلَيْهَا، وَحَرْفُ «النُّونِ» يَمْتَّازُ بِقُوَّةٍ وَوُضُوحٍ سَمْعِيٍّ وَبِوَقَعٍ نَغْمِيٍّ.

3 - وَجَاءَ حَرْفُ «الْمِيمِ» تَالِيًا لِحَرْفِ «النُّونِ»، إِذْ وَرَدَ فِي تِسْعَةِ عَشَرَ (19) مَوْضِعًا، بِنِسْبَةِ مِئْوِيَّةٍ تَبْلُغُ (25.3 ٪)، يَلِيهِ حَرْفُ «الرَّاءِ»، إِذْ وَرَدَ فِي عَشْرَةِ مَوَاضِعَ، بِنِسْبَةِ مِئْوِيَّةٍ تَبْلُغُ (13.3 ٪)؛ وَذَلِكَ أَنَّ حَرْفَ «الْمِيمِ» مِنَ الْحُرُوفِ الْأَنْفِيَّةِ الَّتِي لَهَا نِسْبَةُ وَضُوحٍ أَعْلَى مِنْ غَيْرِهَا، وَأَنَّ حَرْفَ «الرَّاءِ» مِنَ الْأَصْوَاتِ التَّكْرَارِيَّةِ الَّتِي تُشَبِّهُ الْحَرَكَاتِ/الصَّوَائِتِ.

4 - وَقَدْ وَرَدَتْ حُرُوفُ «الْبَاءِ، وَالطَّاءِ، وَالْقَافِ، وَالذَّالِ» بِنِسْبَةٍ قَلِيلَةٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ لَا تَتَمَتَّعُ بِقُوَّةِ الْوُضُوحِ السَّمْعِيِّ الَّذِي هُوَ خَاصَّةٌ مِنْ أَهَمِّ خَوَاصِّ الْحُرُوفِ السَّابِقَةِ (النُّونِ، وَالْمِيمِ، وَالرَّاءِ).

5 - لَقَدْ تَكَرَّرَتْ «حُرُوفُ الرَّوِيِّ» فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ فِي ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ (33) مَوْضِعًا، وَجَاءَتْ مَسْجُوعَةً فِي سَبْعَةِ عَشَرَ (17) مَوْضِعًا مِنْهَا، أَيْ بِنِسْبَةِ مِئَوِيَّةٍ تَبْلُغُ (51.5 %) مِنْ إِجْمَالِيِّ مَوَاضِعِ هَذَا التَّكَرَّارِ؛ وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي كَثْرَةِ الْفَوَاصِلِ الْمَسْجُوعَةِ فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ إِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى أَنَّهَا تَعْمَلُ عَلَى سَبْكِ النَّصِّ وَتَمَاسُكِهِ.

6 - اسْتَعْمَلَتْ فَوَاصِلُ السُّورَةِ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ مِنْ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ الْعَرَبِيِّ، بَيَّنَّ أَنَّهُ لَمْ يَحْدَثِ التَّسْجِيعُ إِلَّا بِثَلَاثَةِ مِنْهَا فَحَسَبُ، هِيَ: (النُّونُ، وَالْمِيمُ، وَالرَّاءُ)؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَمْتَازُ - كَمَا بَيَّنْتُ قَبْلُ - بِنِسْبَةِ وُضُوحٍ سَمْعِيٍّ أَعْلَى مِنْ غَيْرِهَا.

7 - تَمَّ التَّسْجِيعُ بِحَرْفِ «النُّونِ» فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ فِي تِسْعَةِ مَوَاضِعَ، أَيْ بِنِسْبَةِ مِئَوِيَّةٍ تَبْلُغُ (52.9 %) مِنْ إِجْمَالِيِّ مَوَاضِعِ التَّسْجِيعِ، وَتِلْكَ نَتِيجَةُ طَبِيعِيَّةٍ؛ إِذْ وَرَدَ هَذَا الْحَرْفُ بِنِسْبَةِ مِئَوِيَّةٍ تَبْلُغُ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ (52 %) بِالْمِئَةِ، فَهُوَ - إِذَنْ - يُمَثِّلُ - كَمَا ذَكَرْتُ قَبْلُ - أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ فَوَاصِلِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مِنْ أَحْرَفِ التَّرْنَمِ، وَيَمْتَازُ بِشِدَّةِ وُضُوحٍ سَمْعِيٍّ.

8 - تَمَّ التَّسْجِيعُ بِحَرْفِ «الْمِيمِ» فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ، أَيْ بِنِسْبَةِ مِئَوِيَّةٍ تَبْلُغُ (23.5 %) مِنْ إِجْمَالِيِّ مَوَاضِعِ التَّسْجِيعِ، وَهُوَ فِي جَمِيعِ مَوَاضِعِهِ - سِوَاءُ أَكَانَتْ مَسْجُوعَةً أَمْ غَيْرَ مَسْجُوعَةٍ - جَاءَ مَسْبُوقًا بِالْمَدِّ بِالْيَاءِ أَوِ الْآلِفِ، ذَلِكَ الْمَدُّ الَّذِي يَقْرَبُهُ صَوْتِيًّا مِنْ فَاصِلَةِ «النُّونِ».

9 - تَمَّ التَّسْجِيعُ بِحَرْفِ «الرَّاءِ» فِي السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ، أَيْضًا، أَيْ بِنِسْبَةِ مِئَوِيَّةٍ تَبْلُغُ (23.5 %) مِنْ إِجْمَالِيِّ مَوَاضِعِ التَّسْجِيعِ، وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْحَرْفُ فِي جَمِيعِ مَوَاضِعِهِ مُسَجَّعًا، وَمَسْبُوقًا بِالْمَدِّ

بِالْأَلْفِ، وَبِالْوَاوِ، وَبِالْيَاءِ، ذَلِكَ الْمَدُّ الَّذِي يُقَرَّبُهُ - أَيْضًا - صَوْتِيًّا مِنْ الْفَوَاصِلِ الْأُخْرَى، وَبِخَاصَّةٍ فَاصِلَةُ «النُّونِ».

10 - مِنْ أَبْرَزِ الطَّوَاهِرِ التَّرَكِيبِيَّةِ فِي فَوَاصِلِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ التَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ، الْاِلْتِفَاتُ، إِذْ قَدْ وَرَدَ التَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ فِي سَبْعَةِ عَشَرَ مَوْضِعًا، بِنِسْبَةِ مِئَوِّةٍ تَبْلُغُ (22.6 %)، وَكَانَ مِنْ أَبْرَزِ صُورِهِ: تَقْدِيمُ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ عَلَى الْعَامِلِ فِيهِمَا، وَتَقْدِيمُ شَبِّهِ الْجُمْلَةِ الْوَاقِعَةِ خَبْرًا عَلَى الْمُبْتَدَأِ، وَتَقْدِيمُ شَبِّهِ الْجُمْلَةِ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، وَتَقْدِيمُ الْمَفْعُولِ بِهِ عَلَى الْفَاعِلِ. وَأَمَّا الْاِلْتِفَاتُ فَقَدْ وَرَدَ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ، بِنِسْبَةِ مِئَوِّةٍ تَبْلُغُ (22.6 %)، وَكَانَ مِنْ أَبْرَزِ صُورِهِ: الْاِلْتِفَاتُ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغِيَابِ، وَمِنْ الْغِيَابِ إِلَى الْخِطَابِ، وَمِنْ الْخِطَابِ إِلَى الْغِيَابِ.

11 - وَقَدْ وَرَدَ التَّقْدِيمُ وَالتَّأخِيرُ فِي فَوَاصِلِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ لِسَبَبَيْنِ: فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَهُوَ لِتَحْقِيقِ سِرٍّ دَلَالِيٍّ يَنَاسِبُ السِّيَاقَ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَهُوَ لِمُعَارَاةِ إِيْقَاعِ الْفَوَاصِلِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ.

12 - وَمِنْ أَبْرَزِ وَسَائِلِ سَبَبِ النَّصِّ فِي فَوَاصِلِ «سُورَةِ الْأَنْفَالِ» الْإِحَالَةُ وَالْحَذْفُ، وَالتَّكْرَارُ. وَقَدْ وَرَدَتِ الْإِحَالَةُ فِي فَوَاصِلِ «سُورَةِ الْأَنْفَالِ» فِي سِتَّةِ وَسَبْعِينَ مَوْضِعًا، وَكَانَ مِنْ أَبْرَزِ أَنْوَاعِ الْإِحَالَةِ: الْإِحَالَةُ بِالضَّمِيرِ، وَبِالْأَسْمِ الْمَوْصُولِ، وَبِاسْمِ الْإِشَارَةِ.

13 - وَقَدْ وَرَدَ الْحَذْفُ فِي فَوَاصِلِ سُورَةِ «الْأَنْفَالِ» فِي تِسْعَةِ مَوَاضِعَ، بِنِسْبَةِ مِئَوِّةٍ تَبْلُغُ (12 %)، وَكَانَ مِنْ أَبْرَزِ صُورِهِ: حَذْفُ الْمَفْعُولِ بِهِ، وَحَذْفُ جُمْلَةٍ جَوَابِ الشَّرْطِ، وَحَذْفُ الْمَخْصُوصِ بِالذَّمِّ.

14 - وَمِنْ أَبْرَزِ صُورِ التَّكْرَارِ فِي فَوَاصِلِ سُورَةِ «الْأَنْفَالِ»، تَكَرُّرُ الْحَرْفِ، وَتَكَرُّرُ الْأَسْمِ، وَتَكَرُّرُ الْجُمْلَةِ، وَالتَّوَازِي التَّرَكِيبِيَّةِ.

15 - لَمْ تَكُنْ فَكْرُهُ حَبْكُ النَّصِّ غَائِبَةً عَنِ الْقَدَمَاءِ، وَبِخَاصَّةِ حَبْكِ الْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ مَعَ مَا قَبْلَهَا، وَلَعَلَّ ابْنَ أَبِي الإِصْبَعِ الْمِصْرِيَّ (ت 654هـ - 1256م) هُوَ أَوَّلُ مَنْ عَرَضَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لِلْعَلَاqَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ لِلْفَاصِلَةِ الْقُرْآنِيَّةِ بِمَا قَبْلَهَا، وَذَلِكَ فِي بَابِ بَعْنَوَانٍ: «بَابُ اتِّتْلَافِ الْفَاصِلَةِ مَعَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ سَائِرُ الْكَلَامِ»، وَقَدْ ذَكَرَ فِي هَذَا الْبَابِ أَرْبَعَ صُورٍ لِهَذَا الْإِتِّلَافِ، هِيَ: التَّمَكِينُ، وَالتَّوْشِيحُ، وَالتَّصْدِيرُ، وَالْإِيغَالُ. وَيَبْدُو أَنَّهُ مَتَأَثَّرٌ فِي هَذَا بِحَدِيثِ قُدَامَةَ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ اتِّتْلَافِ الْقَافِيَةِ مَعَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ سَائِرُ مَعْنَى الْبَيْتِ يَبْدُو أَنَّ قُدَامَةَ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا التَّوْشِيحَ وَالْإِيغَالَ.

16 - ارْتَبَطَتْ جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ فِي سُورَةِ "الْأَنْفَالِ" مَعَ مَا قَبْلَهَا عَنْ طَرِيقِ سَبْعِ عِلَاقَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ، هِيَ: عِلَاقَةُ التَّعْلِيلِ، وَعِلَاقَةُ التَّكْيِيدِ، وَعِلَاقَةُ الشَّرْطِيَّةِ، وَعِلَاقَةُ السَّبَبِ بِالنَّتِيجَةِ، وَعِلَاقَةُ الْإِجَابَةِ عَنْ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ، وَعِلَاقَةُ الْمَلَابَسَةِ، وَعِلَاقَةُ التَّتْمِيمِ.

## الهوامش

(1) الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ: مفردات ألفاظ القرآن - تحقيق: مصطفى بن العدوي - مكتبة فياض - المنصورة (عزبة عقل) - مصر - الطبعة الأولى- 1430هـ/ 2009م - مادة: فصل - ص 483.

(2) عَبْدُ الْقَادِرِ الرَّازِيُّ: مختار الصحاح- دار التوفيقية للتراث - القاهرة (خلف الجامع الأزهر) - مصر- بدون رقم طبعة- 2011م - مادة: فصل- ص 258، 259.

(3) محمد حسن جبل: الْمُعْجَمُ الْمُؤَصَّلُ لِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ - مكتبة الآداب- القاهرة (42 ميدان الأوبرا) - مصر- الطبعة الثانية 2012م - مادة: فصل- 1715/3.

- (4) الرُّمَانِيُّ: النُّكْتُ في إعجاز القرآن (ضمن مجموع به ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم) - تحقيق: محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام - دار المعارف (سلسلة ذخائر العرب) - القاهرة - (د. ت) - ص 97.
- (5) فَالْتَشَاكُلُ بِمَعْنَى التَّمَاثُلِ، يُنْظَرُ فِي ذَلِكَ: الزمخشري: أساس البلاغة - دار صادر - بيروت - لبنان - 1992م - مادة: شَكَل - ص 335، عبد القادر الرازي: مختار الصحاح - مرجع سابق - مادة: شَكَل - ص 178.
- (6) المرجع السابق نفسه - ص 97، 98.
- (7) وَالْأَسْجَاعُ الْمَعْبُودَةُ هِيَ تِلْكَ الْأَسْجَاعُ الَّتِي تَطْلُبُ لِذَاتِهَا دُونَ مُرَاعَاةٍ لِمَعْنَى.
- (8) الباقلاني: إعجاز القرآن - تحقيق: السيد أحمد صقر - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الخامسة - 1997م - ص 270، 271.
- (9) الزُّرْكَشِيُّ: البرهان في علوم القرآن - تحقيق: أبي الفضل الدمياطي - دار الحديث - القاهرة (أمام جامعة الأزهر) - مصر - بدون رقم طبعة - 1427هـ / 2006م - ص 50.
- (10) يُنْظَرُ: المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.
- (11) يُنْظَرُ: المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.
- (12) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.
- (13) السيوطي: الإتيان في علوم القرآن - مكتبة مصر - القاهرة (3 شارع كامل صدقي الفجالة) - مصر - 1996م - ص 437.
- (14) يُنْظَرُ: الرُّمَانِيُّ: النُّكْتُ في إعجاز القرآن - مرجع سابق - ص 98، والباقلاني: إعجاز القرآن - مرجع سابق - ص 271.
- (15) يُنْظَرُ: الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المسمى بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح - شرح: عبد المتعال الصعيدي - مكتبة الآداب - القاهرة (42 ميدان الأوبرا) - بدون رقم طبعة - 2000م - 81/4: 85، أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع - تحقيق: حسن نجار محمد - مكتبة الآداب - القاهرة - مصر - الطبعة الثالثة - 2011م - ص 325: 327، وعبد القادر حسين: فن البديع - دار الشروق - القاهرة (16 شارع جواد حسني) - الطبعة الأولى - 1403هـ / 1983م - ص 126: 128، وعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني: البديع من المعاني والألفاظ - مكتبة وهبة - القاهرة (14 شارع الجمهورية - عابدين) - مصر - الطبعة الأولى - 2002م - ص 133: 137، وبسيوني عبد الفتاح فيود: علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع - مؤسسة المختار - القاهرة (خلف جامع الأزهر) - الطبعة الثانية - 1431هـ / 2010م - ص 292: 294.

- (16) حسين نصار: إعجاز القرآن، الفواصل - مكتبة مصر - القاهرة (3ش كامل صدقي، الفجالة) - مصر - الطبعة الأولى - 1999م - ص 232.
- (17) تمام حسان: البيان في روائع القرآن - عالم الكتب - القاهرة (38 ش عبدالخالق ثروت) - الطبعة الثانية - 1320هـ/2000م 1/199.
- (18) الرُّمَانِيُّ: التُّكْتُ فِي إعجاز القرآن - مرجع سابق - ص 99.
- (19) عبدالقاهر الجرجاني: أسرار البلاغة - قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر - مطبعة المدني - القاهرة - الطبعة الأولى - 1412هـ/1991م - ص 11.
- (20) يُنْظَرُ: السيد خضر: فواصل الآيات القرآنية، دراسة بلاغية دلالية - مكتبة الآداب - القاهرة (42 ميدان الأوبرا) - مصر - الطبعة الثانية - 1430هـ/2009م - ص 49.
- (21) المرجع السابق نفسه - ص 50.
- (22) الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير - دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس (10مكرر، نهج هولاندة 1000) - 1997م - المجلد الرابع - 1/119.
- (23) ابْنُ جُنَيٍّ: الخصائص - تحقيق: محمد علي النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الرابعة - 1999م - 1/217.
- (24) الزُّرْكَشِيُّ: البرهان في علوم القرآن - مرجع سابق - ص 60.
- (25) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.
- (26) يُنْظَرُ: السُّيُوطِيُّ: الإِتْقَانُ فِي علوم القرآن - مرجع سابق - ص 449.
- (27) يُنْظَرُ: محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن - دار عمار - الأردن - الطبعة الثانية - 1421هـ/2000م - ص 296.
- (28) يُنْظَرُ: حمدي عزت عبدالحافظ: دراسات في علم الفواصل، عد أي القرآن - موقع الشبكة الإسلامية islamweb.net - دولة قطر - ص 14.
- (29) يُنْظَرُ: الرَّافِعِيُّ: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - دار الكتاب العربي - بيروت - 1425هـ/2005م - ص 150.
- (30) يُنْظَرُ: السيد خضر: فواصل الآيات القرآنية، دراسة بلاغية دلالية - مرجع سابق - ص 80.
- (31) صلاح صالح أحمد عيطة: أصوات العربية، دراسة وصفية - منشورات جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بالمنصورة - 1407هـ/1987م - ص 192.
- (32) أحمد حمودة موسى: دور الفواصل في تماسك النص القرآني - رسالة دكتوراه - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة 2012م - ص 10، 11.
- (33) البخاري: صحيح البخاري - ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبد الباقي - مكتبة الصفا - القاهرة - الطبعة الأولى - 1423هـ/2003م - كتاب فضائل القرآن، حديث رقم: (5024) - 548/2.

- (34) المرجع السابق نفسه - كتاب فضائل القرآن، حديث رقم: (5024) - 552/2.
- (35) يُنْظَرُ: محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن - مرجع سابق - ص 296.
- (36) التَّنَوُّجِيُّ: القوافي - تحقيق: محمد عوني عبد الرؤوف - مركز تحقيق التراث - دار الكتب المصرية - الطبعة الثانية - 2003م - ص 162.
- (37) ابن جني: الخصائص - تحقيق: محمد علي النجار - مرجع سابق - 234/1.
- (38) صحيح البخاري - مرجع سابق - كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، حديث رقم: (5046) - 552/2.
- (39) وَالْمَقْصُودُ بـ «الإِفْرَادِ» أَنَّهَا لَمْ تُذَكَّرْ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي سُورَةِ «الأنفال».
- (40) أحمد حمودة موسى: دور الفواصل في تماسك النص القرآني - مرجع سابق - ص 131.
- (41) حسين نصار: إعجاز القرآن، الفواصل - مرجع سابق - ص 233.
- (42) ينظر: الزمخشري: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - شرح وتحقيق: يوسف الحمادي - مكتبة مصر - القاهرة (3 شارع كامل صدقي، الفجالة) - مصر - الطبعة الأولى - 1431هـ / 2010م - 31/1.
- (43) ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة - دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة (الفجالة) - بدون رقم طبعة 1959م - 212/2.
- (44) الزركشي: البرهان في علوم القرآن - مرجع سابق - ص 771.
- (45) المرجع السابق نفسه - ص 688.
- (46) الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب - تحقيق: عماد زكي البارودي - المكتبة التوفيقية - القاهرة (أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين) - مصر 2003م - المجلد الثامن - 100/15.
- (47) الألوسي: روح المعاني - تحقيق: السيد محمد السيد، سيد إبراهيم عمران - دار الحديث - القاهرة (أمام جامعة الأزهر) - مصر 1426هـ / 2005م - المجلد الخامس - 218/9.
- (48) ينظر: الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير - مرجع سابق - 259/9.
- (49) السعدي: تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - تحقيق: عبدالرحمن بن مغللا الوليحي - دار ابن الجوزي - القاهرة (درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر) - الطبعة الأولى - 1431هـ / 2010م - ص 315.
- (50) أبو السعود: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم - تحقيق: محمد بن علي جيلاني - المكتبة التوفيقية - القاهرة (أمام الباب الأخضر، سيدنا الحسين) - الطبعة الأولى - 2013م - 100/3.

- (51) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير - مرجع سابق - المجلد الرابع - 316/9.
- (52) الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب - مرجع سابق - المجلد الثامن - 143/15.
- (53) المرجع السابق نفسه - المجلد الثامن - 175/15.
- (54) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير - مرجع سابق - المجلد الخامس - 78/10.
- (55) يَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ: «وَقَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ حِينَ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَدْرٍ، أَخَذُوا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَنْصَرُوا اللَّهَ وَقَالُوا: اللَّهُمَّ أَنْصِرْ أَعْلَى الْجَنْدَيْنِ، وَأَكْرَمَ الْفُسَيْنِ، وَخَيْرَ الْقَبِيلَتَيْنِ. فَقَالَ اللَّهُ: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾». يَقُولُ: قَدْ نَصَرْتُ مَا قُلْتُمْ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». ابن كثير: تفسير القرآن العظيم - تحقيق: أبي عبد الله عبد الحليم بن محمود - مكتبة مصر - القاهرة (3 ش كامل صدقي، الفجالة) - الطبعة الأولى - 2010م - 1247/2.
- (56) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير - مرجع سابق - المجلد الرابع - 339/9.
- (57) أبو السعود: تفسير أبي السعود - مرجع سابق - 93/3.
- (58) ينظر: أحمد عفيفي: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي - مكتبة زهراء الشرق - القاهرة (116 ش محمد فريد) - الطبعة الأولى - 2001م - ص 31.
- (59) ينظر: روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء - ترجمة: تمام حسان - عالم الكتب - القاهرة (38 ش عبد الخالق ثروت) - الطبعة الأولى - 1998م - ص 97: 107.
- (60) ينظر: سعد عبدالعزيز مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية - عالم الكتب - القاهرة (38 ش عبد الخالق ثروت) - الطبعة الأولى - 2006م - ص 226. وقد نشر النص أول مرة في مجلة فصول، المجلد العاشر، العددان الأول والثاني في يوليو 1991م.
- (61) ينظر: روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء - مرجع سابق - ص 103، وسعد عبدالعزيز مصلوح: في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية - المرجع السابق نفسه - ص 227.
- (62) محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب - المركز الثقافي العربي بيروت. الدار البيضاء - الطبعة الأولى - 1991م - ص 5.
- (63) Halliday and Ruqaiya Hassan: Cohesion in English Longman - See : London First Edition - 1976 - p.6.
- (64) ينظر: السيوطي: أسباب النزول - دراسة وتحقيق: حامد أحمد الطاهر - دار الفجر للتراث - القاهرة - الطبعة الأولى - 1423هـ / 2002م - ص 201، 202، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن - راجعه وضبطه وعلق عليه: محمد إبراهيم الحفناوي،

- وخرج أحاديثه: محمود حامد عثمان- دار الحديث- القاهرة (أمام جامعة الأزهر)  
- المجلد الرابع- الطبعة الأولى- 1431هـ/ 2010م - ص 390.
- (65) ينظر: روبرت دي بوجراند : النص والخطاب والإجراء - مرجع سابق - ص 103،  
وأحمد عفيفي: نحو النص- مرجع سابق - ص 7.
- (66) ينظر: فان دايك : علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات - ترجمة وتعليق:  
د/ سعيد حسن بحيري - دار القاهرة - القاهرة (116 ش محمد فريد) - الطبعة  
الثانية - 2005م - ص 45-113، وكلاوس برينكر : التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى  
المفاهيم الأساسية والمناهج - ترجمه وعلق عليه ومهد له: سعيد حسن بحيري -  
مؤسسه المختار - القاهرة (65 ش النهضة - مصر الجديدة) - الطبعة الأولى -  
1425هـ / 2005م - ص 60: 105، وزتسيسلاف واورزيناك : مدخل إلى علم النص،  
مشكلات بناء النص- ترجمة: سعيد حسن بحيري - مؤسسة المختار- القاهرة  
- الطبعة الأولى - 2003م - ص 74: 83، وتمام حسان: البيان في روائع القرآن-  
مرجع سابق- 1/ 395: 421، وصلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص- الشركة  
المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة (يطلب من شركة أبو الهول للنشر:  
3 ش شواربي) - الطبعة الأولى - 1996م - ص 327: 350.
- (67) ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن - تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف-  
دار نهضة مصر للطباعة والنشر - القاهرة (الغزالة) - بدون رقم طبعة - 1957م -  
ص 89.
- (68) ينظر: قُدَامَةُ ابْنِ جَعْفَرٍ: نقد الشعر - تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي - دار الكتب  
العلمية - بيروت - لبنان - بدون تاريخ ورقم طبعة - ص 167 وما بعدها.
- (69) ابن أبي الإصبع المصري : بديع القرآن - مرجع سابق- ص 89، وينظر: الزركشي-  
البرهان في علوم القرآن - مرجع سابق- ص 65.
- (70) السيوطي: الإتيان في علوم القرآن- مرجع سابق- ص 443.
- (71) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري : بديع  
القرآن - مرجع سابق - ص 89، والزركشي- البرهان في علوم القرآن- مرجع  
سابق- ص 65.
- (72) ابن أبي الإصبع المصري : بديع القرآن - مرجع سابق - ص 89، وينظر: الزركشي-  
البرهان في علوم القرآن - مرجع سابق - ص 65، والسيوطي: الإتيان في علوم  
القرآن- مرجع سابق - ص 447.
- (73) المرجع السابق نفسه - ص 91، وينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن - مرجع  
سابق- ص 65، والسيوطي: الإتيان في علوم القرآن- مرجع سابق- ص 403.

(74) السيوطي: الإتيان في علوم القرآن- مرجع سابق- ص 447، وينظر: الزركشي- البرهان في علوم القرآن- مرجع سابق- ص 65، وابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن- تحقيق: حفني شرف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة- 1383هـ- ص 116، وابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب- تحقيق: عصام شعيتو- مكتبة الهلال- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- 1978م- 255/1.

(75) ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية- مطبوعات المجمع العلمي العراقي- 1403هـ/ 1938م- 369/1، وعلي بن محمد الجرجاني: معجم التعريفات- تحقيق: محمد صديق المنشاوي- دار الفضيلة للنشر والتوزيع- القاهرة (7 ش الجمهورية، عابدين)- الطبعة الثانية- 2012م- ص 38.

(76) ينظر في التعريف بهذه المصطلحات: الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المسمى بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح- مرجع سابق- 117/2: 128، وأحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدع- مرجع سابق- ص 187: 192، وتوفيق الفيل: بلاغة التراكم، دراسة في علم المعاني- مطبوعات جامعة قطر- الطبعة الثانية- 1998م- ص 252: 264.

(77) ذَكَرَهَا الزَّرْكَشِيُّ ضَمَّنَ النَّوعَ السَّادِسَ وَالْأَرْبَعِينَ الَّذِي بَعْنُونُ: «فِي ذِكْرِ مَا تَيْسَّرَ مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ وَفُتُونِهِ الْبَلِغَةِ». يُنْظَرُ: الزَّرْكَشِيُّ: الْبَرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ - مرجع سابق - ص 547: 665. وَ ذَكَرَهَا السُّيُوطِيُّ ضَمَّنَ النَّوعَ السَّادِسَ وَالْخَمْسِينَ، وَهُوَ بَعْنُونُ: «الْإِيجَازُ وَالْإِطْنَابُ». يُنْظَرُ: السُّيُوطِيُّ: الْإِيتِقَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ- ص 372: 404.

(78) ينظر: أبو السعود: تفسير أبي السعود- مرجع سابق- 94/3.

(79) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني- مرجع سابق- المجلد الخامس- 244/9.

(80) نخبة من العلماء: التفسير الميسر- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المملكة العربية السعودية- الطبعة الأولى 1435هـ/ 2014م- ص 179.

(81) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير- المجلد الرابع- 254/9.

(82) الرازي: التفسير الكبير- مرجع سابق- المجلد الثامن- 132/15.

(83) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير- مرجع سابق- المجلد الرابع- 339/9.

(84) ينظر: تمام حسان: البيان في روائع القرآن- مرجع سابق- 415/1.

(85) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير- مرجع سابق- المجلد الرابع- 311/9.

## جذور

| البلد    | السعر       | البلد  | السعر     |
|----------|-------------|--------|-----------|
| السعودية | 20 ريالاً   | الأردن | 2 دينار   |
| الإمارات | 15 درهماً   | مصر    | 10 جنيهاً |
| قطر      | 15 ريالاً   | المغرب | 25 درهماً |
| البحرين  | 1,200 دينار | تونس   | 3 ديناير  |
| مسقط     | 1,200 دينار | سوريا  | 100 ليرة  |
| الكويت   | 1 دينار     | لبنان  | 3 دولارات |
| اليمن    | 150 ريالاً  |        |           |

## قيمة الاشتراك في - جذور

|                               |                            |
|-------------------------------|----------------------------|
| * السعودية ودول الخليج العربي | (120) ريالاً أو ما يعادلها |
| * الأفراد في الوطن العربي     | (40) دولاراً               |
| * الأفراد خارج الوطن العربي   | (45) دولاراً               |
| * المؤسسات كافة               | (60) دولاراً               |

ترسل قيمة الاشتراك على عنوان النادي ص.ب 5919 جدة 21432 فاكسميلي  
6066695

البريد الإلكتروني:

Info@adabijeddah.com

www.adabijeddah.com

ثمن العدد عشـ 20 —رون ريالاً سعودياً أو ما يعادلها

• وكالة التوزيع الاردنية (ارامكس ميديا)

صندوق بريد 3371

رمز بريد 11181

عمان- المملكة الأردنية الهاشمية

تلفون: +962-6-5358855

• الشركة التونسية للصحافة (سوتبرس)

3 نهج المغرب

ص.ب 719

تونس 1000 - الجمهورية التونسية

تلفون: +216-71-322499

• مؤسسة الأهرام للتوزيع

14 شارع الجلاء

القاهرة- جمهورية مصر العربية

+202-27391095

+202-25796326

+202-25796997

• شركة الظلال للنشر والتوزيع

بغداد - الجمهورية العراقية

تلفون: +964-7901-332734

+964-7702-141164

• مؤسسة العروبة التجارية المحترمين

ص.ب 52 شارع حارثة بن سهل

الدوحة - دولة قطر

تلفون: +974-4424721

+974-5531665

• دار الحكمة

صندوق بريد 2007

دبي- دولة الإمارات العربية المتحدة

تلفون: +971-4-2665394 (4 خطوط)

• الشركة الشرفية للتوزيع والصحف (سوشيرس)

ملتقى زنتة رحال بن أحمد وزنتة سان

ساتس

صندوق بريد 13683

الدار البيضاء -20300 المغرب

تلفون: 2125-22-400233

• مؤسسة الأيام / مكاتب الأيام

صندوق بريد 3262

المنامة- مملكة البحرين

تلفون: +973-17-617733

+973-17-617770

• الشركة السورية لتوزيع المطبوعات

برامكة- تجاه ثانوية التجارة

دمشق - الجمهورية العربية السورية

تلفون: +963-11-2128664

• دار القلم للنشر والتوزيع والإعلان

صندوق بريد 1107

صنعاء- الجمهورية اليمنية

تلفاكس: +967-1-469415

+967-1-469586

• في المملكة العربية السعودية

- كنوز المعرفة - جدة شارع الستين

- مكتبة المتنبى - الدمام

- مكتبة دار الزمان- المدينة المنورة

- مكتبة الشرق- المدينة المنورة

- المكتبة التراثية- الرياض

- ومكتبات أخرى

• الشركة المتحدة لتوزيع الصحف

صندوق بريد 6588 حولي

رمز بريد 32040

دولة الكويت

تلفون: +965-22456198

+965-22412820

قسم الاشتراك

# جذور



أسعار الاشتراك السنوي لعدد من إمددة عام

المؤسسات

الأفراد

160 ريالاً

120 ريالاً أو ما يعادلها

السعودية ودول الخليج العربي

60 دولاراً

40 دولاراً

الدول العربية

60 دولاراً

45 دولاراً

باقي دول العالم

«شاملة لأجر البريد»

اشتراك جديد ☐

تجديد الاشتراك ☐

الرجاء ملء البيانات في حال رغبتكم في:

الاسم :

العنوان :

المبلغ المرسل : ☐ نقدي ☐ شيك رقم ☐ إيداع في حساب النادي

العنوان :

اشتراك لمدة : ☐ من العدد : ☐ إلى العدد :

التوقيع : التاريخ : / / 200 م

«حساب النادي لدى بنك الرياض - جدة - فرع شارع فلسطين رقم الحساب: 1360237629901»

«الشيكات ترسل لأمر النادي الأدبي الثقافي بجدة»

ص.ب. 5919 جدة 21432

هاتف: 0966-2-6066122 فاكس 0966-2-6066695

أو البريد الإلكتروني:

Juthoor@adabijeddah.com